

مجلة البحوث الأمنيّة

دوريّة - علميّة - محكّمة

تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية

في هذا العدد

- جرائم غسل الأموال من وجهة نظر مسئولي البنوك .
- الهيروين وطرق الكشف عنه في جسم المدمن .
- أثر جريمة الزنا على النكاح .
- العلاقة بين الوعي بالسلامة ووسائل الإعلام .
- الثقافات الفرعية إطار لتفسير السلوك الجانح .

المجلد ١١ العدد ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٣ هـ / فبراير ٢٠٠٣ م

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى نشر الإنتاج العلمي في مجالات الأمن بمفهومه الشامل (الجنائي، الصناعي، الغذائي، المائي، الفكري، الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي، البيئي، أمن المعلومات والوثائق، إدارة الأزمات، إدارة الكوارث ...الخ) وتحقيقا لهذا الغرض، ينشر في المجلة ما يلي:

١- الأبحاث العلمية.
٢- تقارير اللقاءات العلمية (المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية).
٣- مراجعات الكتب والرسائل الجامعية والدراسات المتخصصة.

المراسلات:

توجه المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:
ص.ب: ٤٦٤٦١ الرياض ١١٥٣٢ المملكة العربية السعودية

هواتف المجلة:
رئيس التحرير: ٢٤٦٢٦٨٨
مدير التحرير: ٢٤٦٣٦٨٤
فاكس: ٢٤٦١٣٧٦

ردمد ١٦٥٨-٠٤٣٥
ISSN.1658-0435
رقم الإيداع ٢٢/٣٣٩١

المملكة العربيّة السعوديّة
وزارة الداخلية
كلية الملك فهد الأمنيّة
مركز البحوث والدراسات



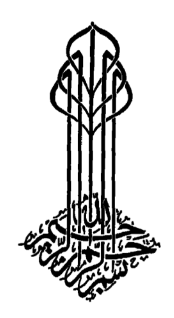
مجلّة البحوث الأمنيّة

دوريّة - علميّة - محكّمة

تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجالات الأمن بمفهومه الشامل

تصدر عن مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية

المجلد ١١ العدد ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٣هـ/ فبراير ٢٠٠٣م



﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)

- تخضع البحوث والدراسات المنشورة للتحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها.
- يتم ترتيب المواد العلمية في كل عدد وفقا لاعتبارات فنية.

قواعد النشر بمجلّة البحوث الأمنيّة

يراعى أن تتسم الأعمال المقدمة للنشر بالجدة والأصالة والموضوعية، وتكتب بلغة عربية سليمة، وأسلوب واضح ، مع ملاحظة ما يلي.

أولا: البحوث العلمية

ضوابط نشر البحوث والدراسات العلمية

١. أن يكون الباحث متخصصا في المجال نفسه ، ويجوز أن يشترك في كتابة البحث اثنان.
٢. تقبل الأعمال العلمية التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر في دورية أو مطبوعة أخرى.
٣. ألا يتجاوز العمل العلمي ١٥٠٠٠ كلمة، ولا يقل عن ٨٠٠٠ كلمة .
٤. تخضع المواد العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها.

ثانيا: عروض الكتب

تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب (العربية والأجنبية) حديثة النشر إذا توافرت الشروط التالية.

١. أن يعالج الكتاب إحدى قضايا أو مجالات الأمن المتعددة، ويشتمل على إضافة علمية جديدة.
٢. أن يكون الكتاب متميزا ومشتملا على إضافة علمية جديدة.
٣. أن يكون معد المراجعة متخصصا في نفس المجال العلمي للكتاب.
٤. ألا يكون قد سبق تقديم العرض للنشر في مطبوعة أخرى.
٥. أن يعرض المراجع ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان أهم أوجه التميز وأوجه القصور.
٦. ألا يزيد عدد صفحات العرض عن (١٥) صفحة.

ثالثا: عروض الرسائل الجامعية

يراعى في الرسائل الجامعية موضوع العرض أن تكون حديثة، وتمثل إضافة علمية جديدة في أحد مجالات الأمن، وألا يزيد عدد صفحات العرض عن (٢٠) صفحة، مع مراعاة أن يشتمل على ما يلي.

١. مقدمة لبيان أهمية موضوع البحث.
٢. ملخص لمشكلة (موضوع) البحث وكيفية تحديدها.
٣. ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وأدواته.
٤. ملخص للدراسة الميدانية (التطبيقية)، وأهم نتائجها.
٥. خاتمة لأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

رابعا: تقارير اللقاءات العلمية

تنشر المجلة التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات ذات العلاقة بأحد المجالات الأمنية التي تعقد داخل المملكة أو خارجها، ويشترط أن يغطي التقرير فعاليات الندوة أو المؤتمر، وأن يركز على الأبحاث العلمية وأوراق العمل المقدمة ونتائجها، وأهم التوصيات التي يتوصل إليها اللقاء، وألا يزيد عدد صفحات التقرير عن ٢٠ صفحة.

خامسا: ملاحظات عامة

١) يرفق ملخصان لكل عمل علمي أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية، على ألا يتجاوز عدد كلمات كل منهما (٢٠٠) كلمة.
٢) يرفق معد العمل نبذة عن سيرته الذاتية تتضمن: الاسم، الدرجة العلمية ،التخصص الدقيق، العمل الحالي وجهته، أهم الإنجازات العلمية، عنوانه البريدي (العادي والإلكتروني)، ورقمي الهاتف والفاكس .
٣) ترسل ثلاث نسخ ورقية من المادة العلمية المراد نشرها، مع نسخة إلكترونية على قرص مرن IBM
٤) بعد استكمال إجراءات التعديل وقبول العمل العلمي للنشر تقدم نسخة ورقية و نسخة إلكترونية على قرص مرنIBM
٥) توضع الملاحق (إن وجدت) بشكل مستقل بعد نهاية المراجع مباشرة، وتنشر إذا رأت هيئة التحرير ضرورة ذلك.
٦) ترفق أداة جمع البيانات (إن وجدت) مع العمل العلمي وتنشر مع الملاحق إذا رأت هيئة التحرير ذلك.
٧) تعطى الأولوية في النشر للبحوث والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود الى هيئة تحرير المجلة، وذلك بعد إجازتها تحكيمياً، ووفقا للاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.
٨) تنتقل الحقوق المتعلقة بالأعمال العلمية المنشورة إلى المجلة.
٩) تصرف مكافآت مالية لكتاب الأعمال العلمية التي يتم نشرها في المجلة.
١٠) لا تعاد أصول المواد العلمية إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تنشر.

سادسا: طريقة التوثيق

يجب أن يشير الكاتب الى ما يقتبسه من الآخرين، سواء كان ذلك على شكل نصوص منقولة حرفيا أو أفكار لكتاب آخرين، ولكنها مصوغة بلغة الكاتب نفسه، وذلك على النحو التالي:

- الاقتباس الحرفي: يجب نقله كما هو، وتمييزه عن كلام الكاتب بإحدى طريقتين:
  * إذا كان النص المقتبس في حدود خمسة أسطر، فيميز عن النص بوضعه بين علامتي تنصيص في بدايته ونهايته.
  * أما إذا كان النص المقتبس أكثر من خمسة أسطر، فيطبع في فقرة جديدة بعيدا عن الهامشين الجانبيين (حوالي سم واحد للداخل)، مع تضييق المسافة الرأسية بين أسطره بحيث تكون مسافة سطر واحد.
- الاقتباس غير الحرفي: وهو عرض لآراء كتاب آخرين وأفكارهم، مصوغة بلغة الكاتب يتم دمجه مع المتن.

توثق الاقتباسات في العمل العلمي بوضع الهوامش داخل المتن، وذلك على النحو التالي:

(١) عندما يكون الاقتباس نصا يذكر رقم صفحة الاقتباس أو صفحاته بعد سنة النشر مباشرة:

(السعيد، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م :٩٤) (George, 1985 :69)

السعيد، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م : ٣٥) (George, (1985 : 45)

(٢) عندما يكون الاقتباس عاما، فإنه يشار إلى مصدر/مصادر اقتباس الفكرة، وذلك بوضع الاسم الأخير للمؤلف/المؤلفين، وسنة النشر بين قوسين:

(الباز، ١٤٢١هـ) (Walter, 1995) .

(٣) عند الاقتباس أو الاستشهاد بمرجع سبقت الإشارة إليه في متن البحث، يذكر اسم المؤلف أولا ثم توضع سنة النشر بين قوسين:

، الباز (١٤٢١هـ) Walter (1995)

(٤) إذا ورد اسم المؤلف في الفقرة نفسها بحيث لا يمكن الخلط بينه وبين دراسات أخرى، فإنه يُكتفى بذكر اسم الكاتب فقط: وقد وجد الباز أيضا ..... وقد وجد Walter أيضا ....

(٥) عند الاقتباس أو الاستشهاد بمصادر المختلفة، توضع أسماء المؤلفين وسنوات النشر بين قوسين: (الباز، ١٤٢١هـ ؛ المالكي، ١٤٢١هـ) (George, 1993 ; Smith, 1995 ; David, 1997)

(٦) عند الاقتباس أو الاستشهاد بأكثر من مرجع لمؤلف واحد نشرت في نفس العام، يميز بين المراجع باستخدام ترتيب الأحرف الهجائية لكل مرجع، بحيث توضع هذه الأحرف بعد سنة الإصدار مباشرة:

(الباز، ١٤٢١هـ أ) (الباز،١٤٢١هـ ب). (Al-Baz,2000 a) (Al-Baz, 2000 b).

(٧) عند الاقتباس من عمل لأكثر من مؤلف تذكر في المرة الأولى الألقاب (الأسماء الأخيرة) لجميع المؤلفين، تليها سنة النشر بين قوسين:

السعيد، ضياء الدين، هلال (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

George, Jone, and Smith (1985)

وفي المرات التالية يذكر اللقب (الاسم الأخير) للمؤلف الأول، تليه عبارة وآخرون تليها سنة النشر بين قوسين:

السعيد، وآخرون، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). George *et al.* (1985)

سابعا: طريقة كتابة قائمة المراجع

يدرج أي مرجع يشار إليه في متن البحث أو الدراسة في قائمة المراجع، وتصنف في قائمة واحدة في نهاية البحث مهما كان نوعها: كتب، دوريات، مجلات، وثائق رسمية، ...الخ، وتوضع المراجع العربية أولا تليها المراجع الأجنبية، وترتب أبجديا حسب الاسم الأخير للمؤلف أو الباحث، وذلك على النحو التالي.

أ) الكتب

ربيع، حامد (١٩٨٤). نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط. القاهرة: دار الموقف العربي.

ب) فصل في كتاب

النمر، سعود بن محمد (١٤٢١/١٩٩١). التخطيط في سعود النمر وآخرون، الإدارة العامة: الأسس والوظائف. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ص ٨٥-١٣٤.

Baha El-Din, A. (1981). An Arab View of Superpower "Security" in the Gulf. In Abdel Majed Farid *et at.* Oil and Security in The Arbian Gulf. London: Creom Helms.

جـ) البحوث والدراسات

مثال: أحمد، محمد (١٩٨١)، "حول تحولات مفهوم الأمن العربي خلال السبعينات" ، الفكر الاستراتيجي العربي، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١: ٩-٤٠.

Al-Rumaihi, M. (1987-88) "Arabian Gulf Security" . American – Arab Affairs, 28: 47-56.

د) الوثائق والنشرات الرسمية

- الكتاب الإحصائي (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). الرياض : وزارة الداخلية.
- نظام خدمة الضباط الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/٤٣) في ١٣٩٣/٨/٢٨هـ.

هـ) الرسائل العلمية

المالكي، عبدالحفيظ (١٤٢١). تقويم مناهج كلية الملك فهد الأمنية الخاصة بمكافحة الشغب ودورها في تأهيل ضباط الأمن، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

Alshehri, F. (2000). Electronic Newspapers on The Internet : A Study of the Production and Consuption of Arab Dailies on the World Wide Web. Unpublished doctoral dissertation, University of Sheffield, UK.

كلمة العدد

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

تواصـــل مجلـــة الـــبحوث الأمنية انطلاقتها العلمية بفضل من الله سبحانه وتعالى ثم بفضل الجهـــود العلمية المميزة للباحثين المختصين في مجال الأمن وقضاياه المختلفة. ولعل من أبرز ســـمات انطلاقة هذه المجلة المتخصصة تواصلها مع الباحثين المختصين في الجامعات ومراكز الأبحـــاث علـــى مستوى الوطن العربي مما ساهم في إضفاء روحاً علمية خاصة على محتوى ومضمون الأعداد المتعاقبة للمجلة. وهنا لا بد وأن نشير إلى أن سعينا إلى الوصول إلى الباحث العربـــي كـــان بهـــدف توســـيع دائـــرة التبادل الفكري كخطوة ضرورية لتهيئة البيئة الملائمة للاســـتفادة مـــن الخـــبرات العلمية المتخصصة في المجالات المختلفة التي تخدم أغراض الأمن بمفهومه الشامل.

وفـــي هـــذا العدد تتواصل المسيرة العلمية للمجلة بمشاركة مميزة من الباحثين السعوديين وبـــتفاعل مثمر من قبل الباحثين العرب لنحقق بذلك هدفاً رئيساً من أهداف المجلة المتمثل في الحرص على خدمة القارئ العربي أياً كان موقعه الجغرافي. وفي هذا العدد أيضا يطالع القارئ الكـــريم مزيجاً معرفياً يشارك في طرحه نخبة مختارة من الباحثين ويغطي في مضمونه العديد من المواضيع ذات العلاقة بشئون الأمن المختلفة. فمن خلال الدراسة الأولى، يعرض الدكتور/ عـــبد الـــرزاق بن حمود الزهراني نتائج دراسته الميدانية حول جرائم غسل الأموال من وجهة نظـــر مســـئولي البـــنوك في المملكة العربية السعودية مع إبراز المفهوم العلمي لعملية غسل الأمـــوال وأبعادهـــا المختلفة ومصادر الأموال التي تتعرض لعمليات الغسل. كما أورد الدكتور الزهرانـــي فـــي دراسته الميدانية ما يرى أنه أهم السبل وأنجع الطرق لمواجهة عمليات غسل الأموال مستعيناً في ذلك بآراء أهل الخبرة من مسئولي البنوك.

وقـــد تناول البحث الثاني الذي أعده الأستاذ/ خالد أبو بكر محمد طرق الكشف عن الهروين فـــي جســـم المدمن مركزاً على إبراز الفروق الفيزيائية والمكونات الكيميائية لعينات الهروين. وأشار الباحث إلى أن الكشف عن الهروين في جسم المدمن لا يعتمد على طرق الكشف المبدئية مـــثل طـــريقة التحلـــيل المناعـــي ولكـــن تســـتخدم طـــرق تأكيدية مثل طريقة التحليل الغازي

الكروماتوجرافـــي أو التحليل السائل الكروماتوجرافي. ويكتسب هذا البحث أهمية خاصة لكونه يـــتعامل مـــع واحدة من أخطر القضايا التي تواجهها المجتمعات الإنسانية ولكونه يمثل إضافة علمية نوعية للمختصين والمهتمين بقضايا المخدرات سواء من حيث طبيعتها كتخصص أو من حيث مكافحتها كداء اجتماعي خطير.

ومـــن الدراسات الميدانية ذات العلاقة المباشرة بالعمل الأمني دراسة الدكتور/ عبد الله بن محمـــد آل تويـــم التي حاول من خلالها قياس العلاقة بين الوعي بالسلامة ووسائل الإعلام في مـــدن الرياض، جدة، والدمام. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تتعامل مع قضية هامة لهـــا ارتباط مباشر بمستوى الوعي المعرفي والوجداني والعلمي لأفراد المجتمع السعودي ولها علاقة مباشرة بالخطط التوعوية التي تنظمها الجهات الأمنية للتأمين سلامة المواطن السعودي. وهنا أتمنى على رجال المرور في الأمن العام وعلى رجال الدفاع المدني والجوازات دراسة هذه الورقـــة والاستفادة من نتائجها في مجال تصميم برامج التوعية الوطنية التي تستهدف تكوين ثقافة أمنية واعية لدى المواطن السعودي بفئاته المختلفة.

وفي هذا العدد نطالع أيضا العديد من الأبحاث والتقارير العلمية المتخصصة التي تسعى إلى تـــنويع المائدة العلمية وإلى تنمية مكونات الثقافة الأمنية والاجتماعية لدى القارئ الكريم وإلى تحقيق الدرجة المطلوبة من الشمولية العلمية لمجلة البحوث الأمنية. كل ما نتمناه هو أن نكون قد وفقنا في خدمة الأمن من خلال ما قدمناه من أبحاث علمية ودراسات ميدانية متخصصة وان تستفيد الجهات ذات العلاقة مما قدم لتطوير الأداء الأمني على أرض الواقع العملي.

وفـــي الخـــتام أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الزملاء الباحثين وإلى رئيس وأعضاء هيئة الإشراف وإلى الزملاء أعضاء هيئة التحرير على ما بذلوه من جهد وما أبدوه من تعاون ساهم فـــي استمرار تميز مجلة الجميع مجلة البحوث الأمنية. الشكر الخالص إلى الزملاء في الهيئة الإدارية بالمجلة وبشكل خاص الزميل الرائد/ عبد الحفيظ المالكي مدير التحرير والزميل الرائد/ محمـــد المنـــيع ســـكرتير التحرير لما يبذلانه من جهد متواصل في سبيل تطوير العمل الإداري بالمجلة وفي سبيل مواصلة التميز الذي ليس له بديل في قاموسهما العملي.

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

الدكتور/ مفرج بن سعد الحقباني
drmofa@yahoo.com

المحتويات

أولاً : البحوث العلمية

- جرائم غسل الأموال من وجهة نظر مسؤولي البنوك

الدكتور/ عبدالرزاق بن حمود الزهراني ١٥

- الهروين وطرق الكشف عنه في جسم المدمن

خالد أبو بكر محمد ٣٨

- أثر جريمة الزنا على النكاح

الدكتور/ عبدالرحمن بن سليمان الربيش.. ١٢٧

- العلاقة بين الوعي بالسلامة و وسائل الإعلام، دراسة ميدانية على الرياض وجدة والدمام.

الدكتور/ عبدالله بن محمد بن سعد آل تويم ١٦٧

- الثقافات الفرعية إطار لتفسير السلوك الجانح

أ. الدكتور/ محمد عبدالمعبود مرسي ٢٢٥

ثانياً: تقارير اللقاءات العلمية وعرض الكتب والرسائل الجامعية

- عرض كتاب: القيادة الإدارية: التحول نحو نموذج القيادي العالمي

العميد الدكتور / سعيد بن محمد الغامدي.. ٢٦٧

- عرض دراسة بعنوان :الجريمة المنظمة وسياسة المكافحة في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي

الرائد/ عبدالحفيظ بن عبدالله المالكي... ٢٩٣

- تقرير عن ندوة المجتمع والأمن.

الرائد/ محمد بن سليمان المنيع... ٣١٧



أولاً: البحوث العلمية

جرائم غسل الأموال من وجهة نظر مسؤولي البنوك

(دراسة ميدانية)

إعداد

د. عبدالرزاق بن حمود الزهراني

قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض - المملكة العربية السعودية

ملخص الدراسة

تعتبر جرائم غسل الأموال حديثة نسبياً، خاصة في المجتمعات المسلمة. فقد بدأت تلك الجرائم في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لكثرة التغيرات في جوانب الحياة المختلفة في المجتمعات التي عانت من ويلات الحرب. وكانت المخدرات هي المصدر الأساس للأموال المغسولة. وفي العقود الأخيرة تزايدت عمليات التقارب بين الدول من خلال زيادة التفاعل وتبادل المصالح بينها. وتحاول هذه الدراسة بحث ظاهرة غسل الأموال من وجهة نظر مسؤولي البنوك في المملكة العربية السعودية، وإبراز مفهومها، وأهم أبعادها مثل مصادر الأموال التي يتم غسلها، والعمليات والطرق التي تُتبع في غسل تلك الأموال، ودور المصارف والبنوك في تلك العمليات، وأضرار غسل الأموال على الاقتصاد الوطني، وعلى المجتمع. وأوردت الدراسة ما ترى أنه أهم وأنجع السبل في الوقاية من عمليات غسل الأموال ومكافحتها، مستعينة في ذلك بآراء مسؤولي البنوك لأنهم أهل الخبرة، ويعايشون عمليات غسل الأموال من خلال أعمالهم، وقد أكدوا على ضرورة إنشاء إدارة خاصة لمكافحة عمليات غسل الأموال، وزيادة التعاون بين الجهات ذات العلاقة، وإجراء المزيد من الدراسات حول هذه الظاهرة.

مقدمة

بدأت جرائم غسل الأموال في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لكثرة التغيرات البنائية في جوانب الحياة المختلفة في المجتمعات التي عانت من ويلات الحرب. وكانت المخدرات هي المصدر الأساس للأموال المغسولة. وفي العقود الأخيرة تزايدت عمليات التقارب بين الدول من خلال زيادة التفاعل وتبادل المصالح بينها. وزادت تلك العمليات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق في عام ١٩٨٩م، ومن ثم سقوط التنافس والصراع بين الفكرتين الاشتراكية والرأسمالية، وظهور ما يسمى العولمة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الرأسمالية. وتسعى الدول القوية إلى رفع الحواجز بين الدول لما لديها من (ميزة نسبية) في عملية التنافس والسيطرة على الأسواق، ولهذا تحرص من خلال منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي على رفع الحواجز التجارية والتبادلية.

وهناك آليات أخرى تستخدمها الدول القوية لغزو الدول النامية والتأثير فيها، ولا تعترف تلك الآليات بالحواجز والحدود مثل القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت. وفي ظل هذه الأجواء التي زاد فيها التفاعل بين الدول أصبح من السهل انتقال رؤوس الأموال بين

الــدول والأقالــيم والقارات، وأصبحت الأجواء مؤاتية وملائمة أكثر من أي وقت مضى لعصابات الجرائم المنظمة لممارسة أنشطتها التي تهدف في المقام الأول إلى جمع الأموال بطــرق غير مشروعة. ولهذا كله تزايدت نشاطات المنظمات الإجرامية، وتزايدت حركة التداول بينها بهدف تغيير صفة الأموال التي تم جمعها بطرق غير مشروعة لتظهر وكأنها قــد أتت من مصادر مشروعة، وعرفت هذه العمليات في الأدبيات الحديثة (بجرائم غسل الأمــوال). وســوف تشخص هذه الدراسة هذا النوع من الجرائم ووستتعرف على أبعادها المخــتلفة، وعلــى أنســب الطرق لمكافحتها من وجهة نظر مسؤولي البنوك في المملكة العربية السعودية.

حجم الظاهرة وموضوع الدراسة

تدخــل عملــيات غسل الأموال ضمن ما يسمى (بالاقتصاد الخفي) والذي يعرفه ســعيد عــبدالخالق بأنه: (تلك النشاطات الخفية غير المسجلة رسمياً في الحسابات القومية للدولــة) www.albayan.co.ae/albayan/1999/09/17. ويصــعب معــرفة أعــداد الأشخاص الذين يمارسون عمليات الاقتصاد الخفي، خاصة العمليات غير المشروعة منها لأن ممارسيها أكثر حرصاً على إخفائها وسريتها، ولهذا يصعب تحديد حجم الدخل المتولد عنها واتجاهاته. وحتى مع وجود تلك الصعوبات فإن هناك تقديرات مختلفة لحجم عمليات غســل الأمــوال التــي تعتبر جزءاً من الاقتصاد الخفي، وترتبط في معظمها بعصابات الجرائم المنظمة، وتمر عبر عمليات كثيرة ومعقدة.

يذكر المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي أن حجم غسل الأمــوال يتراوح بين ٢% و ٥% مــن الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وهذه النسبة تعادل ما بين ٥٠٠ مليار دولار و١٢٠٠ ملــيار دولار. وتشــير تقديــرات بعــض المنظمات الدولية إلى أن حجم الأمــوال القــذرة التي تجري عليها عمليات الغسل تتجاوز حجم التجارة الدولية للبترول!. وتقــدر تلــك العملــيات فــي أستراليا بما يتراوح بين ٤% و ١٢% من الناتج المحلي

الإجمالي، وفي ألمانيا بين ٢% و١١% ، وفي إيطاليا بين ١٠% و ٣٣%، وفي اليابان بيــن ٤% ١و٥% ، وفي إنجلترا بين ١% و ١٥%، وفي الولايات المتحدة بين ٤% و ٣٣% (المصدر السابق).

ويقــول حــافظ: (إن الإحصاءات تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتــبة الأولـــى علـــى مستوى العالم من حيث حجم الأموال غير المشروعة، لأن كمية الأموال غير المشروعة المتداولة فيها تقدر بنحو ٤٧١ مليار دولار، وأن الأموال التي تم إجــراء غسلها من هذا الرقم بلغت نحو ٢٨٣ مليار دولار. كما يقدر حجم الأموال التي تم تداولهــا من خلال أسواق البورصات العالمية وتم غسلها ١٣٠ ملياراً سنوياً على مستوى العالم)(مجلة عالم الاقتصاد، العدد ٩٤).

أما في الدول النامية فإن التقديرات تجعل عمليات غسل الأموال تزيد عن نصف الـــناتج الوطنـــي الإجمالي، يساعد على ذلك أن نسبة كبيرة من معاملات الأفراد في تلك الـــدول تتم بصورة نقدية، ويقل حجم التعامل مع الجهاز المصرفي بالمقارنة بما هو عليه الحـــال في الدول المتقدمة حيث يرتفع مستوى الوعي المصرفي لارتباط معظم العمليات- إن لـــم يكن كلها- بالمصارف. ويرى د. حمدي عبدالعظيم عميد مركز البحوث بأكاديمية الســادات للعلــوم الإدارية بمصر أن حجم غسل الأموال من تجارة المخدرات في العالم العربي ٧٠ مليار دولار (www.islamonline.net انظر كذلك، عبدالعظيم، ١٩٩٧، ص٢١ وما بعدها).

والـــدول العربـــية- بمـــا فـــي ذلك المملكة العربية السعودية- ليست بمنأى عن التأثيرات الدولية، وربما كانت في أحيان كثيرة هدفاً للمنظمات الإجرامية الدولية. وتحاول هذه الدراسة بحث ظاهرة غسل الأموال من وجهة نظر مسؤولي البنوك، وإبراز مفهومها، وأهم أبعادها مثل مصادر الأموال التي يتم غسلها، والعمليات والطرق التي تُتبع في غسل تلـــك الأمـــوال، ودور المصارف والبنوك في تلك العمليات، وأضرار غسل الأموال على الاقتصـــاد الوطنـــي. وتحـــاول الدراسة بيان أهم وأنجع السبل للوقاية من عمليات غسل الأموال ومكافحتها.

تساؤلات الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤلات التالية في ضوء مرئيات مسؤولي البنوك:

١: ما مفهوم غسل الأموال؟

٢: ما أهم مصادر الأموال التي يتم غسلها؟

٣: ما أهم الخطوات التي تُتبع في عملية غسل الأموال؟

٤: ما الأضرار والتأثيرات السلبية لغسل الأموال على الاقتصاد الوطني؟

٥: ما دور البنوك والمصارف في الوقاية من عمليات غسل الأموال وكشفها للجهات الأمنية؟

٦: ما أهم طرق الوقاية من عمليات غسل الأموال ومكافحتها؟

مفاهيم الدراسة

من أهم المفاهيم التي تستخدمها هذه الدراسة مفهوم غسل الأموال، ومفهوم الاقتصاد الخفي، ومفهوم الجريمة المنظمة. وسوف نحاول- فيما يلي- شرح معنى كل مفهوم.

مفهوم غسل الأموال

مفهوم غسل الأموال من المفاهيم الحديثة التي أفرزتها التطورات المعاصرة، وتقارب أجزاء العالم، وزيادة التبادل التجاري والاقتصادي والثقافي بين أجزائه، وسرعة حركة الأموال وانتقالها بين الأقطار والدول. وهو من المفاهيم التي لا تزال غير معروفة وغير مألوفة عند كثير من الناس، منهم بعض المثقفين وأنصاف المثقفين. وفي هذا الصدد يقول عبدالقادر الكاملي www.ditnet.co.ae/arabic/internet/study1101a3.html:

(إذا قمت باستطلاع بسيط في الشارع، وسألت عن مصطلح "غسل الأموال"، فإن معظم الإجابات تدل على أنه غير معروف. ولعل هذا الجهل بالموضوع هو إحدى [المشكلات] الأساسية التي تعاني منها الحكومات في محاربتها هذا النوع من الجرائم).

وأول مرة عرف فيها مصطلح غسل الأموال كان في عام ١٩٣١م عند محاكمة

"الفونس كابوني" الشهير بآل كابوني، ويصف هذا المصطلح واحداً من أهم الأطوار التي تمر بها الأموال التي تحصلها عصابات المافيا لجعلها تبدو مشروعة، والتي تأتي أساساً من أعمال الابتزاز، والسرقة، والدعارة، والقمار، علاوة على تهريب المخدرات. وتلجأ العصابات إلى ذلك لإبراز مصدر قانوني للأموال الطائلة التي تجمعها. ويعتبر القيام بأعمال مشروعة ثم خلط عائدها من الأموال بالعائد من الأعمال غير المشروعة إحدى الطرق التي كانت المافيا قادرة على اتباعها لفترة طويلة من الزمن. والطريف في الأمر أن "آل كابوني" حوكم في وقتها لتهربه من دفع الضرائب، وليس للأعمال غير المشروعة التي كان يديرها، أو غسله للأموال التي كانت تأتيه من تلك الأموال غير المشروعة. (انظر: المصدر السابق، Steel, B., www.launderyman.u-net.com).

ويرى (بللي ستيل، B. Steel) أن محاكمة "آل كابوني" وإدانته لتهربه من دفع الضرائب كانت الأمر الذي وجه الأنظار، ولفت الانتباه إلى موضوع غسل الأموال، وجعل موضوعاتها تتفاعل وتتزايد أهمية يوماً بعد يوم. ويعتبر (مير لانسكي، M.. Lansky) – والذي يطلق عليه رسمياً (ماسح الحسابات، the Mob's Accountant') من أكثر الناس تأثراً بما حدث لـ (آل كابوني)؛ فهو رأى أن ما أصاب (كابوني) يمكن أن يصيبه، ولذلك عمد إلى البحث عن طرق يخفي من خلالها الأموال التي لديه. وقبل أن ينتهي عام ١٩٣١م اكتشف فائدة فتح حسابات في البنوك السويسرية. وهذا فيما يبدو هو المكان الذي بدأت فيه عمليات غسل الأموال. ويعتبر (لانسكي) من أكثر غاسلي الأموال في التاريخ المعاصر. فاستخدام التسهيلات والحسابات في البنوك السويسرية أعطى (لانسكي) الوسيلة التي أمكنه بواسطتها القيام بأول تكنيك لغسيل حقيقي للأموال، فاستخدام مفهوم (استعادة القرض) يعطي الغطاء المشروع لتحويل الأموال غير المشروعة إلى أموال مشروعة، لأنه يمكن من خلال ذلك مناقشة أصول تلك الأموال على أنها قروض مقدمة من بنوك أجنبية (المصدر السابق، Ibid.).

أما مفهوم (غسل الأموال، Money laundering) كمصطلح فيعتبر مفهوماً

جديـداً. وترجع أصول اقتباسه- كما يقول (ستيل)- إلى جريدة خلال تقرير عن فضيحة (واتـر جيـت، Watergate) في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٧٣م. وأول مـرة ظهر فيها المصطلح في الإطار القضائي والنظامي كان في عام ١٩٨٢م؛ ومنذ ذلك الوقـت أصبح هذا المفهوم مقبولاً وانتشر استخدامه في العالم كله(انظر، المصدر السابق Steel, ibid.). ويعنـي هذا المفهوم (أي عمل يقوم به فرد أو جماعة لإخفاء المصدر غير المشروع للأموال ، وإظهار تلك الأموال على أنها جاءت من مصادر مشروعة).

٢: الاقتصاد الخفي

مفهوم الاقتصاد الخفي من المفاهيم غير القديمة جداً. وقد أطلق الباحثون عند تناولهم ظاهرة النشاطات الاقتصادية غير المعلومة في دولة ما عدة مسميات منها:

(الاقتصـاد السـري)، (الاقتصـاد الخفـي)، (الاقتصاد التحتي)، (الاقتصاد الظلي)، (الاقتصـاد المـوازي). ويعرف هذا الاقتصاد بأنه: (مجموعة النشاطات الاقتصادية غير المسـجلة، سواء ما كان منها مشروعاً أو غير مشروع، وهي تسير في قنوات بعيدة عن رقابة وتأثير الإدارة الاقتصادية للدولة) (رضوان وآخرون، ١٩٩٥: ١٢٠)

ونشاطات الاقتصاد الخفي- كما واضح من مسماها-مجالها العمل في الخفاء، أو أن مـيدانها هو هامش الاقتصاد؛ لهذا تصعب معرفتها وتقدير حجمها، مما قد يؤثر على السياسـات الماليـة والـنقدية والتخطيطـية فـي البلاد. ولنشاطات الاقتصاد الخفي غير المشـروعة آثار سيئة على المجتمع؛ فقد تؤدي إلى سوء توزيع الثروة، وتؤدي إلى نشر الجريمة، وقد تؤثر على منظومة القيم الدينية والاجتماعية التي يرتكز عليها بناء المجتمع، وتقـيم ثقافـات فرعية شاذة وتدعمها؛ وكلما زادت تلك النشاطات الخفية غير المشروعة زادت الأخطار على الاستقرار والأمن في الدولة.

٣: الجريمة المنظمة

إذا نظــرنا إلى مفهوم التنظيم في العلوم الاجتماعية نجد أنه مفهوم كبير وشامل؛ لهــذا خُصصت له في علم الاجتماع مادة مستقلة هي (علم اجتماع التنظيم) تدرس تاريخ التنظـيم، وأنــواع المنظمات، ونظمها البيروقراطية، وتوزيع الأدوار، والعلاقات الرسمية وغــير الرســمية لأعضاء التنظيم، وغير ذلك من الموضوعات المتصلة بالمادة. أما إذا نظــرنا إلى المفهوم المجرد للتنظيم فإننا (نجد أن التنظيم يعني مجموعة من الناس ذوي الاتجــاه الواحــد، والنظرة المتماثلة، والمبادئ المشتركة، والهدف المتفق عليه، والتصميم علــى تحقــيق هــذا الهدف. وهم يرتبطون بعضهم ببعض وفقاً لقاعدة أو قواعد تنظيمية مقــبولة مــن جانبهم، وتحدد علاقاتهم أثناء العمل والنشاط، كما تحدد أسلوبهم في تحقيق هدفهــم)(درويش، ورقة عمل غير منشورة). والجرائم المنظمة هي الجرائم التي تقوم بها العصــابات المكونــة من مجموعة من الأفراد وبينهم تنسيق وتقسيم للعمل ولجرائمهم في الغالب صفة الاستمرارية (انظر: أبوزيد، ب. ت.ن: ٣٩٣-٣٩٤).

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة – إلى جانب إثراء البحث العلمي – في الآتي:

١: رفع مستوى الوعي بهذه الظاهرة وأبعادها لدى الفئات الاجتماعية المختلفة، خاصة الجهات المعنية، مثل الجهات المصرفية والاقتصادية، والأمنية والتربوية والتعليمية.

٢: معرفة مصادر الأموال التي يتم غسلها، ومن ثم القضاء عليها كلما أمكن ذلك.

٣: تفعيل دور البنوك والمصارف في محاربة هذه الظاهرة والوقاية منها.

٤: تقويــة عمليات التنسيق وتبادل المعلومات بين المصارف والبنوك والجهات الأمنية لمحاربة هذه الظاهرة، وسد السبل أمام من يمارسها أو يفكر في ممارستها.

٥: معرفة أضرار غسل الأموال على الاقتصاد الوطني، خاصة المؤسسات الاقتصادية الجادة التي ربما تسهم في تمويل البحوث والدراسات والأعمال المختلفة الرسمية وغير الرسمية التي تؤدي إلى مكافحة غسل الأموال وكشف العصابات التي تمارسه.

الإطار النظري

ترتكــز هذه الدراسة- بشكل أساسي- على النظرة الإسلامية للجرائم الاقتصادية، وأحكام المال الحرام، وضوابط الانتفاع والتصرف به في الفقه الإسلامي. وإلى جانب ذلك توظــف الدراســة (نظرية التقليد) التي وضع أسسها العالم الفرنسي (جبريَل تارد، G. Tarde) في كتاب بعنوان: (الفلسفة العقابية)(انظر: الطخيس، ١٤٠٣: ٨٨). ويرى أن غالبية المجرمين لم يخضعوا لإشراف أو رقابة منذ طفولتهم، وإنما تركوا لأنفسهم، فكانت المدرســة التــي تلقــوا قيمها وتوجيهها هو الشارع(انظر: القهوجي،١٩٨٥: ٧٢-٧٣). ويــرى أن ظاهــرة التقلــيد تحدث بتأثير عوامل عدة من أهمها العادة والذاكرة، واتصال الأشــخاص وتفاعل بعضهم مع ببعض، وفق قوانين ثابتة يخضع لها جميع أفراد المجتمع. وللتقليد عن (تارد) قوانين ثابتة تتمثل في الآتي:

١) إن الأفــراد يقلــد بعضهم بعضاً بدرجة كبيرة كلما كانوا متقاربين، وبينهم صلاة أقوى.

٢) ينــتقل التقلــيد مــن الأدنى إلى الأعلى. فالضعيف يقلد القوي، والفقير يقلد الغني، والصغير يقلد الكبير، والمرؤوس يقلد الرئيس وهكذا..

٣) فــي حالــة تعارض الاتجاهات، فإن الإنسان يقلد الحديث منها، ويتم إحلاله محــل القديم. فوسائل الجريمة الحديثة مثلاً هي البندقية والمسدس، بينما كان معظمهــا في الماضي يتم بالسيف أو السكين. ولا ينفي تارد إمكانية استخدام النوع القديم في بعض الحالات.

وجــرائم غســل الأموال يتم فيها التقليد من قبل الأفراد والعصابات بعضهم بعضا، ويــتم فيها إحلال الطرق الجديدة والمستحدثة مكان الطرق القديمة، وإن كان بعضهم يلجأ للطــرق القديمــة من وقت لآخر حسب ما يعتقده من أنها تخدم أهدافه. وكثير من غاسلي

الأمـــوال قلدوا في البداية ما كان يقوم به (آل كابوني Al Capone)، و (ماير لانسكي، M. Lansky). إلا أنهـم- بمــرور الوقــت وتقــدم التقنية- طوروا طرقهم، ونوعوا أســاليبهم حســب الظــروف والمتغيرات التي تحيط بعملياتهم. وكلما تم كشف طريقة من الطرق المستحدثة لغسل الأموال من قبل الجهات المصرفية والأمنية وغيرها من الجهات المعنــية فإن ذلك يعتبر مؤشراً قوياً للنجاح في محاربتها، لأن تلك الطريقة يتم تقليدها من قــبل العصــابات المخــتلفة، ومــن ثم يسهل التنبؤ بسلوكهم وعملياتهم، ومن ثم إحباطها وإفشالها.

ويمكــن لهــذه الدراســة توظــيف (**نظــرية الاختلاط التفاضلي**) لعالم الاجتماع الأمريكــي (إدون ســذرلاند Edwin Sutherland) الــذي يعتبر من أشهر علماء الاجــتماع المتخصصين في دراسة الجريمة والسلوك الإجرامي. وتعتبر هذه النظرية من أشهر النظريات في علم اجتماع الجريمة، ومن أكثرها ذيوعاً واستخداماً من قبل الباحثين. وتعــتمد هــذه الــنظرية على عدد من النظريات منها نظرية (تارد) في التقليد، ونظرية (الــتفاعل الرمزي)، وبعض جوانب علم النفس الاجتماعي. والنظرية في إطارها العام لا تخــرج عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إمــا أن تشم منه رائحة طيبة وإما أن يحذيك، ومثل الجليس السوء كمثل نافخ الكير إما أن تشــم منه رائحة كريهة أو يحرق ثيابك). وكل ما قام به (سذرلاند) في نظرية (الاختلاط التفاضلي) أنه قننها، ووضع لانتقال السلوك وتأثيره مراحل معينة، وجعل لنظريته عناصر يعــتمد كــل عنصــر مــنها علــى العنصــر السابق له في إيصال الشخص إلى السلوك الإجرامي(انظر: Sutherland, 1974: 75-7).

ومــن النظريات التي تفيد هذه الدراسة (**نظرية فقد المعايير**)التي وضع مفهومها وطورها عالم الاجتماع الفرنسي المشهور (أميل دوركايم). ويشير المصطلح إلى المواقف التــي تكون فيها المعايير مختلطة وغير واضحة، وذلك نتيجة للتغير السريع الذي يصيب المجــتمع مــن جراء الحروب- كما هو الحال في فرنسا بعد الثورة، أو من جراء التغير

السـريع- كما الحال في بعض دول العالم اليوم. وهذه التغيرات السريعة تؤدي إلى حالة تتسم باضطراب النظام، وعدم وضوح القانون، وإلى افتقار المفهوم العام للسلوك إلى القواعد والمعايير التي يمكن بناءً عليها تمييز السلوك السوي من السلوك غير السوي. ويؤدي انتشار حالة فقد المعايير إلى إصابة القيم والأعراف والمعتقدات والقوانين في المجتمع بالضعف والوهن، وتفتقد القاعدة التي تعتمد عليها بسبب عدم قبولها، أو عدم جدواها، أو عدم القناعة بها (انظر: الزهراني،ب.ت.ن: ٢٢). وقد طبق (دوركايم) هذا المفهوم على دراسته في (الانتحار)، وقسم الانتحار إلى ثلاثة أقسام، أحدها الانتحار الناتج عن فقد المعايير والقلق.

وتبلورت نظرية (فقد المعايير) على يدي (روبرت ميرتون، Robert Merton) الذي سار بها خطوات إلى الأمام، وحدد الكثير من عناصرها وأبعادها، فهو يرى أن الرغبات والاحتياجات التي تتطلب التحقيق والإشباع ليست بالضرورة رغبات واحتياجات طبيعية، وإنما هي إغراءات واستمالات تنتجها وتفرزها الثقافة السائدة. ويرى (ميرتون) أن المشكلة تبرز عندما تعمد بعض المجتمعات إلى وضع حواجز وموانع أمام بعض فئات المجتمع تمنعها من تحقيق رغباتها وإشباع احتياجاتها، أو تجعلها صعبة التحقيق بالمقارنة ببعض الفئات الأخرى في المجتمع، مما يدفع بتلك المجموعات أو الجماعات- التي سُدت الطرق في وجهها- إلى سلوك الطرق غير القانونية وغير المشروعة لتحقيق وإشباع ما تتطلب الثقافة تحقيقه (انظر: الزهراني، المصدر السابق ، الطخيس، مصدر سابق: ٨١-٨٢، كاره، ١٩٨٤م: ٢٤٢-٢٤٧).

ويرى (ميرتون) أن التناقض بين الأهداف والقيم لا يعد سبباً كافياً لوجود السلوك المنحرف إذا لم يحدث ذلك في مجتمع يدعو نظامه السائد إلى إتاحة الفرصة أمام الجميع بدرجة متساوية، بينما واقعه يقول غير ذلك. ويهتم (ميرتون) بتأثير العلاقة بين الأهداف الاجتماعية من جهة والوسائل التي تحقق تلك الأهداف من جهة أخرى على الانحراف، فهو يرى أنه كلما زادت الفجوة بين الأهداف وبين والوسائل، زادت تبعاً لذلك الاستجابات

الجانحة. أي أنه كلما كانت الوسائل ضعيفة ولا تمكن الإنسان من تحقيق أهدافه كان هناك احتمال أكبر في أن يسلك وسائل غير مشروعة لتحقيق تلك الأهداف. وفي ضوء ذلك يحدد (ميرتون) بناءين متميزين هما : (السمري، ١٩٩٢: ٥٥)

١) البناء الثقافي، ويحوي مجموعة من الأهداف التي يضعها المجتمع ويحث أفراده على تحقيقها.

٢) البناء الاجتماعي، ويتضمن مجموعة المعايير والوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف.

ويرى (ميرتون) أن عملية فقد المعايير تنشأ عندما يركز المجتمع على إبراز أهمية الأهداف وأهمية تحقيقها والوصول إليها، ويهمل الاهتمام بالوسائل المشروعة لتحقيق تلك الأهداف. ولو نظرنا في ضوء ذلك إلى وضع المجتمع السعودي، لوجدنا أن أهم أهداف الجيل السابق- وهو الجيل الذي تعلم أو توظف أو هاجر أو عمل في أعمال حرة قبل عام ١٤٠٥هـ - العامة تتمثل في الحصول على وظيفة تدر عليه دخلاً مناسباً، وتكوين أسرة، والحصول على مسكن مناسب. وكانت الوسائل متاحة في وقتها لتحقيق ذلك، إذ كان عرض الوظائف أكثر من الطلب عليها، وكانت قروض صندوق التنمية العقارية تقدم في وقت قصير، وكان هناك توسع في منح الأراضي السكنية. ومن أجل ذلك كله قلت معدلات الجريمة، وأصبح بإمكان معظم- إن لم يكن كل الناس- تحقيق أهدافهم المشروعة بوسائل مشروعة. أما الجيل الحالي فإن ظروفه تختلف. فالأهداف- تقريباً- هي أهداف الجيل السابق نفسها، ولكن الوسائل المشروعة أصبحت أقل بكثير مما كانت عليه سابقاً. فالحصول على وظيفة أصبحت الصعوبات تكتنفه، وبعض الطلاب يتخرج من الجامعة ويبقى عدة سنوات ينتظر تلك الوظيفة، ويمر الوقت وهو يقرع أبواب المؤسسات والجهات الرسمية والخاصة، وقروض صندوق التنمية العقارية أصبحت تستغرق أكثر من عشر سنوات، والزواج وتكوين الأسرة أصبح يتأخر كثيراً، لأنه يعتمد على إنهاء الدراسة أولاً، ثم الحصول على الوظيفة ثانياً. يضاف إلى ذلك زيادة تكاليف المعيشة، ومتطلبات الحياة،

وتــزايد السلوك الاستهلاكي والتفاخري، وعدم توازن الفرص أمام الجميع، نظراً لانتشار المحسوبية والواسطة والعلاقات الشخصية، والتي قد تقدم على الشهادة والكفاءة في بعض الحــالات. وفي ظل وجود هذه المتغيرات وتزايدها هناك احتمال كبير في انتشار ظاهرة فقد المعايير بين هذا الجيل، ومن ثم ارتفاع معدلات الجريمة، خاصة الجرائم المالية.

وفــي ضوء ما سبق يرى (ميرتون) أن الانفصال بين الأهداف والوسائل المتاحة لتحقيقها يؤدي إلى خمسة أنماط من الاستجابات يوضحها الجدول رقم (١).

جدول رقم (١) أنماط التكيف في نظرية فقد المعايير (لميرتون).

الموقف	الأهداف	الوسائل
التطابقي أو الامتثالي	+	+
الابتكاري أو التجديدي	+	+
الشعائري أو الطقوسي	–	+
الانسحابي	–	–
التمردي أو الثوري	+	+

Source; Merton, 1980 :115

فإشــارة (+) تعنـــي القـــبول والامتثال، وإشارة (–) تعني الرفض وعدم القبول، وفي الوقـــت نفســـه– تعنـــي عدم إيجاد البدائل. أما إشارة (+) وتحتها (–) فتعني الرفض للأهـــداف أو الوسائل القائمة، مع إيجاد وابتكار وسائل جديدة وبديلة. وهذه النظرية تفيدنا فـــي معـــرفة الظـــروف التي قد تدفع بالأفراد والجماعات إلى الخروج عن قيم المجتمع وأهدافه العامة، والعوامل المرتبطة بذلك. وغسل الأموال، والوسائل غير المشروعة التي يـــتم عـــن طريقها جمع المال تعبر عن التمرد على وسائل المجتمع وأساليبه في الوصول إلى أهدافه.

رؤية الإسلام لجرائم غسل الأموال

أشار الإسلام إلى حب الإنسان للمال، وأنه غريزة من الغرائز البشرية. قال تعالى: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً) (الفجر:٢٠). وقال سبحانه: (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ) (القيامة: ٢٠-٢١). وقال أيضاً: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (آل عمران:١٤)، ولكن الإسلام عمل على تهذيب هذه الغريزة وتوجيهها، والحد من عنفوانها وغلوائها. قال تعالى بعد الآية التي أوردناها سابقاً، والتي تشير إلى حب الإنسان للشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (آل عمران:١٥) فتقوى الله ومراقبته، ورضاه سبحانه وتعالى خير من النساء والبنين، والأموال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والسيارات والأملاك المختلفة، لأن جزاء تقوى الله دخول الجنة، والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وما لا يخطر على قلب بشر، وفيها الأزواج المطهرة، وحور العين، وأهم من هذا وذاك رضوان الله عن عبده. وإذا رضي الله عن عبده كان عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، وعقله الذي يفكر به. وإذا رضي الله عن عبده رزقه الطمأنينة وراحة البال والضمير في الدنيا، وهي نعم لا يعرف قيمتها وقدرها إلا من جربها وعاش في ظلالها، ويدخله جناته إذا توفاه ورفعه إليه. ولهذا فإن أبناء الفقراء في الإسلام لديهم بدائل عن الجريمة والانتقام من الطبقات التي أعلى منهم، وتلك البدائل تتمثل في العمل للآخرة، ومعرفة أن الدنيا دار ممر وليست دار مقر. وأن الفروق بين الناس سنة من سنن الحياة، وما على الإنسان إلا أن يجتهد، وأن يبذل الأسباب، وله في كل ذلك أجر إذا احتسب.

ودعا الإسلام إلى الإنفاق في سبيل الله ووعد المنفقين بأن يجزل لهم العطاء، وجعل الإنفاق صفة من صفات المتقين والمحسنين الذين يسارعون إلى مرضاة الله،

ويطمعــون فــي دخول جناته. قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران:١٣٣-١٣٤). وقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّــذِي يُقْــرِضُ اللَّــهَ قَرْضــاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة:٢٤٥) والآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة في هذا الباب كثيرة.

وارتبط التشريع الإسلامي بالأخلاق، وإيقاظ الضمير، ومراقبة الله سبحانه وتعالى فــي الســر والعلــن. ومــن الجوانب الأخلاقية في التشريع الإسلامي دعوته إلى حسن المطالبة. قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُــونَ) (البقرة:٢٨٠) ومن جهة أخرى دعا إلى حسن الوفاء. فقد ورد في الأثر أن من اســتلف وهــو يــنوي رد ما استلفه سهل الله عليه ذلك، ومن استلف وهو لا ينوي رد ما اســتلفه عســر الله علــيه في ذلك، ودعا الإسلام إلى نبذ التسول، لأن فيه امتهاناً لكرامة الإنســان، وازدراء لوضعه. قال صلي الله عليه وسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى وفي كــل خــير) والــيد العليا هي التي تعطي، واليد السفلى هي التي تتلقف العطية على أثر التســول. ومن الجوانب الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي أنه حرم كل الطرق غير المشروعة لكســب المــال، مثل الربا السرقة، والرشوة والنهب، والغصب والاختلاس، والغرر وبيع المحــرمات، مثل الخمور والمسكرات. قال صلى الله عليه وسلم: (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به). ولم يكتف بذلك، وإنما حرم إنفاق المال الحلال في منافذ الإنفاق المحرمة مثل الزنا والرشوة، وشراء المحرمات المختلفة.

ولقــد دعــا الإسلام إلى العمل الجاد، واعتبره عبادة إذا قصد به وجه الله، وكان الهــدف منه سعي الإنسان على من يعول وعمارة الأرض. يقول المولى سبحانه وتعالى: (وَقُــلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّــئُكُمْ بِمَــا كُنْــتُمْ تَعْمَلُــونَ) (التوبة:١٠٥) وقال في موضع آخر: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك:١٥)

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملاً خيراً من أن يأكل من كد يده).

وسبيل الإسلام إلى زرع القيم الأخلاقية في نفوس أتباعه يتمثل في تربية الضمير، وإيقاظ الشعور بالمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، فالله مطلع على الضمائر والخفايا، وعالم بالأسرار وما تخفي الصدور، فلا مهرب منه إلا إليه. تروي كتب التاريخ أن الناس اشتكوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أن باعة اللبن يمذقونه بالماء، فأصدر الفاروق أوامره بعدم إضافة الماء إلى اللبن، وأذن مؤذن في الأسواق يخبر باعة اللبن بأن أمير المؤمنين قد نهى عن مذق اللبن بالماء. وقفل التجار إلى بيوتهم، وفي المساء كان الفاروق – كعادته – يتجول في أحياء المدينة، ويتفقد أحوال الرعية. وعندما كان قريباً من أحد البيوت سمع حواراً بين أم وابنتها. الأم تقول: قومي يا ابنتي وأضيفي على اللبن بعض الماء. فتقول البنت: إن أمير المؤمنين عمر نهانا عن ذلك. فتقول الأم: وأين عمر منا !! إنه نائم في بيته ولا يرانا!! فقالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا !!! عندها تبسم عمر رضي الله عنه، وقفل راجعاً إلى بيته، وفي اليوم التالي خطب تلك البنت لأحد أولاده، وأصبحت فيما بعد جدة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لأمه.

إن تلك الفتاة تمثل نموذجاً للضمير الحي، الذي يستشعر عظمة الخالق سبحانه وتعالى، ويراقبه في السر والعلن، فلا يظلم ولا يغش، ولا يخدع ولا يأكل أموال الناس بالباطل. إن هذا النوع من الناس هو ما يجب أن تسعى المدارس ووسائل الإعلام إلى إيجاده، النوع الذي يتحلى بالقيم الرفيعة، ويتقيد بالمثل العليا، يتحلى بالصبر، وحب العمل، وحب الخير للناس، ويتجنب سبل الحرام، ويكره إيذاء الناس وأكل أموالهم بالباطل، لا يسألون الناس إلحافاً، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف. إذا شاع هذا السلوك وأصبح يمثل السمة الغالبة لثقافة المجتمع فإن جرائم المخدرات، والمسكرات، والاختلاس، والتزوير، والرشوة، وجرائم غسل الأموال وغيرها من آفات المجتمعات المعاصرة سوف

تختفـــي أو تقل إلى أدنى مستوياتها. لقد كان التجار المسلمون يتحلون بهذه الأخلاق، ولهذا نشروا الإسلام في أصقاع كثيرة من العالم، منها دول جنوب شرق آسيا.

إن ثقافـــة المجتمع المسلم تدعو إلى التكافل والتعاون والإخاء، وترى أن الفروق بين الناس لا تقاس بالمال ولا بمقدار ما يملك الإنسان كما هو الحال في الثقافات الغربية، وإنما تقاس بتقوى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣) وقال صلى الله عليه وسلم: (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالــتقوى). ولقد طبق الرسول الكريم هذا في المجتمع المثالي الذي أقامه في المدينة عندما آخـــى بيـــن المهاجريـــن والأنصـــار، فأشـــرك الأنصار إخوانهم المهاجرين في بيوتهم وممـــتلكاتهم، وبلغ الأمر حداً يفوق التوقعات في بعض الجوانب، مثل أن يطلق الأنصاري إحدى زوجتيه ليتزوج بها أخوه المهاجر.

ومفهوما غسل الأموال، والأموال القذرة مفهومان معاصران وحديثان، ولم يكونا معروفيـــن للفقهـــاء المســـلمين، إلا أن معـــناهما ودلالاتهمـــا معروفة، ويدخلان ضمن المحـــرمات، وضـــمن السحت، وضمن أكل أموال الناس بالباطل. فالإسلام لا يُحل كسب المـــال بالـــباطل بغض النظر عن المصطلح أو التسمية، يقول المولى سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَـــا الـــنَّاسُ كُلُـــوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة:١٦٨) وقال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِـــنْدَهُمْ فِـــي التَّوْرَاةِ وَالأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَـــرِّمُ عَلَـــيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (لأعراف:١٥٧)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به). ويقول في حديث آخر (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا).

وغسل الأموال محاولة لإخفاء المصدر غير المشروع لتلك الأموال، وإذا كان في

الإمكان إخفاء ذلك المصدر عن البشر فإنه إخفاءه عن الله الذي يعلم السر وما يخفى غير ممكـن. وهو وحده سبحانه يعلم النوايا وما تخفي الصدور. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لك امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجـرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلـى ما هاجر إليه). ويذهب جمهور الفقهاء إلى أن العنب إذا بيع لمن يعصره خمراً حرم أكل ثمنه، بخلاف إذا ما بيع لمن يأكله، وكذلك السلاح إذا بيع لمن يقاتل به المسلمين حرم أكـل ثمنه، أما إذا بيع لمن يغزو به في سبيل الله فإن ثمنه يصبح من الطيبات، ولا يجوز التصرف في الأموال الناتجة عن الأعمال غير المشروعة لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُـوا مِـنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) (البقرة:٢٦٧) وقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّـبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة:١٧٢) وقال صلى الله عليه وسـلم: (من أصاب مالاً من إثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جمعاً ثم قُذف به في نار جهنم).

والمعـاملات التي يمكن أن تكون مجالاً للاستثمار في المنهج الإسلامي ترتكز على المرتكزات التالية (الشيخ، ١٩٩٩: ١٨-١٩):

١: إن إثـم الحرام لا يقتصر على فاعله المباشر وحده، بل يشمل كل من شارك بجهد مادي أو أدبي فيه. ومن أجل ذلك لعن الله في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وطالـب عصـرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها وبايعها وآكل ثمنها والمشـتري لهـا والمشتراة له. ولذلك فإنه يصبح محرماً كل نشاط استثماري في مراحل الإنتاج والتسويق والاستهلاك،يساهم بطريق مباشر أو غير مباشر في إنتاج وتسويق واستهلاك المحرم،لأن كل ما أعان على الحرام فهو محرم، وكل من أعان على محرم فهو شريك في الإثم.

٢: ينبغـي التنبه إلى الحيل الآثمة التي تسمي الشيء بغير اسمه مع بقاء حقيقته، مثل تسـمية القمـار (يانصيباً خيرياً)، والخمور (مشروبات روحية) وصدق رسول الله

صـــلى الله عليه وسلم، إذ قال (إن أناساً من أمتي يشربون الخمور ويسمونها بغير اسمها) وجاء في إغاثة اللهفان (يأتي على الناس زمن يستحلون الربا بالبيع).

٣: الإســـلام يقدر البواعث الكريمة والقصد الشريف، وبالنية السليمة تصير المباحات والعـــادات قـــربات وطاعـــات. ولكـــن الحرام هو الحرام مهما حسنت نية فاعله، والإســـلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمـــر المؤمنيـــن بما أمر به المرسلين. ثم ذكر (الرجل يطيل السفر أشعث أغـــبر، يمـــد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحـــرام، فـــأنى يســـتجاب لذلك). واعتصام القائمين على الاستثمار بما يدل عليه الحديـــث الشـــريف، يجنبهم مغبة الوقوع في الحرام أو المكروه، أو الشبهات، هم يحـــاولون استقصـــاء أفق استثمارهم. والجرائم التي تنصب على المال، والجرائم الاقتصـــادية فـــي الشـــريعة الإسلامية لم تنته بالحرابة، أو السرقة بل تتعداها إلى جـــرائم لا حصـــر لهـــا كالربا والغش، والاحتكار والتدليس، والتهرب من الزكاة والخـــراج، وأكل أموال الناس بالباطل، وتزوير العملة، والتهريب، والرشوة، وكل الأمـــوال الناتجة عنها هي أموال حرام والتي تقابل المال القذر الذي يتطلب غسلاً، وقـــد فتحـــت الشريعة باب الاجتهاد في الاعتبار والتقدير وحسب ظروف الزمان والمكان والبيئة، وأن تحدد العقوبة المناسبة والتعزير في نطاق السياسة الشرعية، والمصـــلحة تحرك التشريع وتيسر التطبيق. وبناءً على ما تقدم فإن المال القذر هو المـــال الحـــرام في الشريعة الإسلامية بمفهومه الواسع، ليشمل الأموال المتحصل علـــيها مـــن أنشـــطة حرام، والأموال المتحصل عليها وفقاً للقانون والشرع، ولكن يهـــدف أصحابها إلى التهرب من الالتزامات والأعباء التي يفرضها عليهم الشرع، فيقومون بتهريبها إلى الخارج، أو استخدامها في الداخل بقصد غسلها.

ولا يكتفـــي الإسلام بعوامل الترغيب في تعامله مع جمع الأموال بطرق محرمة،

وإنما يهتم الإسلام بجانب الترهيب، ويوليه عناية خاصة، ويوقع العقوبات الصارمة على من يرتكب جريمة اقتصادية. يقول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة:٣٣) . والجرائم الاقتصادية تؤدي إلى الإفساد في الأرض. فقطع الطرق، والتهريب، وترويج المخدرات، والغصب والسرقة، والاختلاس وغيرها كلها جرائم يحاربها الإسلام ويوقع على مرتكبيها عقوبات صارمة وشديدة. وقصة المرأة المخزومية التي سرقت، وأراد بعض الصحابة أن يشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال قولته المشهورة (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وردع المجرمين ومعاقبتهم من شأنه أن يحمي مصالح الناس، ويُبعد الأذى عنهم. ومصالح الناس تتمثل في حماية دينهم وأنفسهم، وأموالهم وعقولهم ونسلهم، وهذه المصالح لا قيام للحياة بدونها، وكل اعتداء عليها يعتبر جرماً يستحق العقاب، والعقوبة تردع المجرمين لوجود غريزة الخوف عند الناس الذين فطروا على البحث عن مصالحهم، وعلى الحرص على كف الأذى عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم(انظر، الباز،١٤٢٠: ٤٣٢).

والمال الذي يخضع لعمليات الغسل هو مال حرام في وصفه وكسبه، وإذا كان صاحبه مجهولاً ولا يمكن الوصول إليه بالبحث والتحري، فليس هناك فرق بين المال الحرام الذي في يد المسلم وبين المال الحرام الذي يخضع لعمليات الغسل والتبييض، لأن كليهما حرام في حكم الشرع جُهل مالكه، فيجب التخلص منه بوضعه في مصرفه الملائم وهو المصالح العامة، وإنفاقه على الفقراء وذوي الحاجات. وسواء تمت مصادرة هذا المال والاستيلاء عليه قبل إدخاله في عملية الغسل والتبييض، أو كان الاستيلاء عليه بعد خضوعه لتلك العملية فإن ذلك لا يغير من صفة هذا المال بأنه مال حرام أخذ بطرق لا يقرها الشرع، ولا يقبلها العرف والقانون (المصدر السابق ص: ٤٣٥-٤٣).

إن تعاليم الإسلام وهديه موجودان في القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم، وما

علينا إلا أن ننشئ الأجيال عليها، وأن نغرسها في نفوسهم، وأن يجتهد الكبار في أن يكونوا قدوة لهم في تمثل تلك التعاليم في التعامل، وفي الاستهلاك، وفي التحلي بالصبر، وفي الجد في العمل، وفي التكافل والتعاون، ومساعدة المحتاجين. وأن نجعل الإسلام قائداً لنا ومرشداً لحياتنا في جميع المواقف. عندها سوف تنخفض الجريمة إلى أدنى مستوياتها، وسوف يعمل كل فرد على محاربتها، ومكافحتها لأن ذلك جزء من الدين، ويقع في الصميم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الدراسات السابقة

جرائم غسل الأموال من الجرائم الحديثة نسبياً، خاصة في العالم العربي. ولهذا السبب تعود قلة الدراسات باللغة العربية حول هذا الموضوع، وإن كانت آخذة في الزيادة يوماً بعد يوم. وقد قام الباحث بتقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاث مجموعات، الأولى عن التقارير والمقالات، والثانية عن الدراسات، والثالثة عن المواقع على شبكة المعلومات والاتصالات الدولية (الإنترنت).

أولاً: المقالات والتقارير

تناول بعض الكتاب وبعض الصحف وبعض المواقع على الإنترنت موضوع (غسل الأموال) إما لتعريف الناس به، أو لتغطية بعض الأحداث المتعلقة به. ومن ذلك ما نشرته مجلة المجتمع (العدد ١٣١٩) تحت عنوان (غسل الأموال)، وهو مقال مختصر يتحدث عن انتشار الظاهرة، خاصة في مناطق الاتحاد السوفيتي (السابق) الذي تشهد جمهورياته جميع أنواع التجارة الممنوعة، بدءاً من العملة، ومروراً بالمخدرات والسلاح وتجارة الرقيق الأبيض. ويشير المقال إلى أنه وفقاً للبيانات الرسمية تسيطر المافيا على نحو ٤٠% من الاقتصاد الروسي، كما أشار إلى تقرير أعدته هيئة أبحاث دولية وقدمته لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) أن تجارة المخدرات هي المصدر الأساسي والأهم للأموال القذرة، كما ذكر التقرير أن عصابات الجريمة الروسية التي تعد من أكبر المتورطين في عمليات غسل الأموال القذرة بدأت في تشكيل تحالف مع المافيا

الإيطالـية، وعصـابات (الكارتل) في كولومبيا، وذلك للمساعدة على غسل الأموال بشكل مضمون وسريع.

ونشر موقع (arabia.com) تقريراً بعنوان (المصارف العربية تتصدى لغسل الأموال). جاء فيه أن عمليات غسل الأموال ما زالت بعيدة عن المصارف العربية، وبرر الـتقرير ذلـك بـأن حجـم المبالغ التي تغسل يكون في العادة كبيراً جداً يؤدي إلى إثارة الشـبهات حـول المصـارف العربـية، وهي في معظمها مصارف متحفظة لا تقبل فتح حسـابات مصـرفية لأموال مجهولة، أو لأسماء غير معروفة، وأن البورصات وأسواق المـال العربـية أسواق ناشئة، وأحجام التداول فيها صغيرة ومحدودة، لهذا فهي لا تصلح لأن تكون مسارب لغسل الأموال اللازمة. كما نشر الموقع نفسه (arbia.com) تقريراً آخـر بعنوان (الغسيل الإلكتروني للأموال العربية) بنته على شكوى بعض الدول الخليجية مـن أن مؤسساتها وشركاتها تتعرض بين حين وآخر إلى ممارسات تخريبية تتم تحت ما يعرف بالاقتصاد الإلكتروني. وتعرض التقرير لظاهرة غسل الأموال، ودور الإنترنت في عملـياتها، ولهـذا يجب أن تتم المكافحة بالطريقة نفسها، أي عن طريق الإنترنت. ومن مظاهـر العملـيات التـي أوردهـا التقرير أن بعض الجهات تقوم بفتح حساب في أحد المصـارف الخليجـية بواسـطة الإنترنـت، وتستخدمه لمرة واحدة، أو إجراء عدد من التغيـيرات المفاجـئة على حساب معين، أو سحب الأموال بعد إيداعها بوقت قصير، أو تقديـم معلومـات خاطـئة، أو فتح عدة حسابات في البنك نفسه ولكن في فروع متعددة، وإجراء العمليات فيما بينها، وتحويل الأموال الكبيرة من عملة لأخرى، وصرف الشيكات السـياحية بمـبالغ كبيرة. وقد تنبه المسؤولون في تلك البنوك إلى هذه العمليات التي تدل على غسل للأموال، وأخذوا يتصدون لها. وُيختتم التقرير بحديث عن الاقتصاد الإلكتروني وتطوير أنظمته بما يسد الطريق على عصابات غسل الأموال.

وكتـب عبدالقادر الكاملي مقالاً عن غسل الأمول، بدأه بالحديث عن المفهوم، ثم تحدث عن (الاتجاهات العالمية الحديثة في غسل الأموال) ومن أهمها الطبيعة العالمية لظاهرة

غســل الأمــوال، إذ يمــيل غاســلو الأموال إلى نقل أنشطتهم إلى أماكن ليست فيها إجــراءات مضــادة لغسل الأموال. والاتجاه الثاني يتمثل في التحرك بعيداً عن قطاع البـنوك، والاتجــاه إلــى المؤسسات غير المصرفية، كسوق صرف العملات، وسوق الحــوالات المالــية. وهناك اتجاه ثالث ذكره الكاتب وهو الاتجاه نحو القطاعات غير المالــية (غــير البنوك، وصرف العملات)، وتلك القطاعات تتمثل في تجارة البضائع الثميــنة، والمؤسســات الخدمــية كالمحامــاة، ومكاتب المحاسبة القانونية، والوكالات العقاريــة ونحوهــا. ثم يسوق الكاتب أمثلة حية مثل نوادي الإنترنت للقمار، واستخدام التقنـــيات الذكـــية فـــي غســـل الأمـــوال.
www.ditnet.com.ae/arabic/internet/study1101a3.html

ونشــرت جــريدة (البــيان) الإماراتــية تقريراً مطولاً بعنوان: (قانون مصرفي لمكافحــة غســل الأموال.. لماذا؟ إغراءات عديدة تجعل من الإمارات سوقاً مستهدفة من مافــيا غســل الأموال) والتقرير انعكاس لما دار على صفحات الجريدة من جدال بين قائد عــام شــرطة دبي ومحافظ المصرف المركزي بشأن دور المصرف في مساعدة أجهزة الشــرطة فــي ملاحقــة عصابات غسل الأموال. ويدعو التقرير إلى وجود قانون يجرم عملــيات غســل الأموال، وأن أجهزة الأمن تدق جرس الإنذار بناءً على العمليات التي تتمكن من ضبطها ومعظمها يتعلق بالمخدرات وتهريبها. وأورد التقرير إحصاءات لما تم ضــبطه مــنها. ثم يتحدث التقرير عن مراحل غسل الأموال، ودور المصارف في ذلك، وعلاقــتها بالجــريمة المنظمة، وأضرار غسل الأموال على الاقتصاد الوطني. كما شمل الــتقرير مقــابلات مع بعض المتخصصين والمهتمين بالظاهرة، والذين يشغلون وظائف اقتصادية متقدمة في دولة الإمارات. www.albayan. com

ثانياً: الدراسات

الدراســات عــن ظاهرة غسل الأموال باللغة العربية تتزايد بتزايد الاهتمام بهذه الظاهــرة، ومــن الدراســات التي تناولتها دراسة الطحاوي وآخرين (١٩٩٥م) بعنوان:

(مفهوم ظاهرة غسل الأموال وأبعادها دولياً ومحلياً) وفي مبحثها الأول قاموا بتقديم مفهوم (غسل الأموال) وتطوره، وبعض تعريفاته، أما المبحث الثاني فكان عن (أهداف وطبيعة عمليات غسل الأموال). أما سمات وخصائص عمليات غسل الأموال فيرى الباحثون أنها تتمثل في الآتي: ١) إنها عمليات ذات طبيعة دولية، أي أن أطرافها قد يكونون من عدد من الدول، وتوزع الأدوار بينهم لإتمام عملية غسل الأموال بطريقة لا تكشف أصولها. ٢) إنها عمليات معقدة، وصعبة الإثبات. ٣) إنها تدخل في دائرة الجريمة المنظمة.

والدراسة في مجملها دراسة نظرية، تمت فيها مراجعة مفهوم غسل الأموال، وأهدافه، وخطواته، وأخطاره. ويؤخذ على الدراسة أنها لم تستعرض أي دراسات سابقة، ولم ترتكز على إطار نظري، ولم تقدم قائمة بالمراجع التي اعتمدت عليها، ولم تتوصل إلى نتائج واضحة، ولم تقدم توصيات. ومع ذلك كله فالدراسة مفيدة في تكوين خلفية عن الموضوع، وكشف أبعاده العامة، وإبراز أهم جوانبه التي تستحق متابعة الدراسة والبحث.

وأعد الهلالي وآخرون (١٩٩٥م) دراسة بعنوان: (ظاهرة غسل الأموال وآثارها السلبية على المجتمع) واستعرض الباحثون من خلالها تأثير ظاهرة غسل الأموال على اقتصاد البلاد، لأنها تعمل على إضعاف سعر الصرف للعملة الوطنية وإضعاف قوتها الشرائية، وقد تؤدي إلى سيطرة غاسلي الأموال على السوق المحلي، كما تؤثر على الاحتياطي الاستراتيجي للعملة الحرة بالبنوك، وتؤثر سلباً على الضرائب كمصدر للدخل الوطني، وهي مرتبطة بالجريمة وخاصة الجريمة المنظمة. واستعرض الباحثون الآثار الاجتماعية لظاهرة غسل الأموال والتي تتمثل في ١) خلق صراع بين فئات المجتمع وطبقاته. ٢) الخلل في تحقيق العدالة الاجتماعية. ٣) خلق أزمات أمنية ونشر الجريمة في المجتمع. ٤) التأثير السلبي على القيم الأخلاقية وذلك بإشاعة الفاحشة والمحرمات والمخدرات وكل ما من شأنه تدمير الآداب العامة.

ولعل أهمية هذه الدراسة تكمن في قيامها بدراسة ميدانية حول الآثار السلبية لظاهرة غسل الأموال على المجتمع، اعتمد فيها الباحثون على مقابلات غير مقننة مع

(إخباريين رئيسيين Key informative) هم ستة أشخاص خمسة منهم في موقع المسؤولية في إدارات لها علاقة بجرائم الأموال وجمعها من مصادر غير مشروعة مثل المخدرات، والتهرب من الضرائب. وكل إدارة من تلك الإدارات لها دور فاعل في منع جمع المال بطرق غير مشروعة. وكان هناك شبه إجماع بين الذين تمت مقابلتهم على ضرورة تعديل قانون سرية الحسابات، ولم يعارض ذلك إلا مستشار محافظ البنك المركزي، كما كان هناك شبه إجماع على ضرورة التوسع في إنشاء إدارات متخصصة في مكافحة جرائم غسل الأموال، وزيادة التعاون بين الإدارات المختلفة في هذا الجانب، وسن قانون يجرم غسل الأموال لأنه: (لا جريمة إلا بنص، ولا نص إلا بإعلان) وما لم يوجد ذلك القانون، فمن الصعب تجريم من يقوم بغسل الأموال.

ومن الدراسات التي تناولت جريمة غسل الأموال دراسة زاهر وآخرين (١٩٩٥م) بعنوان: (العلاقة التبادلية بين الجريمة المنظمة وعمليات غسل الأموال) وقد بدأت الدراسة بتعريف الجريمة المنظمة، تم بيان الملامح العامة لها وشمل ذلك نبذة تاريخية عنها، وعن ظهور عصابات المافيا وانتشارها، ودورها في الحروب، واهتمام الأمم المتحدة بالجريمة المنظمة. واستعرض الباحثون أساليب الجريمة المنظمة، والنشاطات الإجرامية التي تندرج تحتها. ومن الأساليب التي ورد ذكرها ١) إدارة النشاطات غير المشروعة طبقاً لأحدث التقنيات. ٢) استخدام الأساليب المختلفة لاختراق وتحجيم أجهزة الشرطة والأجهزة الرسمية الأخرى. ٣) عدم التردد في استخدام العنف والبطش بالمنافسين لإبعادهم والتخلص منهم.

أما أهم نشاطات الجريمة المنظمة فتتمثل في: ١) جرائم العنف البدني. ٢) القمار والمراهنات غير المشروعة. ٣) الجرائم المالية. ٤) المخدرات والأسلحة وتجارة الرقيق الأبيض. ٥) الاتجار غير المشروع في الأسرار الصناعية والتجارية والعلمية والفنية والتحف الأثرية والذهب والمجوهرات. ٦) الاتجار غير المشروع بالأيدي العاملة المهاجرة، وبالأعضاء البشرية للفقراء. ٧) الاتجار بالسلع المغشوشة والخدمات الوهمية.

٨) سرقة البضائع من الوسائط التي تنقلها. ٩) سرقة الأطفال والاتجار بهم. ١٠) تصريف النفايات السامة. ولا شك أن عصابات الجرائم المنظمة تحتاج إلى غسل الأموال التي تحصل عليها من هذه النشاطات غير المشروعة، وبهذا تكون الجريمة المنظمة من أقوى الجهات صلة بغسل الأموال.

ومن أهم الدراسات ذات العلاقة بدراستنا هذه دراسة رضوان وآخرين (١٩٩٥) بعنوان: (السياسات الاقتصادية والمصرفية ودورهما في مواجهة عمليات غسل الأموال) وبدأت -كغيرها من الدراسات- بتعريف غسل الأموال، وفرق الباحثون بين الأموال القذرة وهي التي يتم الحصول عليها بوسائل غير مشروعة، والأموال السوداء وهي التي يتم الاحتفاظ بها سراً للتهرب من الضرائب. أما الأساليب والطرق المصرفية المتبعة في عمليات غسل الأموال فتتمثل- من وجهة نظر الباحثين- في الآتي:

١) ما عرف بأسلوب بنك الاعتماد والتجارة، وخلاصته أن مهربي المخدرات يشحنون بضاعتهم من كولومبيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويبيعونها ويودعون قيمتها في فرع بنك الاعتماد والتجارة الدولي في فلوريدا الذي يقوم بدوره بتحويلها إلى كولومبيا عبر فروعه المختلفة، وبهذه الطريقة تتم عملية غسل تلك الأموال.
٢) شراء التحف والمجوهرات والسيارات الفارهة، ثم بيعها وقبض ثمنها بشيكات.
٣) طلب قروض بضمان الأموال المودعة لدى البنك أو لدى بنك آخر.
٤) غسل الأموال من خلال عمليات الاستيراد والتصدير.
٥) غسل الأموال من خلال التلاعب بالإقرار الجمركي.
٦) غسل الأموال عن طريق صالات القمار.
٧) غسل الأموال عن طريق المغاسل الآلية، فتاجر المخدرات يفتح مكاناً لغسل الملابس يتم الدفع فيه نقداً، ويدمج عائدها مع الأموال القذرة ويودعه البنوك.
٨) شراء المشروعات الخاسرة، وتغطى خسائرها من بيع المخدرات ونحوها، وتظهر الأموال على أنها من مكاسب تلك المشروعات.

٩) المطـاعم الكـبرى وشـقق التملـيك، وأراضي البناء ومحلات البيتزا ونحوها تعتبر مجالات لغسل الأموال.

وأعـد صـوان وآخرون (١٩٩٥م) دراسة بعنوان: (تقييم المواجهة التشريعية لعملـيات غسل الأموال دولياً ومحلياً). وابتدأت الدراسة باستعراض أهم نقاط اتفاقية الأمم المتحدة التي تمت المصادقة عليها من قبل (١٠٦) دول في فينا عام ١٩٨٨م، واستعراض أهـم بـنودها والتـي تتمثل في المادة الثالثة المتعلقة بالتجريم والجزاء، والمادة الخامسة المـتعلقة بالمصادرة، والمادة السابعة المتعلقة بالمساعدة القانونية بين الأطراف. ثم تناول الباحثون إعلان بازل للمبادئ المصرفية لعام ١٩٨٨م والذي يدعو إلى إجراء تدقيق كامل فـي هوية العميل الجديد، والتأكيد على عدم تقديم أي تسهيلات لتنفيذ أي عمليات لها صلة بغسـل الأمـوال، وتدريـب العامليـن في البنوك بما يمكنهم من التعرف على العمليات المشـبوهة. وقـد وقعـت على هذا الإعلان جميع دول أوربا الغربية والولايات المتحدة، وسارت على نهجه أستراليا.

كمـا اسـتعرض الباحثون مجموعة من التقارير الدولية التي لها علاقة بجرائم غسـل الأمـوال. وخلصوا إلى أن كل دولة لها ظروفها و تشريعاتها وقوانينها الخاصة؛ وعلـيها أن تـأخذ مـن تجارب الدول الأخرى، ومما توصلت إليه المؤتمرات والندوات والاتفاقيات الدولية ما يفيدها ويخدمها في هذا الجانب.

وتناولـت دراسة الغمري وآخرين (١٩٩٥م) التي عنوانها: (نحو تخطيط أمني فعـال لمواجهـة عملـيات غسل الأموال) بعض الجوانب الأمنية. بدأ الباحثون دراستهم بالحديـث عـن المواجهـة الأمنية على المستوى المحلي ومدى نجاحها. وترى مجموعة البحث أنه لكي يتم التوصل إلى مواجهة شرطية فاعلة لعمليات غسل الأموال يجب أن يتم إنشـاء إدارة عامـة لغسل الأموال تتبع قطاع الأمن الاقتصادي، تكون بمثابة جهاز أمني مـدرب ومؤهل، ولديه المعرفة بأنظمة التعامل مع عمليات غسل الأموال، وتتبع وترصد حركـتها وتأثـيرها على الاقتصاد الوطني للبلاد ويقع عليها عبء القيام بالمهام اللازمة

لمكافحة هذه العمليات.

وعــن التعاون بين الدول قدم عباس وآخرون (١٩٩٥م) بحثاً بعنوان: (التعاون العربي والدولي في مجال مواجهة غسل الأموال)، وفيه تم استعراض التعاون العربي من خـــلال الاتفاقات الدولية التي رعتها الأمم المتحدة، والاتفاقات العربية التي وقعها وزراء الداخلـــية العــرب، ومــنها (الاســتراتيجية العربــية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخـــدرات والمؤثرات العقلية) والتي تم التوقيع عليها بتونس في عام ١٩٨٦م، وإذا تمت محاربـــة المخـــدرات بكفاءة، فإن ذلك سوف يحد كثيراً من عمليات غسل الأموال، وذلك بتجفيف المنابع التي تغذي تلك العمليات وتزودها بالأموال غير المشروعة.

ولكـــثرة التساؤل حول جرائم غسل الأموال، ولتعريف الناس بها أعـــد أبو سمرة (١٩٩٧) دراسة بعنوان (غسل الأموال بين الحقيقة والخيال). وقد بدأ دراسته بحديث عن مفهـــوم غسل الأموال، ثم استعرض الأسباب والكيفية والتوقيت والأمكنة المناسبة لعمليات غســـل الأمـــوال. وذكر أن سويسرا، وجنوب أفريقيا، وكندا، والإكوادور تعتبر من أكثر الأماكـــن التـــي تـــتم فيها عمليات غسل الأموال.وتناول الباحث خطر غسل الأموال على الاقتصاد محلياً وعالمياً. فعمليات غسل الأموال تعني زيادة في نشاطات عصابات الجرائم المنظمة، وزيادة في عمليات التهريب، وترويج المخدرات، وكل ذلك يؤدي إلى الإضرار بمصـــداقية الأســـس الاقتصـــادية الدولية المتعارف عليها، والإضرار باستقرار الأسواق المالية.

ثالثاً : مواقع على الإنترنت

ممـــا يؤسف له أنه لا يوجد موقع واحد متخصص في جرائم غسل الأموال باللغة العربـــية علـــى الإنترنت. أما باللغات الأجنبية فقد أورد موقع (ياهو yahoo) ستة عشر موقعـــاً متخصصـــاً فـــي موضوع غسل الأموال، ومعظم تلك المواقع باللغة الإنجليزية، وبعـــض تلـــك المواقع يمثل منظمات دولية متخصصة في مكافحة جرائم غسل الأموال، وبعضـــها تابع لمؤسسات، وبعضها برعاية أفراد مهتمين بهذا الموضوع. وكثير من تلك

المواقع يشتمل على إحصاءات، ومنشورات، ودراسات. وتتغير معلوماتها من وقت لآخر حسب ما يصلها من إحصاءات ودراسات، ولعل أهم تلك المواقع هو موقع (قوة عمل الواجب المالية لمكافحة غسل الأموال، Financial Action Task Force on Money Laundering) (فيتف، FATF)، وسيشار لها في هذه الدراسة باسم (فيتف). وتشتمل خريطة موقع (فيتف) على العناوين التالية:

- ماذا نقصد بغسل الأموال. ويغطي هذا الجزء مفهوم غسل الأموال، وتطوره، وأهم عملياته.
- حول (فيتف)، وهذا الجزء تعريف بالمنظمة، وأنها جهاز عبر حكومي (intergovernmental body) هدفه تنمية وترقية السياسات على المستوى الوطني والمستوى العالمي للتصدي لعمليات غسل الأموال. ولهذا فإن (فيتف) جهاز لوضع السياسات التي تعمل على تحريك الإرادة السياسية للبلدان المختلفة لوضع وتحسين قوانينها وسياساتها الوطنية لمواجهة عمليات غسل الأموال.

وتقوم (فيتف) بمراقبة ومراجعة تقدم الدول الأعضاء في مجال تطبيق سياسات وبرامج مواجهة غسل الأموال على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي. وليس لدى (فيتف) نظام محدد لا تحيد عنه، وليس لديها جدول زمني محدد، وإنما تقوم بمراجعات لمهامها كل خمس سنوات. وقد أسست (فيتف) في عام ١٩٨٩م، وتم الاتفاق على أن تستمر في أعمالها إلى عام ٢٠٠٤م. وفي ذلك التاريخ سوف يحدد الأعضاء ما إذا كانت هناك ضرورة لاستمرارها أم لا.

وانبثق تأسيس (فيتف) عن مؤتمر الدول السبع الكبار (G-7) الذي عقد في باريس في عام ١٩٨٩م، وذلك لما تمت ملاحظته من تزايد للأخطار التي تهدد النظام المصرفي، والمؤسسات الاقتصادية. وشملت (فيتف) عند تأسيسها الدول السبع الكبار، والمجموعة الأوربية، وثماني دول أخرى. وأصبح من مسؤوليات (فيتف) اختبار تقنيات واتجاهات عمليات غسل الأموال، ومراجعة الإجراءات التي تم اتخاذها على المستوى

المحلـــي والدولي، ووضع الإجراءات والسياسات التي ترى أن هناك حاجة لتطبيقها. وفي أبـــريل من عام ١٩٩٠م- أي خلال أقل من عام منذ تأسيسها- أصدرت (فيتف) تقريرها الأول والـــذي ضـــم أربعين توصية يمكن على ضوئها اتخاذ الإجراءات المضادة لعمليات غسل الأموال.

وخـــلال عامـــي ١٩٩١ و ١٩٩٢م وسعت من عضويتها لتشمل ٢٨ دولة، منها مقعـد لـدول مجلس التعاون الخليجي مجتمعة. ومنذ تأسيسها استمرت (فيتف) في اختبار الطـرق التـــي تستخدمها العصابات المجرمة لغسل الأموال، وقامت بجولتين لتقييم جهود الـــدول الأعضاء في هذا المجال، كما قامت بتحديث توصياتها الأربعين لتعكس التغيرات التي حدثت في عمليات غسل الأموال، كما استمرت في تشجيع الدول الأخرى حول العالم لاتخاذ الإجراءات اللازمة لمكافحة عمليات غسل الأموال.

وتوصـــيات (فيـــتف) الأربعيـــن وُضــعت كإطار عالمي لمكافحة عمليات غسل الأموال. حيث تقدم إجراءات متكاملة مضادة لغسل الأموال، تغطي نظام العدالة الجنائية، وقوى تنفيذ القانون (law enforcement) والنظام المالي وقوانينه، والتعاون الدولي. وتـــم الاعـــتراف بالتوصـــيات الأربعيـــن، وتطبـــيقها أو تبنيها من قبل الكثير من الدول والمـــنظمات الدولـــية. والتوصيات ليست معقدة ولا صعبة، ولا تعارض الحرية في القيام بعمـــل مالـــي نظامي، ولا تهدد التنمية الاقتصادية. إن التوصيات الأربعين تضع المبادئ العامـــة للتحرك والعمل، وتسمح للدول بمرونة في تطبيق تلك المبادئ بناءً على ظروفها الخاصة، وإطارها المرجعي. ومع أن التوصيات الأربعين ليست ملزمة دولياً، فإن الكثير مـــن دول العـــالم التزمـــت سياسياً بمكافحة عمليات غسل الأموال من خلال تطبيق تلك التوصيات.

والتوصـــيات وضعت في عام ١٩٩٠م، ونقحت وطورت في عام ١٩٩٦م آخذةً فـــي الحســـبان التغيرات في اتجاهات غسل الأموال، والأخطار المستقبلية المحتملة. كما تبنـــت (فيـــتف) عـــدة مذكرات تفسيرية لشرح بعض تلك التوصيات، وبيان كيفية تطبيقها

واقعياً. وأهم بنود التوصيات تتمثل في الآتي: (انظر: www.oced.org/fatf/):

- تجـريم علميات غسل الأموال واعتبارها من الجرائم الخطيرة (توصية ٤)، ووضع القوانين لحجز ومصادرة ما ينتج عن غسل الأموال (توصية ٧).
- الـتزام المؤسسات المالية بمعرفة كل عملائها، بما في ذلك المستفيدين من الأملاك والحيازات، وأن تحتفظ بسجل متكامل لكل عميل (التوصيات من ١٠ إلى ١٢).
- يجب على المؤسسات المالية أن تبلغ السلطات الوطنية المختصة عن العمليات التي تشك وتشتبه فيها (توصية ١٥). وأن تطبق إجراءات شاملة للتحكم الداخلي (توصية ١٩).
- وجـود أنظمة مناسبة للتحكم والإشراف على المؤسسات المالية (التوصيات من ٢٦ إلى ٢٩).
- الحاجة إلى الدخول في المعاهدات والاتفاقات الدولية، وأن تقدم من خلالها الأنظمة والتشـريعات المحلية، مما سوف يساعد الدول على تعاون بناء ومثمر على مختلف المستويات (التوصيات من ٣٢ إلى ٤٠).

و تذكر المنظمة جهود الدول الأعضاء في تنفيذ تلك التوصيات الأربعين، وتقويم الجهود من وقت لآخر من خلال استبيان تتم الإجابة عليه سنوياً.

أما مهمة (فيتف) وأهدافها فتتمثل في الآتي:

I) نشر رسالة مكافحة غسل الأموال في جميع القارات وجميع الأقاليم.

II) المساعدة في تطبيق التوصيات الأربعين من قبل الدول الأعضاء.

V) مـراجعة اتجاهـات غسـل الأموال، ومعرفة العمليات المضادة التي تتخذ في هذا المجال.

وتصدر (فيتف) تقريراً سنوياً عن إنجازاتها، وآخرها صدر في ٢٢ يونيو ٢٠٠٠م.

ومـن المواقـع المتخصصة في غسل الأموال موقع (بلي لمعلومات غسل الأموال، Billy's Money Laundering Information Website). ويـبدو أن (بلـي

ستيل، Billy Steel) هذا قد أجرى دراسة عن غسل الأموال، ثم وضعها أساساً لهذا الموقع الذي فتح له قنوات اتصال مع غيره من المواقع المشابهة ومع المهتمين بجرائم غسل الأموال، وأخذ يجدده حسب المعلومات المتاحة من وقت لآخر.

وخريطة الموقع تشبه فصول دراسة عن الموضوع، حيث يبدأ بتاريخ موجز عن بدايات عمليات غسل الأموال في الثلاثينات من القرن العشرين (١٩٣١م) وذلك عن طريق قضية (آل كابوني، Al Capone) وكيف تطورت، ثم يعرج على تعريف غسل الأموال، ومنها ينتقل للحديث عن حجم المشكلة عن طريق تقديرات الأموال التي يتم غسلها.

وقامتِ وزارة المالية الأمريكية بإنشاء موقع عنوانه (غسل الأموال: دليل إرشادي لموظفي البنوك لتجنب المشكلات، Money Laundering: A Banker's Guide to Avoiding Problems). وتهدف من ورائه إلى رفع مستوى الوعي لدى موظفي البنوك وإرشادهم إلى أنجع السبل لتجنب مشكلات غسل الأموال، ويبدأ موقع www.occ.tears.gov/launder/org.htm بمقدمة مختصرة يعرف فيها غسل الأموال، وحجم الظاهرة، وخطوات غسل الأموال، والحالات التي يجرم فيها القانون تلك العمليات وهي ١) القيام بمساعدة غاسلي الأموال عن علم ومعرفة. ٢) التورط في تحويل عشرة آلاف دولار أو أكثر مصادرها غير مشروعة. ٣) القيام بعمليات تحويل فيها هروب من نظام سرية الحسابات. وأخيراً يقدم الموقع نصائح للعاملين في البنوك حول جرائم غسل الأموال وطرق التعامل مع الحالات المشبوهة. والموقع مفيد جداً لمن يعمل في البنوك حول العالم وليس فقط في أمريكا.

ومن المواقع التي تتناول موضوع غسل الأموال موقع (غسل الأموال: دليل احترازي لأصحاب الأعمال الصغيرة وتبادل العملات في كندا، *Money Laundering: A Preventive Guide for Small Business & Currency Exchange in Canada*) ويحوي موقع www.rcmpgrc.ca/html/launder.htm . والهدف كما يشير عنوان الموقع هو

إرشاد أصحاب الأعمال الصغيرة إلى تفادي الوقوع في عمليات غسل الأموال، حيث بين أهـداف غسـل الأمـوال، وطرقها، ويقدم نصائح للتجار لأخذ الإجراءات الاحترازية في الـتعامل مـع الزبائن. والموقع مفيد لمن يعمل في التجارة لمساعدته في تجنب أن يكون ضحية لعمليات غسل الأموال. وفي أن يكون على وعي وإدراك بتلك الجرائم.

منهج الدراسة

كلمـا اسـتخدمت الدراسـة مناهج متعددة، وطرقاً مختلفة لجمع المعلومات عن موضـوعها كـان ذلك أفضل وأقوى للحصول على نتائج أدق وأشمل. فالمناهج والطرق المختلفة يؤازر بعضها بعضاً، وتكمل المعلومات التي يمكن الحصول عليها باستخدام كل مـنهج المعلومـات التـي قد لا يتمكن المنهج الآخر من الحصول عليها. فبالإضافة إلى الاسـتفادة ممـا كتب عن جرائم غسل الأموال لمعرفة أبعاد الظاهرة وحجمها وأضرارها علـى الاقتصـاد الوطني وطرق مكافحتها، استخدمت هذه الدراسة المنهج التاريخي لتتبع ظاهـرة غسل الأموال في سياقها التاريخي ، ومعرفة الملابسات والظروف التي صاحبت ظهورهـا. كمـا قامـت هـذه الدراسة بمسح ميداني للمسؤولين عن البنوك والمصارف المحلـية فـي مدينة الرياض، وبعض المدن الرئيسية الأخرى، مستخدمة في ذلك المنهج الوصـفي، كمـا اعتمدت على بعض الإخباريين ممن لهم علاقة مباشرة بقضايا وعمليات غسـل الأمـوال في مؤسسة النقد العربي السعودي، وفي الأمن العام، وفي إدارات بعض البنوك في مدينة الرياض.

عينة الدراسة

تـم توزيـع الاسـتبيان عن طريق مؤسسة النقد العربي السعودي على إدارات البنوك في مدينة الرياض، وقامت بعض البنوك بإرسال نسخ من الاستبيان إلى فرعها في جـدة والدمام، وقد شملت الدراسة قياديين من مؤسسة النقد العربي السعودي، وقياديين من أحد عشر بنكاً رئيسياً، ومن مؤسستين للصرافة، وبلغ مجموع الاستمارات التي تم تفريغها

وتحليلها ثماني عشرة استمارة.

طريقة اختيار العينة

القـياديون فـي البنوك هم في الغالب من أكثر العاملين في البنوك معرفة ودراية بخفايـا وأبعـاد ظاهـرة غسل الأموال، ومن أقدرهم على تقدير المتغيرات المتعلقة بها، واقـتراح الحلـول لمكافحـتها، ولذلك عمدت الدراسة إلى اختيار عينة عمدية من قياديي البـنوك، بواقـع قـيادي على الأقل لكل بنك رئيسي، وقد تم توزيع الاستبيان عن طريق مؤسسـة النقد العربي السعودي لكل إدارة مركزية من إدارات البنوك الرئيسية في المملكة ليـتم تعبئـتها من أحد القياديين، وتم اختيار مؤسسة النقد لتوزيع الاستبيانات، لأن البنوك تستجيب لما يطلب منها عن طريق مؤسسة النقد، وتهتم بإنجازه بدقة وسرعة، بينما قد لا تسـتجيب للباحـث لكثرة مشاغل الإداريين والقياديين في تلك البنوك، وإذا استجابت فإن اسـتجابتها قـد تكون بطيئة، وسوف تختلف من بنك إلى آخر، وحتى لا يكون هناك تأثير على المبحوثين بسبب توزيع الاستمارة عن طريق المؤسسة، ترك اسم المبحوث اختيارياً، ثـم إن أسئلة الاستبيان ليس فيها ما يدعو المبحوثين إلى عدم الإفصاح عن آرائهم بصدق فيما يخص ظاهرة غسل الأموال.

أداة جمع البيانات

تمثلـت أداة جمع البيانات في هذه الدراسة في استمارة محكمة تشمل المعلومات المطلـوب معرفـتها من عينة الدراسة، مثل الاحتياطات التي يجب اتباعها لمنع عمليات غسـل الأموال، وتقديرات حجم الأموال المغسولة، وهل سبق أن كشف للجهات الرسمية بعـض تلـك العملـيات، وإذا كانـت هـناك عملـيات تم كشفها فما أهمها، وكيف تمت إجـراءاتها، وما هو مستوى التنسيق بين البنك والجهات الأمنية في هذا الجانب. وما هي مقترحاته حول أنجع وأنسب السبل لمكافحة جرائم غسل الأموال.

هـذا وقـد تـم تحكيم الاستبيان من قبل مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في قسم

الاجتماع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهم كل من الدكتور سعد السعران، والدكتور عبدالرحمن العسيري، ورئيس القسم الدكتور عبدالله اليوسف، والدكتور ناصر المهيزع، والدكتور موسى آدم عبدالجليل، كما تم عرضها على بعض العاملين في البنوك وهم جمعان أحمد سالم مدير فرع البنك الأهلي في شارع الجامعة، وخالد أبو الرقوش المدير السابق لفرع البنك السعودي الأمريكي في شارع عبدالرحمن الغافقي، ومحمد حمدان حمدان أحد موظفي البنك السعودي الأمريكي. وقد تم تعديل الاستبيان بناءً على المقترحات التي أبدوها.

وحدة الدراسة

تتمثل وحدة هذه الدراسة في القياديين في البنوك المركزية في المملكة العربية السعودية، وبما أن كل واحد منهم ينتمي إلى الإدارة العليا، أو الوسطى في البنك الذي يعمل فيه، فإنه يمكن النظر إلى البنوك على أنها من وحدات الدراسة، خاصة فيما يتعلق بالإجراءات التي يتبعها البنك عندما يكون هناك شك في وجود عمليات لغسل الأموال، ودور البنك في كشف عمليات لغسل الأموال، وتبليغ الجهات الأمنية عنها.

مجالات الدراسة

المجال البشري: ويتمثل في القياديين في البنوك الرئيسة في المملكة العربية السعودية.

المجال المكاني: ويتمثل في البنوك الرئيسية الواقعة داخل حدود المملكة العربية السعودية.

المجال الزمني: أجريت هذه الدراسة في منتصف عام ١٤٢٢هـ .

متغيرات الدراسة

المتغير التابع: وهو المتغير الذي يقع عليه التأثير، ويتمثل في هذه الدراسة في جرائم غسل الأموال.

المتغيرات المستقلة: وهي المتغيرات التي يقع منها التأثير، وفي هذه الدراسة كثير من

المتغــيرات المستقلة التي حواها الاستبيان، مثل درجة انتشار تلك العمليات، والإجراءات التي تتخذ عندما يكون هناك شك في الأموال المودعة، وسرية الحسابات، ودرجة التعاون بيــن الجهــات الأمنية والجهات المالية، والتقنية الحديثة، ودرجة الصعوبة في القيام بتلك العملــيات، وإمكانية كشفها، وقوة الإجراءات المضادة لها، والتعاون بين الجهات المختلفة في مكافحتها.

نتائج الدراسة

عــاد مــن الاســتمارات التــي أرسلت إلى إدارات البنوك ومؤسسات وشركات الصــرافة ثمانــي عشــرة استمارة، بواقع استمارة واحدة لكل بنك رئيسي، واستمارة من مؤسســة النقد العربي السعودي، واستمارة واحدة من مؤسسة للصرافة، واستمارة أخرى لشركة للصرافة، أما بنك الجزيرة فقد وصل منه سبع استمارات، تمت تعبئتها من قياديين فــي البــنك بفروعه المختلفة في جدة والرياض والدمام، وجميع استمارات الدراسة عبئت مــن قــبل قياديــين فــي البنوك والمؤسسات المبحوثة لديهم الخبرة، والمعرفة، والدراية بعملــيات غســل الأمــوال، ودور البنوك في تسهيل تلك العمليات، أو كشفها ومكافحتها، وبإمكــانهم أن يسهموا بآرائهم في وضع استراتيجية لمكافحة عمليات غسل الأموال، وقد بلــغ مجمــوع عيــنة البحــث ثمانــية عشر مبحوثاً. ويوضح الجدول رقم (١) البنوك ومؤسســات وشــركات الصرافة التي شملتها الدراسة، ومواقعها، ووظيفة من قام بعتبئة الاستمارة.

وتبين من نتائج الدراسة أن ٩٤,٥% قد تجاوزوا الثلاثين من العمر، وهذا مؤشر على النضج والخبرة، والوصول إلى عمر يمكن الشخص من الرؤية الموضوعية للأمور، بعيداً العواطــف والارتجــال، أو المجاملــة، ومما يدعم ذلك أن جميع عينة الدراسة- تقريباً- يشــغلون مراكز قيادية في البنوك التي يعملون فيها، ولا شك أن للعمر والتجربة دوراً في وصولهم إلى تلك المراكز، وكون المبحوثين قد تجاوزوا الثلاثين من العمر فإننا نتوقع أن

تتســم إجابــاتهم بالموضوعية، وتتمتع بقدر عالٍ من المصداقية، والرؤية الثاقبة، والنظرة الشــاملة. ويعتبر المستوى التعليمي مؤشراً آخر على كفاءة المبحوثين، وقدراتهم ونظرتهم الموضوعية الشاملة. فقد تبين أن ٩٤,٥% منهم حاصلون على الشهادة الجامعية أو أعلى، فالجامعــيون يشــكلون ٤٤% من العينة، والذين يحملون الدبلوم العالي- وهو في الغالب دبلــوم تخصصي بعد الجامعة لمدة سنة أو سنتين- يمثلون ١٦,٥% ، أما حملة الماجستير فيشــكلون ٢٢% من العينة، وشهادة الماجستير شهادة عليا متخصصة. وحصول الشخص علــيها مؤشــر على الكفاءة، لأنه لا يحصل عليها في الغالب إلا من لديه العزم والطموح والقــدرة على الاستيعاب، وبلغ مرحلة النضج والقدرة على تحمل المسؤولية. وهناك واحد مــن المبحوثيــن يمثل ٥,٥% من العينة يحمل درجة الدكتوراه، وواحد آخر يمثل النسبة نفسها لم يذكر مستواه التعليمي.

جدول رقم ١: البنك، والمدينة التي يقع فيها، ووظيفة المبحوث.

البنك	الفرع	الوظيفة
مؤسسة محمد حلواني للصرافة	جدة	مستشار مالي
مؤسسة النقد العربي السعودي	الرئيسي (الرياض)	مفتش بنكي
شركة العمود للصرافة	الرئيسي (جدة)	المدير التنفيذي
العربي الوطني	الإدارة العامة (الرياض)	نائب المدير ورئيس قسم التحقيق
البنك السعودي الفرنسي	الإدارة (الرياض)	المفتش العام
البنك الأهلي التجاري	الإدارة العامة (جدة)	مدير تحقيقات الاحتيال وغسل الأموال
البنك السعودي للاستثمار	الإدارة العامة (الرياض)	رئس مجموعة العمليات
البنك السعودي البريطاني	الإدارة العامة (الرياض)	المدير العام التنفيذي للشؤون القانونية والأمين العام
البنك السعودي الهولندي	الإدارة العامة (الرياض)	مدير تنفيذي
شركة الراجحي المصرفية	الإدارة العامة (الرياض)	رئيس وحدة غسل الأموال
البنك السعودي الأمريكي	الإدارة العامة (الرياض)	غير مبين
بنك الجزيرة	الإدارة العامة (جدة)	مدير العمليات الداخلية
بنك الجزيرة	الإدارة العامة (جدة)	مدير مجموعة تمويل الشركات
بنك الجزيرة	مجموعة تمويل الشركات (الرياض)	مساعد مدير
بنك الجزيرة	الدمام	مدير إقليمي
بنك الجزيرة	الإدارة العامة (جدة)	مساعد مدير
بنك الجزيرة	الإدارة العامة (جدة)	مساعد مدير
بنك الجزيرة	الإدارة العامة (جدة)	مساعد مدير

وليست فقط مراكز المبحوثين الوظيفية، وأعمارهم، وشهادتهم هي مؤشرات قدراتهم وكفاءتهم على الإسهام في إيجاد رؤية واضحة عن واقع عمليات غسل الأموال في المملكة العربية السعودية، ووضع استراتيجية ناجعة وفعالة في مكافحتها، وإنما – بالإضافة إلى ذلك – التخصصات التي درسوها في المرحلة الجامعية، فقد بين البحث أن دراساتهم الجامعية والعليا كانت في تخصصات اقتصادية أو لها علاقة بالاقتصاد، وهذا يعني أنهم يتناولون موضوعاً له علاقة بدراستهم الجامعية والعليا ومراكزهم الحالية.

والخبرة العملية مؤشر آخر على نوعية المبحوثين، وعلى مقدرتهم على فهم أبعاد الموضوع الذي يشاركون في دراسته بآرائهم ومقترحاتهم، وقد أثبتت الدراسة أن ٨٣,٥% من المبحوثين تصل خبرتهم العملية إلى عشر سنوات أو أكثر ، وأن ٣٣% من العينة لديهم تزيد خبرتهم العملية عن ٢٠ سنة، وهذا يشير – ضمن ما يشير إليه – إلى أنهم يتمتعون بخبرة طويلة في المجال الاقتصادي الذي له علاقة بعمليات غسل الأموال، ودور البنوك والمصارف المالية في تسهيل تلك العمليات، أو وضع الحواجز والاحتياطات لمنعها وكشف أساليبها.

ويعاضد ويدعم الخبرة العملية العامة، الخبرة في مجال العمل الحالي، وهو عمل قيادي كما أشرنا من قبل، فإن الغالبية العظمى من المبحوثين (٨٢,٥%) تصل خبرتهم في مجال عملهم الحالي إلى خمس سنوات، وهذا يجعلهم على دراية كبيرة بالقضايا الاقتصادية المختلفة، والتي تشمل عمليات غسل الأموال والتي تعتبر من الجرائم الاقتصادية التي تقوم فيها البنوك بدور فاعل سلباً وإيجاباً.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن ٨٧% من العينة تلقوا دورات في مجال عملهم، وأن أكثر من ٦٠% منهم تلقوا خمس دورات أو أكثر، وأن ٤٤% منهم تلقوا عشر دورات أو أكثر، وهذا يدل على أن معارفهم ومعلوماتهم في مجال عملهم تنمو باستمرار، وأنهم – في الغالب – يطلعون على كل جديد في مجال الاقتصاد والصرافة وأعمال المصارف والبنوك، والمشكلات والجرائم الاقتصادية المستحدثة، والتي تأتي جرائم غسل

الأموال في مقدمتها.

وتعــدد اللغــات مهم في الحياة المعاصرة. ومما يدل على ذلك قولهم: (إذا كنت تجـيد لغة واحدة فأنت شخص واحد، وإذا كنت تجيد لغتين فأنت شخصان، وإذا كنت تجيد ثلاث لغات فأنت ثلاثة أشخص)، وجاء في الأثر (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم) وما ذلك إلا لأهمـية اللغــات في الاتصال بالناس والتفاهم والتفاعل معهم، وبدون تفاهم وتفاعل لا يمكــن أن يكــون هــناك مجتمع كما تشير نظرية (التفاعل الرمزي) وهي من النظريات الكبرى في علم الاجتماع (انظر: كينلوتش، ١٩٩٧: ٢٩١ وما بعدها).

وقــد بينــت الدراســة أن جمــيع المبحوثين- وبنسبة ١٠٠% - يتكلمون اللغة الإنجلــيزية، وما ذلك إلا لانتشارها في الحياة المعاصرة، وإذا كانت مهمة لكل فرد، فإن معرفتها لمن يشتغلون في البنوك والمصارف أهم، لكثرة استخدامها في التحويلات المالية العالمية ، وعمليات غسل الأموال تستخدم التحويلات من بلد إلى آخر، ويكتب عنها الكثير باللغــة الإنجليزية، ولهذا فإن معرفة المبحوثين بهذه اللغة مفيدة في مجال الدراسة، وتزيد الــثقة فــي قدرتهم على تشخيص جرائم غسل الأموال، والنظر إليها بشمول وموضوعية وعــن خــبرة ودراية، هذا وقد أفاد ١١% من عينة الدراسة أنهم يجيدون اللغة الفرنسية، وهذا يعني أنهم يتكلمون ثلاث لغات هي العربية، والإنجليزية، والفرنسية، وهناك شخص واحد- يمثل ٥,٥% من العينة- يتكلم الإيطالية بالإضافة إلى العربية والإنجليزية.

وشــبكة المعلومــات والاتصالات الدولية (الإنترنت) مجال واسع، وميدان غير محــدود للبحــث والمعــرفة ومــتابعة كل جديد في مجالات المعرفة الإنسانية المختلفة، واستخدام هذه الشبكة مفيد معرفياً لجميع التخصصات، خاصة في مجال الاقتصاد والمال، لكــثرة المواقــع التي تهتم بمتابعة الأسواق، والأسهم، والعملات، والاستيراد والتصدير، وغســل الأمــوال، ونحوها من الموضوعات الاقتصادية. والاستفادة من هذه الشبكة تزيد وتتضــاعف عــند مــن يجيدون اللغة الإنجليزية، لأن الغالبية العظمى مما يكتب فيه من موضــوعات يكتــب باللغــة الإنجليزية، وقد رأينا أن جميع عينة الدراسة يتكلمون اللغة

الإنجليزية. وقد تبين أن ٦١,٥% من عينة البحث يستخدمون الإنترنت في مجال عملهم. أما الباقون (٣٨,٥%) فذكروا أنهم لا يستخدمونها في مجال عملهم، وهذا لا يعني أنهم لا يستخدمونها أبداً، فقد يكونون لا يستخدمونها في مجال العمل لأسباب تعود إلى عدم رغبة البنك في استخدام الإنترنت في أعمال البنك، حتى لا يؤدي ذلك إلى التأثير على أنظمة البنك، أو الوصول إلى معلومات حساسة ومهمة حول العملاء وحساباتهم، أو إرسال فيروسات حاسوبية تتلف قواعد المعلومات في البنك.

ومفهوم غسل الأموال من المفاهيم الحديثة نسبياً، وهو غير معروف عند كثير من المثقفين، وطلاب العلم بسبب حداثته وقلة انتشاره وتداوله، وقد سأل الباحث طلابه في مادة علم الاجتماع الاقتصادي في المستوى الخامس في الجامعة أن يكتب كل منهم مفهومه لغسل الأموال، فذكر (٢٠%) منهم أنهم لم يسمعوا به، من قبل، وقال (٣٢%) أنهم سمعوا به ولكنهم لا يعرفون معناه، وقدم الباقون (٤٨%) تعاريف مختلفة، وكانت كلها خاطئة ما عدا تعريفين، بل إن معظم تلك التعاريف كان عكس معنى غسل الأموال مثل التصدق، والزكاة ونحوها. وذهب أصحابه إلى أن الزكاة تنظف المال وتطهره وتغسله. والتعريفات التي قدمها المبحوثون في هذه الدراسة كلها صحيحة أو صحيحة إلى حد ما، فقد أورد ٦٦,٥% منهم تعاريف صحيحة، بينما قدم ٣٣,٥% تعاريف صحيحة إلى حد ما. وقد اعتبرنا المفهوم (صحيحاً إلى حد ما) عندما يقصر المبحوث عملية غسل الأموال على البنوك، مثل قول أحدهم: (هي العملية التي يتم بموجبها إدخال الأموال غير الشرعية إلى النظام البنكي بطرق مختلفة لجعلها أموالاً شرعية)، والبنوك تمثل البوابة الكبرى لعمليات غسل الأموال، ولكنها ليست البوابة الوحيدة.

وبلد مثل المملكة العربية السعودية حباها الله خيرات كثيرة، وتعج بأعداد كبيرة من جنسيات ودول مختلفة، ليست بمعزل عما يدور في هذا العالم الذي يصفه بعضهم بأنه أصبح قرية صغيرة لتطور الاتصالات والمواصلات وعمليات التبادل والتأثر والتأثير بين أجزائه، وفي رأيي أن العالم اليوم أصبح شاشة صغيرة. فمن خلال شاشة التلفزيون أو

الحاسب الآلي يستطيع الفرد أن ينتقل بين الأقاليم والدول والقارات، ويطلع على التأثيرات المتبادلة بين أجزائه المختلفة.

وجرائم غسل الأموال جرائم عالمية عابرة للحدود، وعابرة للقارات، ولعل تحويل الأمـــوال مـــن بلد إلى آخر، ومن حساب في بلد إلى حساب في بلد آخر من أكثر صور غســل الأمـــوال انتشـــاراً، هذا بالإضافة إلى عمليات الغسل التي تتم داخل البلد الواحد. والقياديون في البنوك والمصارف هم من أكثر الناس قدرة على تقدير حجم عمليات غسل الأموال، خاصة إذا تمتعوا بالمعرفة والخبرة والأدوات المساعدة. وقد سألنا المبحوثين عن تقديـــرهم لعمليات غسل الأموال في المملكة العربية السعودية، فأفاد (٦٦,٥%) منهم بأنها قليلة، و(٣٣,٥%) أفادوا بأنها متوسطة، ولم يقل أحد إنها كثيرة.

ولم يدل المبحوثون بآرائهم جزافا، وإنما بناءً على مبررات وحيثيات. وأبرز تلك المـــبررات يـــتعلق بالدور الكبير الذي تقوم به مؤسسة النقد العربي السعودي (ساما) في مراقبة البنوك والمصارف التي تشرف عليها، ومتابعة العمليات المالية في البلاد. فقد ذكر ٧٥% من عينة البحث أن عمليات غسل الأموال قليلة في المملكة بسبب الرقابة الصارمة مـــن قبل مؤسسة النقد العربي السعودي، ومتابعتها اللصيقة والحازمة لحركة الأموال في المملكة.

وذكر (٢٥%) من العينة أن عمليات غسل الأموال قليلة في المملكة بسبب الرقابة الذاتـــية مـــن البـــنوك، واتـــباعها لسياســـة (اعرف عميلك)، والرقابة الذاتية من البنوك والمصـــارف مؤشر على الوعي المالي، ومعرفة الأخطار والمسؤوليات التي تترتب على عملـــيات غســـل الأمـــوال كمـــا سنرى عند الحديث عن الآثار الاقتصاد لتلك العمليات. والـــرقابة الذاتية للبنوك مؤشر آخر على الجهود الرقابية التي تقوم بها مؤسسة النقد. أمـــا (٥٠%) من العينة فقد أرجعوا قلة عمليات غسل الأموال في المملكة العربية السعودية إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى، فمجتمع المملكة مجتمع إسلامي ومحافظ، وقد حرم الله سبحانه وتعـــالى كـــل مال يأتي بطرق غير مشروعه. وتوعد صاحبه بعدم التوفيق في هذه الحياة

الدنيا، وبالعذاب الشديد يوم القيامة.

وأرجع (٣٣,٥%) من عينة البحث قلة عمليات غسل الأموال في المملكة إلى قوة الأنظمـــة الأمنـــية. فأجهزة الأمن العام، والأجهزة المعنية بأمن البلاد، مثل حرس الحدود تقوم بجهود مشكورة في مطاردة المجرمين، وسد الطرق أمامهم، ومن المعروف أن هناك مـــنافذ كثـــيرة لجمـــع الأموال من طرق غير مشروعة، وقد قامت وزارة الداخلية بإنشاء أجهـــزة متخصصـــة لمكافحة جرائم متخصصة، مثل جرائم المخدرات، وجرائم التزوير، وجرائم الرشوة والفساد الإداري، وتتعاون الأجهزة المختلفة في الدولة في عمليات مكافحة الجـــريمة المتخصصـــة، والجـــرائم الأخلاقـــية مثل الدعارة، وبيع الخمور والمسكرات، والاختلاس، وكلها مصادر للأموال القذرة.

واستشـــهد (٢٥%) من عينة البحث على قلة جرائم غسل الأموال في المملكة بأن الإحصـــاءات الدولية تشير إلى ذلك، والإحصاءات الدولية تبنى دائماً على ما يقدم لها من الدول نفسها، وبعض الدول لا تهتم بهذا الجانب كثيراً، وبعضها يقدم إحصاءات لا تعكس الواقـــع، ولا أعتقد أن هناك إحصاءات دقيقة عن حجم الأموال المغسولة في المملكة، لأن غســـل الأمـــوال جـــريمة يسعى أصحابها إلى إخفاء معالمها بطرق ملتوية يصعب تتبعها وكشـــفها. ولعل تراجع ظاهرة ترويج المخدرات في المملكة بعد إيقاع عقوبة الإعدام على المروجيـــن مؤشر على تراجع مصدر مهم من مصادر الأموال القذرة، وربما اعتمد الذين استشـــهدوا بالإحصاءات الدولية بهذا الجانب، على أن (٢٥%) من العينة ذكروا صراحة أن جـــرائم غسل الأموال قليلة في المملكة بسبب الأنظمة الحازمة والصارمة، والتي يأتي إيقاع عقوبة الإعدام على مروجي المخدرات في مقدمتها. وذكر شخص واحد- يمثل ٨% مـــن الذين قالوا إن جرائم غسل الأموال قليلة في المملكة- أن عمليات غسل الأموال في المملكـــة قلـــيلة، لأن عدد البنوك قليل مما يسهل عملية مراقبتها، وربما كان عدد البنوك الرئيســـية قلـــيلاً ولكـــن فروعها منتشرة بكثرة في جميع أرجاء الوطن، وعمليات غسل الأموال يمكن أن تتم من خلال تلك الفروع.

وبالنسبة لمن ذكروا أن عمليات غسل الأموال في المملكة متوسطة الحجم وليست كثيرة- كما الحال في بعض البلدان الثرية كالولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا- أبدوا مجموعة من المبررات لإجاباتهم، وكلها إجابات تدعم وتعاضد من قالوا بأنها قليلة، فقد تم ذكر المؤشرات نفسها تقريباً وهي الوازع الديني، وقلة الحالات المبلغ عنها، والنظام البنكي الصارم والواضح، ودور مؤسسة النقد العربي السعودي الرقابي والتنظيمي الفاعل.

والأموال القذرة غالباً ما تجد طريقها إلى البنوك ليتمكن أصحابها من تحويلها عن طريق البنك إلى الخارج، أو استثمارها في أنشطة اقتصادية مختلفة مثل الأسهم والعقارات والمجوهرات ونحوها، والبنوك تعرف عملاءها وزبائنها غالباً، وتعرف- في الغالب- مجالات نشاطاتهم، ودخولهم الشهرية. وقد سألنا المبحوثين عن الإجراء الذي يتخذه البنك عندما يكون هنا شك في مصدر الأموال المودعة، فأفاد ٦٠,٥% من عينة البحث أنهم يقومون بتبليغ مؤسسة النقد، ومن ثم تقوم مؤسسة النقد باتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة للتحقق من مصادر تلك الأموال، وإذا تبين لها أنها قد تكون أموالاً قذرة بلغت الجهات الأمنية لتقوم بالتحري والمتابعة.

وذكر ٥٥% أنهم يبلغون الجهات الأمنية بشكوكهم حول مصدر الأموال، وهؤلاء يبلغون في الوقت نفسه مؤسسة النقد، وذكر ٦٦% أن أول إجراء يتبع هو تبليغ إدارة البنك، ومن ثم تقوم الإدارة بتبليغ مؤسسة النقد، أو الجهات الأمنية، وهذا يعني أن هناك مركزية في البنوك التي تتخذ هذا الإجراء، فإدارة البنك تكون في الغالب أقدر على فهم أبعاد الحالة واتخاذ القرار المناسب حيالها، فقد يكون لدى الإدارة معلومات خاصة حول العميل، وقد ترى أن الأمر يحتاج إلى تتبع ودراسة وأناة، وقد ترى من جهة أخرى أن الحالة لا تقبل التأخير والتأجيل فتقوم بإبلاغ مؤسسة النقد، والجهات الأمنية لأخذ الإجراء اللازم لإيقاف خروج تلك الأموال من البلاد، ومنع أصحابها من الاستفادة منها، وقد يؤدي التبليغ إلى كشف عمليات إجرامية مثل ترويج المخدرات، أو بيع المسكرات، أو التزوير ونحوها.

وذكــر ٢٢% مــن المبحوثيــن أنهــم يقومــون يستجوبون العميل، وقد يكون الاســتجواب عن طريق أسئلة معدة سلفاً لمثل هذه الحالات، وفي معظم البنوك الأمريكية والكندية يقوم البنك بإجراء مشابه، وذلك بتعبئة استمارة من قبل العميل حول مصدر المال الــذي أودعــه إذا كان عشرة آلاف دولار أو أكثر نقداً، ولم يذكر أحد من المبحوثين أنهم يعطــون المشتبه به استمارة يقوم بتعبئتها، وذكر بنك واحد تحت إجراءات (أخرى) أنهم عــند الشــك فــي الأموال المودعة يقومون بوضع تعامل العميل تحت المراقبة ودراسة وضــعه، وهــذا الإجراء مفيد عند تكرر إيداع أموال مشبوهة لعدة مرات، ولكن فائدته قد تكون محدودة إذا تمت تلك العملية لمرة واحدة ولم تتكرر.

وســألنا المبحوثيــن عما إذا كانوا قد كشفوا للجهات الأمنية بعض عمليات غسل الأموال، فأجاب ٢٧,٥% بالإيجاب، بينما ذكر الغالبية العظمي ٧٢,٥% أنهم لم يسبق لهم أن كشــفوا للجهــات الأمنية أي عملية من عمليات غسل الأموال، وربما كان هذا مؤشراً علــى قلة عمليات غسل الأموال في المملكة، أو أنه مؤشر على أن البنوك لا تدقق كثيراً حــول الأموال القذرة، أو أن إدخال تلك الأموال إلى الحسابات يتم بطريقة لا تثير الشبهة والانتباه.

ودور البنك في كشف عمليات غسل الأموال ينتهي بتبليغ الجهات المختصة، سواء في مؤسسة النقد، أو في الجهات الأمنية. أما متابعة تلك الحالات والوصول إلى نتائج حولها فهو مهمة تلك الجهات التي تم تبليغها، وقد ذكر اثنان من المبحوثين الذين ذكروا أنهم كشفوا عمليات لغسل الأموال أن عملهما اقتصر على التبليغ عن حسابات مشبوهة في حسابات العملاء. وذكر أحدهم أنه أبلغ عن أكثر من ستين حالة مشبوهة معظمها لعملاء آسيويين، وذكر آخر أنهم بلغوا عن سبع حالات، ويشتكي موظفو البنوك من أنهم لا يبلغون بنتائج التحقيقات عن الحالات التي يبلغون عنها، ولا يدرون ما الذي يتم فيها، مما يسبب لهم بعض الإحباط، وربما لا يشجعهم ذلك على التبليغ عن حالات تصادفهم فيما

بعد عمليات التبليغ الأولى، ويشكك بعضهم في المتابعة من الجهات المعنية للعمليات التي يبلغون عنها، وقد يكون هذا مؤشراً على ضعف التكامل والتنسيق والتعاون بين الجهات المصرفية والجهات الأمنية.

ومن حيث جنسيات الغاسلين، ذكر ٦٠% من الذين ذكروا أنهم كشفوا عمليات لغسل الأموال أنهم يمثلون جنسيات مختلفة، بينما ذكر أحدهم أن العملية التي كشفوها كان طرفاها تركي ونيجيري، وذكر ٨٠% منهم أن غسل الأموال تم من خلال تنفيذ الحوالات النقدية، أو الإيداع النقدي. أما مصادر المال المغسول التي تم كشف عملياته بالتبليغ عنها للجهات المختصة فهي التستر التجاري، والمخدرات، والدعارة.

وسـألنا المبحوثين عما يتردد من أن دول الخليج تستقطب الأموال القذرة لوجود تقنـية حديـثة مثل البنوك والمطارات، والطرق والاتصالات، فأفاد ٢٢% بأنهم موافقون علـى ذلـك، و٣٩% قالوا بأنهم موافقون إلى حد ما، وهذا يعني أن غاسلي الأموال ربما يـتجهون إلـى دول الخلـيج لغسل أموالهم عن طريق استثمارها في بعض المشروعات الخاصة أو العامة، أو عن طريق تمريرها من خلال المصارف ضمن حركة تحويلها من مكـان إلـى آخر لإخفاء مصادر تلك الأموال المشبوهة، ودول الخليج الغنية تخرج منها أمـوال ضخمة في صورة حوالات فردية، أو حوالات للشركات والمؤسسات العاملة فيها، وقـد تفـد بعـض الأمـوال القذرة من أجل دمجها في مستحقات الشركات والمؤسسات والأفـراد. أما نسبة الذين رفضوا مقولة إن دول الخليج تستقطب الأموال المغسولة لوجود التقنـيات والخدمات الحديثة فيها فقد بلغت ٣٩%، وقال أحدهم إن التقنيات الحديثة تساعد علـى كشف عمليات غسل الأموال أكثر من المساعدة على استقطابها، وقد يكون هذا هو المـبرر لمعظم الذين اختاروا هذه الإجابة، هذا بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً عن قلة غسل الأمـوال في المملكة والمبررات التي ساقها المبحوثون لذلك، مثل صرامة الأنظمة الأمنية والمصرفية والقضائية في بلد مثل المملكة العربية السعودية.

ولسـرية الحسابات دور كبير في عمليات غسل الأموال. فالحساب السري مدعاة

لأن تدخــل إليه الأموال دون معرفة لمصدرها، ودون مساءلة لصاحب الحساب، وفي هذا الشــأن تعادلت أصوات من يؤيدونها بدون استثناء وأصوات من لا يؤيدونها إطلاقاً، وذلك بنسبة ١١% لكل منهما. أما الغالبية العظمى والتي تمثل (٧٨%) من العينة فيؤيدونها إلى حد ما، وهذا يعنى أنهم يؤيدونها بشروط معينة، وأهمها ألا يكون فيها تهديد لمصلحة أحد، وأنهــا يجــب أن تكشف في حالات معينة هي رضا العميل (١٤%)، وعندما يكون هناك تهديــد للمصــلحة العامة (٣١%)، وعندما يكون هناك تهديد لمصلحة البنك (٢١,٥%)، وعــندما تطلب الجهات الأمنية ذلك (٣٣,٥%). ولم يقل أحد من المبحوثين بأن الحسابات السرية يجب عدم كشفها، وهذا يشمل أولئك الذين يؤيدون الحسابات السرية بدون استثناء، وهذا يعني أنهم- حتى مع تأييدهم التام لها- لا يمانعون من كشفها في ظروف خاصة.

ويــرى نصــف المبحوثين أن هناك ارتباطاً بين الحسابات السرية وعمليات غسل الأمــوال. فهم يرون أنه عندما تكون هناك حسابات سرية فإن عملية غسل الأموال تصبح سهلة، فتلك الحسابات يمكن أن تستخدم استخداماً سيئاً، وتمرر عن طريقها الأموال القذرة، وقــد وافــق- إلى حد ما- على هذا الرأي ٤٤,٥% ، وهذا يعنى أن الغالبية العظمى من العيــنة تــرى أن هناك ارتباطاً بين سرية الحسابات وغسل الأموال، ولهذا أرى أن تؤخذ على جميع عملاء البنوك إقرارات بأن حساباتهم معرضة للكشف في حالات معينة، وهي الحــالات التي تم ذكرها آنفاً والمتمثلة في تهديد المصلحة العامة، وتهديد الأمن، وتهديد مصلحة البنك، وعندما تطلب الجهات المعنية ذلك.

ومصادر الأموال القذرة كثيرة ومتعددة، ومعرفة تلك المصادر يساعد على وضع استراتيجية لمكافحتها، ويرى المبحوثون أن المصدر الأول للأموال القذرة هو المخدرات، ذلــك البلاء الذي تشكو منه جميع الدول في العالم، ولم تتفق الدول وتجمع على شيء مثل اتفاقها وإجماعها على مكافحة المخدرات. أما المركز الثاني للأموال القذرة فيتمثل في بيع الخمــور والمسكرات، وهي ممنوعة في المملكة العربية السعودية، لأن الإسلام يحرمها، ولكن هناك عصابات احترفت تهريب المسكرات والخمور، وتتقاتل فيما بينها على ترويج

هـــذا الوباء لما يدره عليها من أرباح طائلة. واحتل الاختلاس المركز الثالث من مصادر الأمـــوال القذرة، والاختلاس هو سرقة للأموال العامة، وعادة ما يتم من قبل الذين يحتلون قمة الهرم الوظيفي في المؤسسات الرسمية المختلفة، ويستخدمون نفوذهم لتغطية جرائمهم وســـرقاتهم، والتـــي غالـــباً ما تكون مبالغ كبيرة. أما المصدر الرابع من مصادر الأموال المغســـولة فهـــو الـــتزوير، والـــتزوير يكون للعملات، وللمستندات، والوثائق، والأختام، والشـــهادات، والأوراق الرسمية المختلفة، أما المصدر الخامس من مصادر الأموال القذرة فيتمـــثل فـــي الرشـــوة، وهي أخذ المال لإبطال حق، أو إحقاق باطل في الغالب، وجميع مصادر الأموال القذرة يحرمها الإسلام وينهى عنها ويحاربها.

وغســـل الأموال يختلف من بلد إلى آخر حسب ظروفه وأنظمته وقوانينه، ومدى تطبـــيق تلك القوانين وصرامتها. والمملكة العربية السعودية من دول الإنجاز، التي قطعت شوطاً كبيراً في مجال التنمية والتقدم في زمن قياسي. فمجتمع المملكة كان معظمه يعيش فـــي الـــبوادي والأرياف عيشة بسيطة بعيدة عن التعقيد، فتقسيم العمل، ومتطلبات الحياة، وتشـــابك العلاقـــات كانـــت كلها بسيطة، ولكن المجتمع السعودي شهد نقلة كبيرة من تلك الحـــياة إلى الحياة المعاصرة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات، وتقسيم مرتفع للعمل، وانتقل من حياة البوادي والأرياف إلى حياة المدن والحواضر، وما زال المجتمع السعودي يحـــتفظ بالكثـــير من مظاهر البساطة والترابط الآلي، وفي هذه الظروف الانتقالية ظهرت كثير من المشكلات التي لم يكن يعرفها المجتمع السعودي من قبل، وظاهرة غسل الأموال مشكلة عالمية حديثة ليس فقط على المجتمع السعودي، ولكن على كثير من المجتمعات في العالم.

وفـــي ظل هذه الظروف سألنا المبحوثين عن رأيهم في سهولة وصعوبة غسل الأموال فـــي المملكة، فأفاد ٢٢% بأنه سهل جداً، وذكروا من العلل والأسباب لاختيار هذه الإجابة ما يلي:

١: وجـــود الوفرة من النقد مما يتعذر معه الكشف عن مصدرها. وفي هذا إشارة إلى

أن المجـتمع ما زال يتعامل بالنقد في معظم تعاملاته الحياتية اليومية. فاستخدام الشيكات، وبطاقــات الائـتمان، وبطاقــات الصرف الإلكترونية ما زال محدوداً، وهذا يسهل عملية استخدام الأموال القذرة في صورة نقدية لشراء السلع وتسديد تكاليف الخدمات.

٢: التســتر الــتجاري علــى المقيمين واستغلال أسماء المواطنين في ممارسة غسل الأموال. فالتستر يعطي العامل الأجنبي فرصة لغسل الأموال باسم المواطن السعودي الذي يكون النشاط باسمه، وقد يستخدم اسمه لتحويل الأموال إلى الخارج بحجج مختلفة.

٣: نقــص الوعــي لدى المواطنين حول عمليات غسل الأموال. فالغالبية العظمى من المواطنين لا يعرفون حتى معنى غسل الأموال، ومن ثم لا يدركون أخطارها عليهم وعلى الوطن واقتصاده وقيمه وأمنه.

٤:حسن نية بعض المواطنين يسهل استغلالهم كواجهة لغسل الأموال، فالشخص قد لا يكــون متستراً، ولكن من أجل حبه للخير، وحبه لمساعدة الآخرين قد يشارك في عمليات غسل الأموال وهو يظن أنه يقوم بعمل خيري.

٥: إمكانــية دخــول كميات كبيرة من النقد. فالقادم من خارج المملكة للزيارة أو للحج والعمــرة أو نحو ذلك يمكن أن يحمل معه كميات كبيرة من النقود، وقد تكون موزعة بين عــدة أشخاص، وبعد دخولها يعمل أصحابها على غسلها، كأن تحول لهم مرة أخرى من أقاربهم ومعارفهم على أنها أموال نظيفة.

٦: الاحتفاظ بالنقد في خزائن خارج البنوك. فكثير من الأشخاص، خاصة كبار السن، لا يجــيدون التعامل مع البنوك،وأحياناً لا يثقون فيها، وبعضهم يعتبر التعامل معها شبهة، ولهــذا يحتفظون بأموالهم نقداً في خزانات داخل البيوت، ومن المؤشرات على وجود هذه الظاهــرة كــثرة التبلــيغ عن سرقات مبالغ نقدية كبيرة. هذه الظاهرة تسهل عملية غسل الأموال، فربما عمد أحدهم إلى إيداع مبلغ كبير من الأموال القذرة في أحد البنوك بدعوى أنه لوالده، أو والدته، أو أنه ورثه.

٧: الإيداع بالتقسيط في البنوك لكي لا تكشف العمليات، وكثرة النقود في أيدي الناس،

وكـثرة التعامل بها، والاحتفاظ بها في البيوت يجعل عمليات الإيداع في البنوك بالتقسيط- لكي لا تكشف العمليات أمراً- مقبولاً.

أمـا الذيـن قالوا بأن غسل الأموال في المملكة صعب إلى حد ما فقد بلغت نسبتهم ٤٤،٥% من أفراد العينة، وأهم العلل والأسباب التي ذكروها للصعوبة النسبية لتلك العمليات فتتمثل في الآتي:

١: الـرقابة الجـيدة من قبل مؤسسة النقد العربي السعودي، وقد قال بذلك ٥٠% ممن اختاروا هذه الإجابة، وهؤلاء يرون أن الرقابة والمتابعة اللصيقة والصارمة لمؤسسة النقد العربـي السـعودي تعتـبر عاملاً من عوامل الحد من غسل الأموال في المملكة، حيث يتخوف من يفكرون في عمليات غسل الأموال من كشف مؤسسة النقد لعملياتهم.

٢: المجـرم جـبان وغـير كفء لتغطية أعماله المالية، وفي هذا إشارة إلى الجانب النفسـي في عمليات غسل الأموال والتي تتمثل في خوف من لديه أموال قذرة من كشف عملـه أثناء محاولة غسلها ومن ثم تقديمه للمحاكمة، وإيقاع العقوبات عليه، وهذا قد يكون صـحيحاً مع بعض المجرمين، ولكن ليس معهم جميعاً، فالذي يخاف على سمعته ومكانته وأموالـه لـن يقترف الجريمة أصلاً، ولن يحاول الحصول على أموال من مصادر غير مشروعة.

٣: وجود إدارة مالية حديثة، ومعرفة العملاء من قبل البنوك، ومعايير لكشف عمليات غسل الأموال، وفي هذا إشارة إلى الرقابة الذاتية للبنوك، ومعرفتها لعملائها معرفة جيدة، ممـا يمكنها من كشف عمليات غسل الأموال، ووجود هذا الإحساس عند من يملك أموالاً قـذرة يجعلـه يحجم عن محاولة غسلها من خلال البنوك، وفي اختيار هذه الإجابة إشارة غير مباشرة لدور مؤسسة النقد العربي السعودي في مراقبة حركة الأموال في البلاد.

٥: عـدد البـنوك محدود، وهذا يسهل عملية متابعتها ومراقبتها، ولكن فروع البنوك كثـيرة ومنتشـرة في جميع أنحاء الوطن كما ذكرنا ذلك من قبل، وقد تتم عمليات غسل الأموال بين تلك الفروع.

٦: صـــرامة القوانين على تجارة المخدرات والرذائل، فمعظم الأموال القذرة تأتي عن طـــريق المخدرات والرذائل، والقوانين والجزاءات صارمة على مرتكبي هذه الجرائم، ثم إن محاولـــة غســـل الأموال قد تؤدي إلى كشف الجريمة التي أتى عن طريقها المال، مما يجعل عملية الغسل صعبة إلى حد ما.

٧: مـــبالغ الأموال المغسولة عادة ما تكون كبيرة إلى حد ما، وهذا يثير الشبهات لدى البنوك. ولكن المبالغ الكبيرة يمكن تقسيمها وتوزيعها على أجزاء، وإيداعها على دفعات.

أمـــا الذيـــن قالوا بأن عمليات غسل الأموال عمل صعب جداً في المملكة العربية السعودية فقد بلغت نسبتهم ٣٣,٥% مـــن مجموع العينة. أمـــا مبـــررات إجابتهم فقد ذكر (٤٣%)- وهـــي أعلـــى نسبة من التكرارات- أن عملية غسل الأموال في المملكة صعبة جداً بسبب التعليمات الصارمة من مؤسسة النقد العربي السعودي، ودور مؤسسة النقد يكاد يكـــون مجمعـــاً عليه من قبل المبحوثين، وهم من القياديين في البنوك ومعرفتهم بمؤسسة النقد معرفة جاءت عن معايشة، وتعامل مستمر، ولفترات طويلة.

وذكـــر ٧% أن غســـل الأموال صعب جداً في المملكة لوجود الوعي المصرفي لدى البنوك، وعزا ١٤% ذلك إلى المسؤولية المترتبة على غسل الأموال، فهي مسؤولية كبيرة تجعـــل العملـــيات صـــعبة. أما ٢٨,٥% فيرون أن عمليات غسل الأموال صعبة جداً في المملكة بسبب قوة الأنظمة الأمنية والرقابية في المملكة. فأجهزة الأمن المختلفة تقوم بدور فـــاعل وبـــناء فـــي تتـــبع الأموال القذرة وكشف مصادرها، ومن ضمن ذلك كشفها أثناء عمليات غسلها. وذكر ٧% أن معظم الأموال القذرة تأتي عن طريق المخدرات، وجريمة تـــرويج المخـــدرات في المملكة من الجرائم التي وضعت لها عقوبة صارمة هي الإعدام، وعلى هذا يكون جمع الأموال القذرة من هذا السبيل صعباً جداً، وعملية غسل تلك الأموال قد تكون أصعب.

ومـــن المعـــروف أن السرية عمل ملازم دائماً للجريمة، فالمجرم يحاول دائماً ارتكاب جريمـــته فـــي الخفـــاء، ويحاول ألا يترك أي أثر يدل عليه، وهذا يجعل كشف العمليات

الإجرامية صعباً ومعقداً إلى حدٍ كبير. وجرائم غسل الأموال من أكثر الجرائم صعوبة في كشفها، خاصة إذا توفرت الظروف المساعدة لتلك العمليات كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، ويرى الغالبية العظمى من المبحوثين (٧٢,٥%) أن كشف عمليات غسل الأموال صعب إلى حد ما. وكما ذكرنا فإن كشف أي عمل إجرامي تكتنفه الصعوبات لسريته ومراوغته وخداعه. ويرى ٢٢% من عينة البحث أن كشف عمليات غسل الأموال سهل جداً، وربما تكون مبرراتهم هي المبررات نفسها التي ذكرت عند الحديث عن صعوبة غسل الأموال في المملكة والمتمثلة في الرقابة الصارمة من قبل مؤسسة النقد، ووعي العاملين في البنوك، ويقظة الأجهزة الأمنية، وصرامة العقوبات على الجرائم التي تعتبر مصدراً لجمع الأموال القذرة. وفي تصوري أن العوامل المساعدة في عمليات غسل الأموال والتي تجعل تلك العمليات سهلة، هي العوامل نفسها التي تجعل كشف تلك العمليات صعباً، وقد ذكرنا تلك العوامل سابقاً، والتي تشمل كثرة النقد في أيدي الناس، وكثرة التعامل به، وكثرة الاحتفاظ به خارج البنوك، والتستر، وطيبة الناس وحبهم للخير.

وعمليات غسل الأموال تحتاج إلى أسواق ضخمة وكبيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وإيطاليا، وكندا، ونحوها، وهناك من يقول بأن أسواق المملكة أسواق ناشئة، وأحجام التداول فيها صغيرة ومحدودة؛ لهذا فهي لا تصلح لأن تكون قنوات لغسل الأموال. وقد سألنا المبحوثين عن رأيهم في هذه المقولة- باعتبارهم من أقرب الناس إلى الأسواق وأكثرهم معرفة بحجم التداول فيها- فأفاد ٢٧,٥% بأنهم موافقون على هذه المقولة، وقال ٣٣,٥% بأنهم موافقون عليها إلى حد ما، وهذا يجعل نسبة الموافقين والموافقين إلى حدٍ ما تمثل الغالبية وهي ٦١%. أما الذين لم يوافقوا على هذه المقولة، ويرون أن أسواق المملكة ليست ناشئة، وأنها كبيرة ويمكنها استعياب عمليات غسل الأموال فقد بلغت نسبتهم ٣٩%.

ولم يقل بأن الإجراءات المضادة لعمليات غسل الأموال في المملكة العربية السعودية ضعيفة إلا ٥,٥% من العينة، وقد مر معنا مؤشرات تدل على أن تلك العمليات ليست

كثـيرة، وأن من الصعب غسل الأموال في المملكة، وفي ضوء ذلك أفادت أكبر نسبة من المبحوثيـن (٦١%) أن إجراءات مكافحة غسل الأموال في المملكة متوسطة، وهي إجابة تناسـب أوضـاع المملكـة، والظروف التي تحيط بعملية غسل الأموال باعتبارها نوعاً مستحدثاً من أنواع الإجرام الوافد من الخارج. أما الذين يرون أن إجراءات مكافحة غسل الأمـوال فـي المملكـة قوية فقد بلغت نسبتهم (٣٣,٥%) وقد يكون الذين قالوا بذلك قد اعـتمدوا علـى دور مؤسسـة النقد، ودور الجهات الأمنية، والعقوبات الصارمة، ودور المواطن الذي يأمره دينه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجميع الجرائم من المنكر الذي يجب النهي عنه، والتعاون مع الجهات المختصة لكشفه ومكافحته.

وسـألنا المبحوثين عن آرائهم حول مدى إثارة المبالغ الكبيرة جداً شبهات العاملين في البـنوك، فأفـادت أكبر نسبة منهم (٦١%) أنها توافق على أن تلك المبالغ تثير الشبهة، وأشـار (٣٣,٥%) إلى أنها تثير الشبهة إلى حد ما، والمجموعتان مؤشر على أن العاملين فـي البـنوك لديهم إدراك بأن المبالغ الكبيرة قد تكون صادرة عن أموال قذرة ولهذا تثير شـبهتهم. أما الذين لم يوافقوا على أن المبالغ الكبيرة تثير شبهات العاملين في البنوك فلم تـزد نسبتهم عن (٥,٥%). ويجب ألا يغيب عنا أن عينة البحث من القياديين في البنوك، وأن مـا يرونه ليس بالضرورة هو ما يتم في الواقع، وربما كانت آراؤهم تعبر عما يجب أن يكـون، والعاملون في البنوك ليسوا جميعاً من القياديين، ولكن إذا كانت لديهم تعليمات مـن أولـئك القياديين حول المبالغ الكبيرة فلا بد أنهم يطبقونها من خلال أعمالهم اليومية الخاضعة للمراقبة والمتابعة من قبل إدارات البنوك والقياديين فيها.

وسـألنا المبحوثين عن الحد الأدنى للمبالغ التي يمكن أن تثير الشبهة إذا أودعها إنسان عـادي غير معروف بتجارته أو أعماله الاقتصادية، فأفاد (٥,٥%) بأن ثلاثين ألف ريال مـبلغ كـافٍ لإثارة الشبهة، بينما يرى (٢٧,٥%) بأن أقل من خمسين ألف ريال لا يثير الشبهة، وإنما لا بد أن يصل المبلغ إلى خمسين ألفاً أو أكثر، وترى نسبة مماثلة أن المبلغ الـذي يثـير الشـبهة هو مائة ألف ريال، وجعل أحدهم المبلغ لغير المواطن خمسين ألفاً،

وللمواطـــن مائـــة ألف. أما أعلى نسبة (٣٣,٥%) فيرون أن المبلغ هو مائتا ألف ريال أو أكثر، وقد ذكر أحدهم أن يكون الميلغ مليون ريال، وآخر ذكر خمسة ملايين ريال، وأفاد (٥,٥%) بـــأن ذلك يعتمد على دخل الشخص والعملية. وبهذا نـــرى أن غالبية المبحوثين (٦١%) يـــرون أن مائـــة ألف أو أكثر هي مبلغ يجب التحري عنه إذا أودعه عميل غير معـــروف بالتجارة والأعمال، ولهذا يجب على البنوك في مثل هذه الحالات أن تطلب من العمـــيل تعبئة استمارة توضح مصادر تلك الأموال، وترفع التقرير إلى الجهات المختصة إذا لـــم تقتنع بما أورده العميل، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يجب على الشخص الذي يودع عشرة آلاف دولار أو أكثر نقداً أن يملأ استمارة لتوضيح مصادر ذلك المبلغ.

ومكافحـــة عملـــيات غسل الأموال لا يمكن أن تؤتي أكلها إلا إذا كان هناك تعاون بين الجهات الأمنية والجهات المالية وفي مقدمتها البنوك والمصارف، وقد سألنا المبحوثين عن رأيهـــم في درجة ذلك التعاون بين الجهتين، فقال (٢٢%) بأنه ضعيف، وهي نسبة يجب أخذ رأيها في الاعتبـــار. فالتعاون يجـــب ألا يقل عـــن درجـــة متوسط، وقـــد قال بذلك (٣٣,٥%) مـــن المبحوثيـــن، وترى أعلى نسبة (٤٤,٥%) أن درجة التعاون بين الجهات المالـــية والجهـــات الأمنية قوية، ونتمنى أن ترتفع هذه النسبة في المستقبل لتشكل الغالبية العظمى، وأن يكون هناك قنوات لذلك التعاون، مثل اللجان المشتركة، واللقاءات الدورية.

وعملـــيات غســـل الأموال لها أضرار متعددة على الفرد وعلى المجتمع وعلى الدولة، وخـــير مـــن يرصـــد الأضـــرار الاقتصـــادية لـــتلك العمليات هم العاملون في البنوك، المتخصصـــون دراســـة وتطبيقاً في هذا الميدان، والجدول رقم (٢) يوضح أهم الأخطار والأضـــرار الاقتصادية التي أوردها المبحوثون. فقد جاء (١٤%) من مجموع التكرارات حـــول ضـــرر غسل الأموال في إفساد الضمائر، وقبول الرشوة، والتعاون مع المجرمين. وإذا فســـدت الضـــمائر، وتـــم قـــبول الرشـــوة، وتعاون الموظفون في مواقع مختلفة مع المجرميـــن فإن ذلك ينذر بخطر جسيم على اقتصاد الدولة، وعلى نشر الفساد الاقتصادي بين قطاع واسع من الناس.

جدول ٢: في نظرك ما أهم الأضرار الاقتصادية لغسل الأموال؟

الأضرار	التكرار	النسبة
إفساد الضمائر وقبول الرشوة والتعاون مع المجرمين	٦	١٤
التأثير السلبي على الاقتصاد والعملة الوطنية	١٦	٣٧,٥
نزع الثقة من القطاعات المصرفية	٧	١٦,٥
عدم تشغيل الأموال فيما ينفع الوطن والمواطن والتنمية	٧	١٦,٥
خلق فئة غير منتجة من أفراد المجتمع	٢	٥
إيقاع الخسائر بالبنوك جراء إيداع النقد المزور	١	٢,٥
ضياع ما يجب تحصيله للدولة من زكاة وضرائب ونحوها	٤	٩,٥
مجموع التكرارات	٤٣	١٠٠

وقبول الرشوة والتعاون مع المجرمين يؤدي إلى زيادة الأموال القذرة الناتجة عن أعمال غير مشروعة، مثل ترويج المخدرات، وبيع المسكرات، والاختلاس ونحوها.

وأضرار غسل الأموال على الاقتصاد والعملة الوطنية حظي بأعلى نسبة من التكرارات (٣٧,٥%). فاقتصاد البلد يمكن النظر إليه كشخصية اعتبارية، لها سمعتها ومكانتها واحترامها، ويجب منع كل ما يسئ إليها، وغسل الأموال من أكثر العوامل إساءة إلى اقتصاد البلد وسمعته وقوة عملته، كما أن الغش والسرقة وقبول الرشوة تسئ إلى سمعة الفرد الذي يقترفها، وتدفع الناس للابتعاد عنه، وتجنب التعامل معه. وغسل الأموال مدعاة إلى وضع الاقتصاد الوطني في دائرة الشك، وقد يحرمه من كثير من الاستثمارات والتعاملات مع الدول والمؤسسات الدولية المختلفة.

وحظي نزع الثقة من القطاعات المصرفية- كضرر من الأضرار الاقتصادية لغسل الأموال- بنسبة ١٦,٥% من التكرارات، وإذا نزعت الثقة من مصرف ما تجنب الناس التعامل معه، فتتضاعف خسائره، ويفقد الكثير من عملائه. وجاءت النسبة نفسها (١٦,٥%) لعدم تشغيل الأموال فيما ينفع الوطن والمواطن والتنمية، وهذا ضرر بارز

وواضح وجلي، فالأموال التي توظف في جلب أموال قذرة، أو في مشروعات وهمية ومزيفة لا يمكن أن ترجى منها منفعة للوطن، ولا للمواطن، ولا للتنمية.

وغسل الأموال -كأي مال يأتي عن طرق محرمة وغير مشروعة ومن غير بذل جهد- يؤدي إلى خلق فئة اجتماعية غير منتجة، تعتمد في حياتها على الأموال المغسولة، وفي هذا ما فيه من تعطيل لشريحة من شرائح المجتمع، وفئة من فئاته التي يمكن أن تكون عاملة ومنتجة لولا تلك الأموال القذرة التي يتم غسلها، وقد حظي هذا النوع من الأضرار الاقتصادية لعمليات غسل الأموال بنسبة (٥%) من مجموع التكرارات.

وغسل الأموال يضيع على الدولة أموالاً مستحقة لها شرعاً مثل الزكاة، أو عرفاً ونظاماً مثل الضرائب. فغاسلو الأموال يتهربون من دفع تلك الاستحقاقات للدولة، وهذا يضر بالاقتصاد الوطني، ويفقد الدولة مورداً مهماً من موارد الإنفاق العام، وقد حظي هذا النوع من الأضرار الاقتصادية لجرائم غسل الأموال بنسبة (٩,٥%)، وذكر ٢,٥% أن من الأضرار الاقتصادية لغسل الأموال إيقاع الخسائر بالبنوك جراء إيداع النقد المزور. وهكذا رأينا أن لجرائم غسل الأموال كثير من الأضرار الاقتصادية على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول، وأنها جريمة يجب أن تتضافر الجهود لمكافحتها، وسد الطرق والمنافذ على القائمين بها.

والظواهر الاقتصادية كما يقول كثير من الاقتصاديين ظواهر اجتماعية (انظر: السيد بدوي، ١٩٨٦: ٣٦-٤١)، لأنها تنشأ في مجتمع، وتخضع لقيمه وقوانينه وأعرافه، والظواهر الاقتصادية ليست مادية بحتة، وإنما لها أبعادها الاجتماعية والروحية والنفسية والرياضية، وقد فصلنا هنا بين الأضرار الاقتصادية والأضرار الاجتماعية لجرائم غسل الأموال فصلاً متعمداً لغرض التحليل والدراسة. والجدول رقم (٣) يبين تكرارات إجابات المبحوثين حول أهم الأضرار الاجتماعية لعمليات غسل الأموال، فنسبة (٦%) ترى أن غسل الأموال يضر العاملين بجد واجتهاد، ويكسبون لقمة عيشهم عن طريق العمل والكفاح والاعتماد على النفس، وهؤلاء عندما يأتي أناس بأموال قذرة ويحاولون غسلها

مـــن خـــلال مشروعات وهمية، هدفها هو التغطية على غسل الأموال فإن ذلك يضر بهم كثـيراً. فلـو فرضـنا أن أحد الجادين فتح متجراً لبيع الأدوات الكهربائية، وفتح بجواره شـخص آخـر مـتجراً بهـدف بـيع الأدوات الكهربائية كذلك ليغطي عملياته في غسل الأموال،ولـيخلط العـائد مـن الأموال القذرة بدخل هذا المتجر ويودع المبلغ في البنوك، وغاسـل الأمـوال هذا قد يبيع تلك الأدوات بالسعر الذي اشتراها به، أو قريباً منه ليجذب العمـلاء، وتكثر الحركة في متجره، فيظن من لا يعلم الحقيقة أن أمواله كلها نظيفة وآتية عـن طـريق تجارتـه في الأدوات الكهربائية، وهذا يضر بالشخص الجاد، ويسحب منه العملاء والمشترين.

جدول رقم ٣: في نظرك ما أهم الأضرار الاجتماعية لغسل الأموال؟

الأضرار	التكرار	النسبة
يضر بالجادين	٣	%٦
يؤدي إلى تفكك الأسرة عند ملاحقة مرتكبيها أو القبض عليهم	٦	%١٢
انتشار المخدرات زيادة الجرائم، وخاصة الجرائم المالية	١٨	%٣٧
خروج الأموال يفقد الاقتصاد المحلي فرص التنمية ويزيد البطالة	٤	%٨
تفشي الفساد	١١	%٢٢,٥
زيادة الفروق الاجتماعية	٧	%١٤,٥
مجموع التكرارات	٤٩	%١٠٠

وجـاءت نسبة(١٢%) من التكرارات لتشير إلى أن من الأضرار الاجتماعية لجرائم غسل الأموال تفكك الأسرة عند ملاحقة مرتكبيها، أو القبض عليهم، فملاحقة المجرم تدفعه إلـى الغياب عن أسرته، وإهمال واجباته نحوها، وإذا تم القبض عليه وإيداعه السجن فإن الأسرة تكون من ضمن الضحايا لغياب معيلها،وتأثر سمعتها، وقد يؤدي ذلك إلى الطلاق، وإلى ابتعاد الناس عن الزواج من بنات المجرم وأخواته وقريباته.

أمـــا أعلى نسبة من التكرارات (٣٧%) فترى أن أهم ضرر من الأضرار الاجتماعية لغســل الأمــوال يتمــثل فــي تغذية الجريمة التي تهدد أمن الناس، وتستهدف أرواحهم، وممــتلكاتهم، وأعراضــهم، وعقولهــم، ونســلهم. فغسل الأموال يؤدي إلى زيادة انتشار المخــدرات باعتــبارها من أكبر مصادر الأموال القذرة، وكذلك زيادة الجرائم الاقتصادية المخــتلفة مثل الرشوة، والاختلاس، والسرقة، والسلب والنهب والسطو ونحوها، وكل هذه مصــادر من مصادر الأموال القذرة، ولو تمكن المجرمون من غسل أموالهم لزاد نشاطهم في هذه الجرائم لجمع مبالغ أكبر من الأموال.

ويــتعلق بهذا ما جاء حول تفشي الفساد، إذ تشير نسبة (٢٢,٥%) من التكرارات إلى أن تفشــي الفساد يعتبر من أبرز الأضرار الاجتماعية لجرائم غسل الأموال، والفساد كلمة جامعــة لكــل ما حاد عن الجادة وانحرف عن الفطرة، وخالف الشرع والقانون والعرف. ولعل الفساد الإداري من أبرز أنواع الفساد المرتبط بجرائم غسل الأموال، لأنه يؤدي إلى اخــتلاس وســرقة المال العام، ويؤدي إلى قبول الرشوة بصورها المختلفة، بالإضافة إلى شراء ذمم الناس، ودفعهم إلى شهادة الزور، أو إخفاء الحقائق ، وكتم الشهادة.

ومــن الأضــرار الاجتماعية لجرائم غسل الأموال زيادة الفروق الاجتماعية بين فئات المجــتمع. فــالأموال القذرة التي يتم غسلها تجعل أصحابها من الأغنياء، وقد ينظر إليهم على أنهم من الطبقة العليا في المجتمع، وكلما زادت أموالهم المغسولة زادت الفروق بينهم وبين أبناء الوطن الشرفاء العاملين بجد ونشاط، وقد مثل هذا الضرر نسبة (١٤,٥%) من مجموع التكرارات، وجاءت (٨%) لتشير إلى أن من أضرار جرائم غسل الأموال خروج الأمــوال المشــروعة إلى خارج الوطن لتغطية الأموال القذرة مما يفقد الاقتصاد المحلي فرصة التنمية، ويزيد البطالة.

هذا، وقد دأبت المملكة العربية السعودية على استحداث جهات أمنية متخصصة عندما تثبــت الحاجة لها، مثل إدارة مكافحة المخدرات، وإدارة أمن الطرق، والمباحث الإدارية.

وقـد سـألنا المبحوثيـن عن رأيهم في أهمية إحداث إدارة خاصة لمكافحة عمليات غسل الأمـوال، فأفـادت الغالبية العظمى منهم(٨٣,٥%) بأن ذلك مهم جداً، وقال (١١%) بأنه مهـم إلـى حـد ما، ولم يقل بأنه غير مهم إلا (٥,٥%). أما كيف تنظم تلك الإدارة عند اسـتحداثها فقـد ذكر الغالبية العظمى (٨٣,٥%) من المبحوثين أنهم يرون أن تكون تلك الإدارة مستقلة، وفيها مندوبون وممثلون لجهات مختلفة، ولم ير بأن تكون شبيهة بمكافحة المخـدرات إلا (١٦,٥%). والإدارة العامـة لمكافحة المخدرات لها ظروفها الخاصة من حيـث النشـأة، والنشـاط، والوظائف المختلفة التي تقوم بها، وربما لا تكون -حتى مع نجاحهـا- المـثال الـذي يجـب أن يحتذى عند إنشاء إدارة خاصة لمكافحة جرائم غسل الأموال،لأنـه يجب أن تضم تلك الإدارة ممثلين من جهات عدة لها علاقة مباشرة بقضايا غسل الأموال.

وجمـيع أفـراد العينة الذين قالوا بوجوب أن يكون هناك ممثلون لإدارات مختلفة في الإدارة المقـترحة لمكافحة جرائم غسل الأموال يرون أن تكون المباحث الجنائية وإدارات البـنوك، ومؤسسـة النقد العربي السعودي ممثلة في تلك الإدارة، وترى الغالبية العظمى (٩٣,٥%) أن تكـون الإدارة العامـة لمكافحة المخدرات ممثلة في تلك الإدارة، واقترح بعض المبحوثين تمثيل إدارات أخرى مثل الإحصاء المالي، والمباحث الإدارية، والمباحث العامة، والغرف التجارية، وذلك بنسبة (٦,٥%) لكل منها، واقترح (١٣%) بأن يكون هناك تمثيل لهيئة التحقيق والادعاء العام.

وسـألنا المبحوثيـن عن أهمية وجود نظام لغسل الأموال، يحدد المخالفات والعقوبات المترتـبة عليها.فلم يقل أحد بأنه غير مهم، ولم يقل أحد بأنه مهم إلى حد ما، ولكن جميع الذيـن أجـابوا عن السؤال قالوا بأنه (مهم جداً)، وذلك بنسبة (٩٤,٥%) وفي هذا إجماع على أهمية وضع مثل ذلك النظام.

جدول رقم٤: ما هي في نظرك أهم الطرق التي يتبعها غاسلو الأموال لغسل الأموال القذرة؟

الطريقة	التكرار	النسبة
شراء عقارات ثم بيعها	٥	%٩,٥
شراء ذهب ومعادن نفيسه ثم بيعها	٤	%٧,٥
تهريب العملات عن طريق المنافذ الحدودية	١	%٢
الحوالات النقدية القائمة على الثقة بين المتعاملين	١	%٢
استخدام حسابات العملاء لقاء عمولات شهرية أو مقابل حواله.	٩	%١٦,٥
استخدامها في أعمال مشروعة لمواطن، وتحويلها من قبل ذلك المواطن	٣	%٥,٥
الإغراء المادي	٢	%٤
استغلال جهل بعض أفراد المجتمع	٣	%٥,٥
استخدام أساليب وحيل خفية يصعب كشفها	١	%٢
القيام بأعمال مشروعة ودمج عائدها مع الأموال القذرة	٦	%١١
الاستثمار في سوق الأسهم والأوراق المالية	٦	%١١
بيع وشراء السيارات	٢	%٤
التظاهر بملكية أو استخدام شركات ومؤسسات وهمية	٣	%٥,٥
سلسلة تحويلات داخلية وخارجية من بنك إلى آخر	٦	%١١
استخدام طائرات رجال الدولة لتحاشي التفتيش	١	%٢
التستر وراء رجال الدولة والأمن المهمين والاستفادة من قوتهم	١	%٢
مجموع التكرارات	٥٤	%١٠٠

وعمليات غسل الأموال لها طرقها وأساليبها المتعددة. وغاسلو الأموال يغيرون من أساليبهم وطرقهم من وقت إلى آخر. فعندما يعلمون أن طرقهم باتت معروفة ومكشوفة للجهات المعنية فإنهم يلجؤون إلى طرق جديدة، وحيل مبتكرة لإخفاء جرائمهم وعملياتهم، والجدول رقم (٤) يعرض لنا أهم الطرق التي يرى المبحوثون أن غاسلي الأموال يتبعونها. وتتلخص تلك الطرق في بيع وشراء العقارات، والمعادن النفيسة، والعملات، والأسهم، والتحف، والسيارات، وفي تهريب العملات، وفي الحوالات، وفي الإيداع في

حسابات مختلفة، وفي الإغراء المادي المتمثل في استخدام حسابات العملاء للإيداع والتحويل، وفي التستر، أو القيام بعمل مساعد ومساند لعملية الغسل. ومن الطرق التي ذكرت استغلال طيبة المواطنين وحبهم للخير والمساعدة، والتستر وراء رجال الدولة المهمين، واستخدام طائراتهم لتحاشي التفتيش، واستغلال سلطتهم ونفوذهم في المجتمع. هذا بالإضافة إلى الطريقة الشائعة والمعروفة وهي الاستثمار في عمل مشروع وخلط عائده مع الأموال القذرة وإيداعها في البنوك على أنها جاءت من الاستثمار في العمل المشروع كأن يكون مطعماً، أو بقالة، أو محطة وقود وما شابه ذلك.

ولعل أهم خطوة في التصدي لعمليات غسل الأموال تتمثل في إبراز وتدعيم أهم الوسائل والطرق الفعالة في مكافحة تلك العمليات، وقد تلخصت آراء المبحوثين ومرئياتهم ومقترحاتهم حول طرق مكافحة ومحاربة جرائم غسل الأموال في الآتي:

١: توعية المواطن بأضرارها عليه وعلى الوطن وعلى الأخلاق. والمواطن هو خط الدفاع الأول ضد الجريمة بصورها المختلفة، لأنها تمسه وتهدد أمنه واستقراره. وجرائم غسل الأموال لها أضرار اقتصادية واجتماعية كثيرة، وعندما يصبح المواطن على دراية بتلك الأضرار فلا شك أنه سيسهم في التصدي لها ومكافحتها.

٢: تنفيذ وتدوين أعمال البنوك بشكل دقيق. فالبنوك هي من أكبر الأبواب والمنافذ التي يلج منها غاسلو الأموال.فإذا قامت البنوك بواجبها في معرفة عملائها، وتدوين جميع العمليات بدقة، فإنها تسهم، من جهة، في تقليل عمليات غسل الأموال، وتساعد، من جهة أخرى، الجهات المختصة في الوصول إلى الحقائق، وتتبع عمليات غسل الأموال.

٣: التحقيق فيها من قبل مختصين متمكنين لكشف أبعادها. فالمتخصص المتمكن عندما يتولى التحقيق في عملية من عمليات غسل الأموال فإنه سوف يتمكن في الغالب من إظهار حقيقتها، والتثبت من مصادرها، وقد يتمكن من كشف شبكة لممارسة الجريمة، وإيجاد متخصصين متمكنين يتطلب تكثيف تعليمهم، وإلحاقهم باستمرار بدورات متقدمة، ودعم خبراتهم وتجاربهم.

٤: تكثيف التحريات من قبل الأمن، وزيادة العاملين فيها. فالحالات المشتبه فيها لا بد من التحري عنها، وجمع المعلومات حولها، لمعرفة حقيقتها، ومن ثم اتخاذ الإجراءات اللازمة حيالها، وإذا أهملت تلك الحالات فإن ذلك سوف يغري بتكرارها، لأن: (من أمن العقوبة أساء الأدب) كما يقولون. وشعور غاسلي الأموال بوجود تحريات مكثفة حول غسل الأموال سوف يدفعهم إلى التردد كثيراً قبل الإقدام على أي خطوة في هذا المجال.

٥: سن أنظمة وعقوبات وأحكام قضائية مناسبة وصارمة. فالعقوبات الرادعة، والمناسبة للجريمة، ولدور الشخص فيها تعتبر من أنجع وأنجح الوسائل لردع المجرمين، ومكافحة الجريمة. ومن ضمن العقوبات التي ذكرت (التشهير بمرتكبي هذه الجرائم في جميع وسائل الإعلام)، والتشهير عملية ردع لمن يفكر بممارسة عمليات غسل الأموال، لأنها تشوه السمعة، وتؤثر على مكانة الشخص الاجتماعية، وتدعو إلى الابتعاد عنه وتجنبه، وتجنب التعامل معه. وذكر أحدهم (مصادرة جميع الأموال التي يثبت أنها من مصادر غير مشروعة). وذكر آخر (عدم السماح لغاسلي الأموال بمزاولة أي نشاط اقتصادي). وفي هذا تأكيد للدعوة إلى وضع نظام لجرائم غسل الأموال يوضح المخالفات والعقوبات المترتبة عليها.

٦: تكثيف الدورات للمختصين من رجال الأمن والمصارف. فالذين توكل إليهم متابعة عمليات غسل الأموال في البنوك، ومن رجال الأمن بحاجة إلى أن يتزودوا بالمعرفة والخبرة والدراية في هذا الجانب، وأن يطلعوا على كل جديد في هذا المجال، ومن ذلك الحيل المستحدثة من قبل غاسلي الأموال للتمكن من كشفها وسد الطريق على منفذيها.

٧: تسهيل عملية الاتصال والتنسيق والتعاون وتبادل الآراء بين الجهات المعنية. فالجهود تظل مبعثرة، وتقل فاعليتها وجدواها إذا لم تكن متكاملة، وبينها تنسيق وتعاون، والجهات التي تعنى بمكافحة غسل الأموال هي الجهات الأمنية، والبنوك والمصارف،

ومؤسســة الـنقد، والغرف التجارية، ومكافحة المخدرات، ومكافحة التزوير وغيرها، ولعـل اقتراح إنشاء جهة مختصة لمكافحة غسل الأموال ووجود ممثلين فيها لكثير من الجهات التي ذكرناها هنا سوف يحقق هذا المطلب.

٨: إلزام الشركات بصرف الرواتب بالشيكات أو الحوالات، وهذا يمكّن من متابعة دخلهم وحوالاتهم، ومحاصرة إجراء عمليات غسل الأموال من قبلهم.

٩: إلـزام الأفـراد بفتح حسابات لدى البنوك، وبهذا تكون البنوك هي قناة تحريك وتسيير الأمـوال، ومـن ثـم يمكن تتبع حركتها، وهذا يحد من انتشار النقد في أيدي الناس، وحفظه في المنازل، وتعرضه للسرقة، أو استخدامه غطاء لغسل الأموال..

١٠: تأسـيس هيئة خاصة، ومنحها سلطات واسعة. وقد مر معنا في الجدول رقم (٣) أن الغالبية العظمى (٨٣,٥%) من أفراد العينة يرون أن إنشاء تلك الهيئة مهم جداً، ويرى (١١%) أنهم مهم إلى حدٍ ما، وإنشاء هذه الإدارة المتخصصة في مكافحة جرائم غسل الأمـوال سوف يؤدي إلى تركيز الجهود، وتجميع الخبرات وتطويرها، وسوف يسهم في توعية المواطنين بأبعاد هذه الجريمة وأخطارها.

١١: التعاون مع الدول التي لها خبرة في هذا المجال، والاستفادة من تجاربها، وهذا سوف يختصـر الجهود، ويرفع من كفاءة العاملين في هذا الحقل، وينقل إليهم خبرة وتجربة الآخرين، ثم إن التعاون مهم في تنسيق الجهود، وتبادل المعلومات والخبرات.

وفي نهاية الاستبيان سألنا المبحوثين إذا كانت لديهم إضافات أو وقائع أو تعليقات حـول موضوع غسل الأموال وأخطاره وطرق مكافحته أن يزودونا بها. وفي هذا السياق يقـول المستشـار المالـي في مؤسسة محمد حلواني للصرافة في جدة (قناعتي أن غسل الأمـوال جـريمة يحاسب عليها الدين قبل القانون، لأن ما يضر الناس في أرزاقهم أمر يحاسـب عليه الله عز وجل، وفي رأيي أن غاسل الأموال لو كان عنده ذرة من شرف أو خـوف من الله لما ارتكب ما ارتكب في سبيل منفعة فردية عاجلة كان يستطيع الحصول

علـيها بشـكل سليم لو اتبع القانون، ورأى أن المنفعة الجماعية هي الأبقى والأصلح، ولا شك في أن وجود القوانين السليمة يساعد على ضبط هذه الأمور بشكل كفء وسريع).

ومن المقترحات التي قدمها رئيس وحدة غسل الأموال في الإدارة العامة لشركة الراجحي للاستثمار بالرياض ما يلي:

- يجب أن يكون هناك قاعدة بيانات كافية عن كل المتعاملين مع البنوك.
- حماية الأفراد والجهات التي تقوم بالتبليغ عن تلك الحالات.
- سـرعة الـتجاوب مـع الحالات المبلغ عنها حيث يلاحظ استمرار عمليات غسل الأمـوال مع أنه قد تم التبليغ عنها، ويجب التبليغ للبنوك خلال مدة محدودة بنتائج البحث بعد التبليغ.

وقـال مديـر مجموعة تمويل الشركات في بنك الجزيرة (يجب تحديد مصادر الأموال للأشـخاص أو الشـركات التي تتعامل بمبالغ كبيرة وإثبات هذه المصادر)، ومعظم هذه المقترحات مهم، ومفيد في مكافحة عمليات غسل الأموال.

خاتمة

رأيـنا مـن خـلال هذه الدراسة أن النظام المصرفي في المملكة قوي جداً، وأن مؤسسـة الـنقد العربي السعودي تقوم بجهد ملموس ومشكور في مراقبة حركة الأموال، والإشراف على أداء البنوك، وأن البنوك حريصة على معرفة المتعاملين معها، ورأينا أن هناك أهمية كبيرة لإنشاء وحدة خاصة لمكافحة غسل والأموال، وتبين لنا كثير من الطرق والأساليب التي يستخدمها غاسلو الأموال للوصول إلى أهدافهم، كما تبين لنا أهم الأضرار الاجتماعـية والاقتصـادية لهـذا النوع من الجرائم، وفي الختام نقترح الأخذ بمقترحات مسؤولي البنوك، وتكثيف التعاون بين الجهات الأمنية والمالية، وإجراء المزيد من البحوث والدراسات حول هذه الظاهرة، كما يجب تطوير نظام لجرائم غسل الأموال يحدد الجريمة والعقوبة المترتبة عليها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- أبوزيد، محمود (ب.ت.ن) **المعجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقاب**، دار الكتاب للطباعة والنشر.
- أبو سمرة، محمد (١٩٩٧م) غسيل الأموال بين الحقيقة والخيال، عمان، الأردن.
- الباز، عباس أحمد محمد (١٤٢٠م) أحكام المال الحرام وضوابط الانتفاع والتصرف به في الفقه الإسلامي، إشراف ومراجعة عمر سليمان الأشقر، دار النفائس.
- بدوي،السيد محمد(١٩٨٦م) في علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- جمعة، محمد (٢٠٠٠م) (٧٠ مليار دولار حجم غسيل الأموال في العالم العربي) www.islamonline.net
- حافظ، طلعت زكي، (غسيل الأموال.. خطر يهدد سلامة الاقتصاد العالمي) مجلة عالم الاقتصاد، العدد: ٩٤).
- درويش، خالد قاسم (ب.ت.ن.) (الجريمة المنظمة) ورقة عمل غير منشورة.
- رضوان، سمير، ومحمد حسونة، وعبدالحكيم سعد، وأشرف الشرقاوي، ووليد محمد، ومحمد اليامي، وفلاح سليمان، (١٩٩٥م) السياسات الاقتصادية والمصرفية ودورها في مواجهة عمليات غسيل الأموال)، في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ١٠١-١٢٩
- الزهراني، عبدالرزاق بن حمود (ب.ت.ن) جرائم العصابات: دراسة ميدانية **على المحكوم عليهم في سجون مدينة الرياض**، وزارة الداخلية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، الرياض.
- السمري، عدلي (١٩٩٢م) السلوك الانحرافي: دراسة في الثقافة الخاصة الجانحة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الشيخ، بابكر، (١٩٩٩م) آليات المجتمع السوداني في التصدي لظاهرة غسيل الأموال، دراسة لأسباب ظاهرة غسل الأموال وآثارها وكيفية مكافحتها، كلية القانون، قسم القانون الجنائي، جامعة النيلين،الخرطوم.
- صوان، أحمد، ومختار علي، وعطاالله طه، وحازم أحمد، وخالد حسن، وأيمن عودة،

(١٩٩٥م) (تقييم ا لمواجهة التشريعية لعمليات غسل الأموال دولياً ومحلياً) في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ١٣١-١٦٠.

- الطحاوي، عبدالخالق، وأحمد خطاب، وياسر داود، وعادل محمد، وهاد صادق، وعماد أبو ظاهر، (١٩٩٥م) (مفهوم ظاهرة غسل الأموال وأبعادها دولياً ومحلياً) في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص:١٩-٤٧.
- الطخيس، إبراهيم (١٤٠٣هـ) دراسات في علم الاجتماع الجنائي، دار العلوم، الرياض.
- ظاهر، نصار، وعلاء عزام، وياسر حفناوي، وناصر علي عطية، وإيهاب محمود، وطارق الأطرش، (١٩٩٥م) (العلاقة التبادلية بين الجريمة المنظمة وعمليات غسيل الأموال) في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ٧١-١٠٠.
- عباس، علاء، وأحمد يوسف، وعصام غالي، وخضر الزهراني، وخالد علي، وشريف محمود، وعبدالعزيز الشمري، (١٩٩٥م(التعاون الدولي والعربي في مجال مواجهة عمليات غسيل الأموال) في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ١٩٦-٢٢٩.
- عبدالعظيم، حمدي (١٩٩٧م) غسيل الأموال في مصر وفي العالم (الجريمة البيضاء- أبعادها- آثارها-كيفية مكافحتها) دار الزهراء، القاهرة.
- عوض، محمد محي الدين (١٤١٦هـ) (الجريمة المنظمة)،المجلة العربية للدراسات الأمنية
- والتدريب، ج:١٠، عدد: ١٩، ص: ٧-٣٥.
- الغمري، رضا، ومحمد فرج، وأمين عبدالمنعم أمين، وعصام عاشور، وأحمد الخطيب، وعلي جبران، (١٩٩٥م) (نحو تخطيط أمني فعال لمواجهة عمليات غسيل الأموال) في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ١٦١-١٩٥.
- القهوجي، علي عبدالقادر (١٩٨٥م) علم الإجرام وعلم العقاب، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت.
- كاره، مصطفى عبدالمجيد (١٩٨٤م؟)مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي.
- كامل، أحمد فؤاد ١٤١٣هـ (غسيل أموال المخدرات القذرة)، المجلة العربية للدراسات الأمنية، مج:٨، عدد:١٥، ص ص:١٥١-١٦٥

- الكاملي، عبدالخالق،(غسل الأموال) www.ditnet.com
- كينلوتش، جراهام (١٩٩٧م) تمهيد في النظرية الاجتماعية:تطورها ونماذجها الكبرى، ترجمة:محمد سعيد فرح، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية. مجلة المجتمع، العدد: ١٣١٩
- الهريش،عبداللطيف عبدالرحمن (١٤٢١هـ) (وقفة مع مفهوم غسيل الأموال)، المحامي، العدد:٧، ص:١٨-٢٠.
- الهلالي، نشأت، وخالد طلعت، وتامر أحمد، وأيمن عبدالله، وعلاءالدين فرغلي، وجمال أبو ظريفة، (١٩٩٥م)، (ظاهرة غسيل الأموال وآثارها السلبية على المجتمع)، في: المواجهة الأمنية لعمليات غسيل الأموال، أكاديمية الشرطة، القاهرة، ص: ٤٩-٧٠.

المراجع الأجنبية

- Cloward, R. & L. Ohlin, 1960 Delinquency and Opportunity: A Theory of Delinquent Gangs, New York, Free Press.
- Lemert, E., 1980(*Primary and secondary Deviation),* in: Traub, S. H. & C. B. Little, (Eds.), Theories of Deviance, Itasca, F. E. Peacock Publishers,Inc., Second Ed., pp: 248-253.
- Merton, R., 1980 (Social Structure and Anomie), in: Traub, S. H. & C. B. Little, (Eds.), Theories of Deviance, Itasca, F. E. Peacock Publishers, Inc., Second Ed., pp: 107-138.
- Robinson, J., 1996 The Laundrymen: Inside Money Laundering, the World's Third Largest Business, New York, Arcade Publishing.
- Sutherland, E. & D. Cressey 1974Criminology, New York, J. B. Lippincott Comp. 9th ed.

مواقع على الإنترنت

www.arabia.com
www.albayan.com.ae
www.ditnet.co.ae/arabic/internet/study1101a3.html
www.islamonline.net
www.launderyman.u-net.co
www.occ.tears.gov/launder/org.htm
www.rcmpgrc.ca/html/launder.htm
www.yahoo.com

الهيروين وطرق الكشف عنه في جسم المدمن

إعداد

خالد أبو بكر محمد

خبير المخدرات والسموم بالمعامل الكيماوية الشرعية بمصلحة الطب الشرعي بالقاهرة

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للدراسات الأمنية ـ كلية الملك فهد الأمنية بالرياض

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

ملخص

يعتبر الهيروين من أشد العقاقير المسببة للإدمان، ويعتبر إدمان الهيروين والمورفين مسؤولاً عن انتشار العديد من الأمراض المعدية والتي تنتقل عن طريق الدم، أو عن طريق الحقن الملوثة، لأن معظم متعاطي الهيروين يفضلون التعاطي عن طريق الأوردة بسبب الشعور بفاعليته فوراً. وتختلف عينات الهيروين في خصائصها الفيزيائية من حيث اللون والتجانس، كما تختلف في مكوناتها الكيميائية بسبب اختلاف طرق التحضير، واختلاف المصادر الطبيعية التي يتم تحضيره منها، هذا بالإضافة إلى اختلاف المواد التي يتم إضافتها بغرض الغش. وللكشف عن وجود الهيروين في جسم المتعاطي، يفضل التركيز على عينات البول لأنه تفرز فيها نسبة كبيرة من نواتج هضم الأدوية والمخدرات، وتبقى فيها لمدة أطول من مدة بقائها في الدم، ولكن في حالة الهيروين يجب التركيز على الكشف عن وجود المورفين، لأنه يعتبر آخر صورة يكون عليها الهيروين في الجسم. ولإجراء هذه التحاليل يجب أن يقوم بالكشف فنيون مؤهلون مدربون وملمون بطرق التحليل. ونظراً لأهمية الإجراءات التي تؤخذ ضد صاحب العينات في حالة إيجابية النتائج، فإنه دائماً لا يُكتفى بطرق الكشف المبدئية مثل طريقة التحليل المناعي، ولكن تستخدم طرق تأكيدية أكثر دقة وحساسية، مثل طريقة التحليل الغازي الكروماتوجرافي GC، أو التحليل السائل الكروماتوجرافي عالي الأداء HPLC، أو التحليل الغازي الكروماتوجرافي المتصل بوحدة قياس طيف الكتلة GC/MS.

مقدمة

بصفة عامة يتأثر جسم الإنسان عند تعاطي المخدرات، ويختلف التأثير تبعاً لكمية المخدر المستعملة ، ولا يوجد جزء معين من الجسم يتأثر دون غيره ، بل إن سائر الأعضاء تتأثر تأثراً مباشراً عند التعاطي.

وتعتبر جميع أنواع المخدرات مركبات كيميائية، سواء كانت هذه المخدرات طبيعية أو نصف صناعية أو صناعية تُستخدم لأغراض طبية أو غير طبية. هذه المركبات الكيميائية لها تأثير على الجهاز العصبي المركزي، كما أنها تؤثر أيضاً على جميع أجهزة الجسم الأخرى ، ويكون التأثير حسب الكمية التي يتعاطاها الفرد والتي تسمى علميًا "الجرعة". فهناك ثلاثة أنواع من الجرعات وهي: جرعة تعاطي ، جرعة تسمم، جرعة قتل. وأي مدمن للمخدرات لا بد أن يمر بالثلاث جرعات، لأن الإدمان يجبر الفرد دائماً على زيادة الجرعة حتى يصل إلى الجرعة القاتلة.

للتعرف على نوع وتركيز المادة المخدرة في جسم الإنسان المتعاطي فإنه توجد عينات معينة تُطلب للفحص لتحديد نوع وتركيز المادة المخدرة ، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن العينات التي تؤخذ من إنسان متوفى لن يقتصر تحليلها على البحث عن المواد المخدرة فقط ، بل إن معمل التحاليل سوف يشمل البحث عن جميع المركبات الكيميائية التي يمكن أن يكون قد تناولها هذا الإنسان عن طريق الخطأ أو العمد، سواء كانت مواد مخدرة، أو أدوية طبية، أو مبيدات حشرية، أو سموماً معدنية أو غازات سامة. والتحليل الكيماوي للعينات البيولوجية يجب أن يتم بواسطة شخص مؤهل ومدرب وملم بطرق التحليل ، ويكون قد مارس العمل في هذا المجال لفترة تؤهله لأن يكون خبيراً فيه، على أن يتم تزويد الباحث بكل المعلومات الخاصة بالحالة التي هو بصددها من ناحية المادة المحتمل أن يكون المصاب قد تناولها ووقت ظهور أعراض التعاطي، وأنواع هذه الأعراض، وطبيعة وشدة هذه الأعراض، وهل حدث قيء ، نوم عميق ، نخر في العظام، هذيان ، ضيق أو اتساع حدقة العين ، أو تأثير على النظر أو السمع أو الأشياء التي وجدت في مسرح الجريمة في حالة حدوث الوفاة.

أهمية الدراسة

يوجد بصفة عامة سببان رئيسان لأخذ العينات البيولوجية من جسم الإنسان وإرسالها للتحليل لإثبات أو نفي وجود مواد مخدرة فيها : السبب الأول هو الشك في تعاطي هذا الفرد للمخدرات نتيجة أعراض معينة ظهرت عليه، أو بسبب سلوك غير طبيعي مع المارة، أو نتيجة تحريات أو استخبارات عنه أثبتت ذلك، في هذه الحالة لو كانت النتيجة إيجابية فهذا يعني اتخاذ إجراءات قانونية ضد هذا المتهم الذي أخذت منه العينات. أما السبب الثاني فهو التشخيص والعلاج في حالة إدخال أحد المدمنين إلى المصحات المختصة، وفي هذه الحالة لا تهم النتيجة الإيجابية من ناحية الإجراءات القانونية بقدر ما تفيد في تحديد نوعية المادة المدمن عليها هذا الفرد وعلاجه منها، وإنقاذه وإعطائه

المضادات المناسبة إن كان هذا الفرد تعاطى جرعة زائدة أظهرت عليه أعراض التسمم بهذه المادة.

ولأنه في معظم الحالات يترتب على النتيجة الإيجابية اتخاذ إجراءات قانونية تجاه صاحب العينات التي تم تحليلها فإنه يجب أن تكون الطرق المستخدمة لتحليل هذه العينات وإثبات وجود مخدرات فيها أو نفيها في غاية الدقة والحساسية، كما يجب ألا يكتفي الخبير بطريقة واحدة لكتابة تقريره عن العينات.

يعتبر الهيروين من أخطر أنواع المخدرات المستخدمة على الإطلاق لأن قوته تتراوح بين ضعفين وعشرة أضعاف قوة المورفين، وأسرعها من حيث قدرته على إحداث الإدمان، بالإضافة إلى أن معظم حالات الوفيات التي سجلت نتيجة تعاطي المخدرات كانت لمتعاطي الهيروين، لأن الجرعة القاتلة له حوالي ٢,. جرام، لذلك فقد تم التركيز في هذا البحث على الطرق العلمية الحديثة المستخدمة للكشف عن وجود الهيروين، أو أي من نواتج تحلله في جسم المتعاطي. وتعتبر عينة البول من أفضل العينات التي يستدل بها على تعاطي الفرد للمادة المخدرة أولاً لسهولة أخذها من المتهم دون اللجوء إلى وسائل طبيه مثل الإبر، ثانياً لأنه ثبت علمياً أن كل نواتج تحلل أو تكسر الأدوية والمخدرات في جسم الإنسان تفرز في البول وتبقى فيه لفترة طويلة أكثر من مدة بقائها في الدم، هذا بالإضافة إلى احتمال وجود نسبة من هذه المواد في عينة البول كما هي دون تحلل، لذلك تم التركيز في هذا البحث على استخدام عينة البول للكشف عن الهيروين ونواتج تمثيله فيها.

أهداف الدراسة

تحليل المخدرات للتعرف على وجودها أمر بالغ الأهمية، فيه يقوم الدليل، وهو الوسيلة في مجال الإثبات القضائي، وبغير هذا الدليل العلمي لا يكون لواقعة الضبط أي كيان

قانوني. ويعتبر التعرف على بناء المواد المخدرة وتحديد مصدرها مسألة معقدة وهو حقل التخصص للكيميائيين. ويجب على ضباط وموظفي المكافحة الذين يتعاملون مع موضوعات التهريب والنقل وإساءة استعمال العقاقير المخدرة أن يعرفوا ما يمكن للخبير أن يقوله لهم في هذا المجال.

أول عملية يجب إجراؤها عند ضبط المادة المخدرة هو تحليلها الكيميائي ، لأن المهربين قد أصبحوا أكثر حرصاً لتفادي ضبطهم، كما أن بعض المواد ــ ولو أنها في الوقت الحالي تشكل أهمية، وتعتبر من مواد الإتجار غير المشروع في بعض البلاد ــ لا يمكن الكشف عنها بالاختبارات الميدانية (الاختبارات اللونية). ومن أمثلة هذه المواد مادة فينمترازين. وكذا ورق نبات الكوكا الذي يسهل التعرف عليه من مظهره المميز، ولكنه إذا قطع إلى قطع صغيرة فإنه يصعب التعرف عليه، سواء بالفحص الظاهري أو بإجراء الاختبارات الميدانية.

ومن هنا تظهر أهمية استخدام وسائل متطورة وحديثة للكشف والتعرف على وجود المواد المخدرة. وعلى ذلك فالأبحاث المطلوبة الآن أكثر تعقيداً، ولا تتوقف عند حد الكشوف الميدانية أو اللونية، بل يجب أن تستمر حتى يتم تحديد نوعية المادة المخدرة بدقة أو نفي وجودها تماماً، خاصة أنه لم تصبح مشكلة المخدرات في العصر الحديث هي مشكلة المخدرات الطبيعية مثل الحشيش والأفيون، أو المصنعة مثل المورفين والهيروين– كما كان في الماضي– بل أصبحت مشكلة المخدرات أخطر من هذا بكثير،لأن خطورتها تكمن في الأنواع التي لا حصر لها من أنواع العقاقير المخدرة والمواد النفسية التشييدية التي تأخذ أشكالاً وأحجاماً وألواناً تتشابه– بل تتطابق في بعض الأحيان– مع الأدوية الشائعة الإستعمال في الصيدليات مثل أقراص الأسبرين وخلافه ، وبالتالي فإنه لا يمكن التعرف على وجود مثل هذه العقاقير المخدرة والمواد النفسية المجهولة إلا بالتحليل الكيميائي الدقيق، وتحديد المُركّبات الفعّالة بها، ومقارنتها بعقاقير ومواد قياسية معلومة المصدر

والتركيب حتى يُمكن تحديد ماهية العقاقير المخدرة والمواد النفسية المجهولة بدقة والتعرف عليها تماماً بما لا يدع مجالاً للشك في كونها مادة من مواد الإتجار غير المشروع من عدمه.

وتكمن أهمية استخدام الوسائل العلمية الحديثة في الكشف والتعرف على العقاقير المخدرة في مجال عمل الشرطة في أنه يُمكن لضباط مكافحة المخدرات- عند الإشتباه في مادة ما كونها ضمن مواد الاتجار غير المشروع من عدمه- قطع الشك باليقين في أسرع وقت ممكن، والحصول على أدق النتائج، مما يكسبهم الثقة في سلامة ما يتخذونه من إجراءات، وأن تصبح هذه الإجراءات موضع ثقة واطمئنان من جميع الجهات التي يتعاملون معها في هذا المجال، مما يوفر الوقت والجهد والعدالة.

خطة البحث : سيتم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول

الأنواع المشهورة من منتجات الأفيون و الهيروين و المورفين غير المشروعة

أولا : الأفيون

الأفيون منتج طبيعي يتم الحصول عليه بتشريط كبسولة الخشخاش قبل تمام نضجها، فيسيل منها سائل لبنى اللون، صمغي القوام، يُترك هذا السائل في الهواء الجوي حتى يتحول لونه من الأبيض إلى البني، ثم يتم كشطه من على الكبسولات وتجميعه وهذا يسمى بالأفيون الخام؛ وهو مركب مخلوط يحتوي على عدد من المركبات العضوية المختلفة مثل السكريات والبروتينات والدهون وأشباه القلويات. فقد تم التعرف على حوالي ٤٠ مركباً من أشباه القلويات موجودة فيه، وتعتبر خمسة من هذه المركبات هي المكونات الرئيسية في الأفيون، وتقع الخمسة مركبات في مجموعتين أساسيتين هما أشباه قلويات الفينانثرين، وتتمثل في المورفين والكودبين والثيبايين وأشباه قلويات الأيزوكينولين وتتمثل في البابافرين والناركوتين (نوسكابين)، وتتوقف نسبة توافر هذه المركبات في الأفيون

الخام على عدة عوامل مثل المناخ، وارتفاع الأرض عن سطح البحر، وخصوبة التربة، ونسبة الرطوبة، وعمر النبات، ووقت التشريط، ونوع نبات الخشخاش نفسه (United Nations, 1995).

المورفيـــن هو المادة الأساسية في أشباه قلويات الأفيون، ويتراوح تركيزه في الأفيون الخـــام مـــا بين ٤: ٢١%، والتركيز المعتاد له يتراوح بين ٨ : ١٤%، ولكن في الأفيون المعـــترف بإنـــتاجه والمعروف باسم الأفيون الهندي لا يقل تركيز المورفين عن ٩,٥% مورفيـــن لامائي. وتتأثر درجة نقاء المورفين المستخلص من الأفيون بالطريقة المستخدمة في الإستخلاص.

الناركوتين هو ثاني مادة شبه قلوية شائعة في مكونات الأفيون ويتراوح تركيزه ما بين ٢: ٨ %، وهو مادة غير مخدرة، وأحياناً تكون مخلوطة بالمورفين على هيئة شوائب.

يتوافر الكوديين في الأفيون الخام بتركيز يتراوح ما بين ٧,. : ٣ %، و هو يتواجد أيضاً في المورفين الخام على هيئة شوائب.ويتحول إلى أسيتيل كوديين عند تحويل هذا المورفين إلى هيروين. والثيبايين من أقل المواد الموجودة في الأفيون، حيث يوجد بنسبة تتراوح ما بين ٢,. :١%.

البابافرين: يستخدم لتوسيع الأوعية الدموية ومنع تقلص العضلات(البار، ١٩٨٩م) ، وتتراوح نسبة وجوده في الأفيون الخام ما بين ٥,. : ١,٣%.

ويعتبر حامض الميكونيك (Meconic acid) من المواد المميزة جداً للأفيون الخام، ويوجدبنسبه تصل إلى ١٥%.

صور وجود الأفيون (United Nations, 1995):

الأفيون الخام: حديث الإستخلاص. وهو عبارة عن مادة صمغية لونها بني داكن يُمكن تشكيلها حسب طريقة التعبئة وبلد الإنتاج، وكلما مر الوقت على تجميع هذه المادة فإنها

تفقد بعض مكوناتها متحولة إلى مادة صلبة وهشة. والأفيون الخام مادة غير متجانسة قابله للذوبان في الماء وتحتوي على بعض الشوائب من الكبسولات المنتجة له، وأحياناً يتم غشه بإضافة لب الموز. ولكي تخزن لفترة دون أن تجف تغلف أولاً في أوراق شجر أخضر، ثم بعد ذلك في لفائف من البلاستيك وتربط بالخيط.

الأفيون المجهز: يعرف الأفيون المجهز في جنوب شرق أسيا باسم (شاندو)؛ وطريقة التجهيز تشمل خطوات عديدة، منها الإستخلاص بالماء، ثم الترشيح وتبخير الماء وهذه الطريقة تستخدم خصيصاً للحصول على منتج صالح للتدخين.

خبث الأفيون: وهو بقايا الأفيون المحترق في الغليون بعد تدخينه ويخلط بالأفيون الخام والأفيون المجهز، ويستعمل في جنوب شرق أسيا وذلك لوجود نسبة من الأفيون غير كامل الإحتراق والمتكاثف في هذه النفايات.

الأفيون الطبي: وهذا الإسم يطلق أيضاً على مسحوق الأفيون، وهو أفيون مجفف في درجة حرارة متوسطة، ثم يطحن إلى مسحوق ناعم، ويتم التحكم في تركيز المورفين فيه عن طريق إضافة مسحوق اللاكتوز، أو قشر الكاكاو، أو قشر الأرز، وفي الغالب يكون لون المنتج بنياً فاتحاً متكوناً من حبيبات لونها بني مصفر، ولها رائحة الأفيون. ومن الناحية الكيميائية فإن الفرق بين تركيب الأفيون في كلٍ من الصور السابقة يكون ضئيلاً.

ثانياً: المورفين الخام

الإنتاج غير المشروع للمورفين الخام يُحْصَل منه على نوعيات للمورفين تتراوح ما بين الجيد جداً إلى النوعية السيئة جداً؛ وهذا الفرق يعتمد على عدة عوامل منها طريقة الاستخلاص، وطريقة التنقية، وجودة المركبات الكيميائية المستخدمة في الطريقتين السابقتين، وكفاءة من يقوم بتحضير نوعية المورفين الخام.

ثالثاً: الهيروين

عند التحدث عن الهيروين يجب معرفة أنه لا تتشابه عينتان مختلفتان من الهيروين في الخصائص الفيزيائية الظاهرية، نظراً لأن تحضير الهيروين بكميات كبيرة ومن مصادر طبيعية مختلفة يؤدي إلى تغير كبير في خصائصه، هذا بالإضافة إلى تعرضه إلى عمليات الغش والإضافات بغرض تحقيق الكسب السريع في الإتجار غير المشروع، وبالتالي لا يستغرب وجود هذه الصور والأنواع المختلفة من الهيروين.

ويجب أن نشير إلى أن أنواع الهيروين التي سنتطرق إليها في هذا البحث هي فقط بعض من هذه الأنواع المشهورة، أي أنه لو أرسلت عينة إلى الطب الشرعي ولم تكن متطابقة مع العينات التي سنذكرها فهذا لا يعني أنها ليست هيروينا، أو لا تحتوي على الهيروين.

بعض أنواع الإنتاج غير المشروع للهيروين

١- نوعان من هيروين جنوب غرب آسيا:

النوع الأول: تتدرج ألوانه من البيج إلى البني الغامق. وهو في الغالب مسحوق ناعم، وأحياناً توجد به بعض التكتلات الحصوية. وهذا النوع يشكل أشهر الأنواع المعروفة في هذه المنطقة، وهذا الاختلاف في الخواص الفيزيائية يسير بالمحاذاة مع الاختلاف أيضاً في المكونات الكيميائية. ومن أحدث العينات التي ضبطت في هذه المنطقة عينة عبارة عن مسحوق ناعم لونه بني فاتح تفوح منه رائحة الأفيون، ودرجة نقاء الهيروين فيها تعادل ٦٠%، بالإضافة إلى العديد من أشباه القلويات ومشتقاتها الموجودة مع الهيروين والتي تمثل النسب التالية(United Nations, 1995):

Acetylcodeine...5%
O^6-Monoacetylmorphine..........3%
Narcotine.............10%
Papavarine.............4%

النوع الثاني: مسحوق ناعم جاف يتدرج لونه من اللون الأبيض الباهت إلى اللون البيج ورائحته أخف بكثير من النوع الأول، وتتراوح درجة نقاؤه بين ٨٠ : ٩٠ %، وفي هذه النوعية يوجد الهيروين على هيئة ملح الهيدروكلوريد لدرجة أن هذا النوع من الهيروين لا يمكن تمييزه عن الأنواع المنتجة كيميائيًا . أما عن أشباه القلويات التي سجلت مختلطة مع هذه النوعية فإنها تتوافر بالنسب التالية: (United Nations, 1995):

Acetyl codeine............... 3%
O6-Monoacetylmorphine..........2%

٢- نوعان من هيروين وسط آسيا:

النوع الأول: مسحوق ناعم بيج اللون نادراً ما توجد به تكتلات حصوية، ومن الصعب الحصـــول على عينة من هذه النوعية بتركيز ٧٠ % ، ولكن التركيز الشائع في هذه النوعية في حدود ٥٠ %. أشباه القلويات التي وجدت مخلوطة مع هذه النوعية من الهيروين موجودة على هيئة أملاح الهيدروكلوريد وبالنسب التالية(United Nations, 1995):

Acetyl codeine............... 3%
O6-Monoacetylmorphine..........2%

و هذا النوع يتم غشه في الغالب بإضافة بعض المستحضرات الصيدلية مثل البروكايين.

النوع الثاني: مسحوق ناعم لونه أبيض باهت، ويتراوح تركيز الهيروين في بعض عينات هذا النوع ما بين ٧٠-٨٠ %، ولكن معظم العينات الأخرى يتم تخفيف تركيز الهيروين فيها بإضافة كميات مكافئة من الكافيين، وبالتالي يقل التركيز إلى أن يتراوح ما

بين ٣٠-٤٠ %. أشباه القلويات التي وجدت مخلوطة مع هذه العينات توجد على هيئة أملاح الهيدروكلوريد، والعينات المخففة تحتوى على تركيزات ضئيلة جداً من أملاح أشباه القلويات. أمـــا العينـــات عاليـــة التركيز فتتمثل فيها أشباه القلويات بالنسب التالية :(United Nations, 1995)

Acetyl codeine............... 2-3%
O6-Monoacetylmorphine..........2%

٣- نوعان من هيروين جنوب شرق آسيا:

النوع الأول: هيروين التدخين ويطلق عليه (صيني رقم ٣) وهو حبيبات صلبة يتراوح نصـــف قطـــرها ما بين ١-٥ مم، مع احتمال وجود كمية قليلة جداً من المسحوق مع هذه الحبيبات وهذه النوعية تختلف تماماً عن النوعية التي بها التكتلات الحصوية الموجودة في جـــنوب غـــرب آســـيا لأنها تنتج أصلاً في صورة هذه التكتلات الصلبة ولم تتكون نتيجة الضـــغط كما هو الحال في عينات جنوب غرب آسيا. اللون الغالب على هذه النوعية من الهيرويـــن هو اللون الرمادي أو البني الفاتح، ولكن في حالات خاصة قد يغلب على هذه الحبيبات اللون الأحمر أو الوردي. وهذا الاختلاف في الألوان يرجع إلى:

أولاً : اللون الرمادي أو البني الفاتح راجع إلى أن نسبة الهيروين في هذه العينة تكون ٢٠% فقط بالإضافة إلى ٤٠% كافيين وقليل جداً من أشباه القلويات، ويجب أن نشير إلى أن حوالي ٥% من الهيروين فى هذا النوع يتحول إلى O6-Monoacetylmorphine نتيجةً إلى التميؤ. ويلاحظ أن أشباه القلويات الموجودة في هذا النوع من الهيروين بعضها يكون على شكل قاعدة، وبعضها الآخر على شكل أملاح الهيدروكلوريد، وهذا يعني أن حامض الهيدروكلوريك لم يضف بكميات مكافئه لحدوث التعادل.

ثانياً: العينة ذات اللون الأحمر أو الوردي تكون متشابهة في التركيب بالهيروين الرمادي ولكن تختلف عنه في أن الكافيين يستبدل بأحد مشتقات الباربتيورات.

النــوع الثاني: هيروين الحقْن ويطلق عليه (صيني رقم ٤)، وهو مسحوق أبيض اللون لا توجــد له رائحة فواحة، ولا توجد فيه تكتلات حصوية. وفي الواقع فإن معظم محتوى هــذه النوعــية هيرويــن ولم يلاحظ فيها أي وجود للناركوتين أو البابافرين، ولكن لوحظ وجود O6-Monoacetylmorphine بنسبه لا تتعدى ٣%، ونسبة الأسيتيل كودبين الموجــودة في هذه النوعية من الهيروين أعلى من مثيلاتها في العينات النقية من هيروين جــنوب شرق آسيا، وكل أشباه القلويات الموجودة في هذه النوعية تكون على هيئة أملاح الهيدروكلوريد.

فــي كل أنواع الهيروين- التي ذكرت سابقاً- أياً كان أصلها فإن نسبة وجود المركب O6-Mono-acetylmorphine قــد تكــون أعلــى مما ذكر، وهذا يرجع إلى أن إضــافة حــامض الهــيدروكلوريك للمعادلة لا تكون بنسبة ١:١، ولكنها تزيد، مما يُسبب تحــول نسبة من الهيروين إلى O6-Mono-acetylmorphine. ومن النادر جداً أن يتحول الهيروين إلى مورفين نتيجة هذا التحول، ولكن وجود نسبة من المورفين في عينة الهيروين يعنى أن طريقة التصنيع لم تكن جيدة.

طرق تعاطي الهيروين

يتعاطى المدمن الهيروين بطرق عديدة منها الحقن أو الشم أو التدخين :

أولاً الحقن في الوريد: وهو من أخطر الطرق على المتعاطي وأسرعها تأثيراً، وفيه يذيب المتعاطي الجرعة في ماء ساخن، مع إضافة قليل من الحمض لتسهيل الإذابة، وذلك لأن أشباه القلويات سريعة الذوبان في الوسط الحمضي. وينتشر هذا الشكل من سوء الإستخدام على نطاق واسع في كثير من البلدان، وتكون التجربة الأولى لاستعمال الهيروين عادةً بالإستنشاق، ثم تأتى المرحلة الثانية عن طريق الحقن تحت الجلد، ثم المرحلة الثالثة عن طريق الحقن في الوريد.

ثانياً استنشاق (شم) الهيروين: توجد أكثر من طريقة لاستنشاق الهيروين، الطريقة الأولى هي شم مسحوق الهيروين مباشرة باستخدام أنبوبة صغيرة مفتوحة الطرفين، حتى لو كانت عملة ورقية ملفوفة على هيئة هذا الشكل، ويضع المتعاطي أحد طرفي هذه الأنبوبة في الأنف والطرف الآخر على مسحوق الهيروين ثم يستنشق. الطريقة الثانية هي استنشاق الدخان الناتج عن تسخين أو حرق الهيروين، وهذا يتم إما عن طريقة تسمى طريقة مطاردة التنين، أو طريقة المدفع.

طريقة مطاردة التنين (الجندي ، ١٩٩٢م): هي الشائعة بين المدمنين وفيها يخلط الهيروين بأجزاء عديدة من مسحوق الباربتيورات، ويوضع الخليط على صفيحة من القصدير، وتطبق هذه الصفيحة القصديرية بالطول، و يتم تسخين الخليط بلطف، و عندما ينصهر الخليط فإن الكتلة المنصهرة تتدحرج ببطء للخلف و للأمام على الصفيحة القصديرية، ويستنشق المتعاطي الأبخرة التي تتصاعد منها، وهذه الأبخرة تأخذ شكل ذيل التنين المتموج، ومن هذا الشكل تأخذ هذه الطريقة تسميتها مطاردة التنين، وفيها يمتد الاعتماد على الهيروين والباربتيورات.

أما في طريقة المدفع فتستخدم سيجارة مشتعلة ويغمس الطرف المشتعل في مسحوق الهيروين، وللمحافظة على مسحوق الهيروين الذي علق بطرف السيجارة المشتعلة من السقوط، يرفع طرف السيجارة المشتعل إلى أعلى، ويميل المتعاطي برأسه إلى الخلف وبهذا يكون طرف السيجارة المشتعل موجهاً إلى أعلى مثل المدفع، ومن هنا جاءت التسمية؛ والبديل لهذه الطريقة هو أن يستعمل المدمن سيجارة خلط دخانها بمسحوق الهيروين.

أهم الأمراض التي تنتشر بين مدمني الهيروين

١- مرض فقدان المناعة المكتسب الإيدز Aquired Immuno Deficiency Syndrom ويعتبر إدمان الهيروين والمورفين مسؤولا عن ٥٥ % من حالات الإصابة بالإيدز في إيطاليا، و١٧ % من حالات الإصابة به في الولايات المتحدة. وتختلف النسبة ما بين ذلك من قطر إلى آخر(البار ، ١٩٨٩م).

٢- التهاب الكبد الفيروسي من نوع B و C، وقد ذكر الدكتور مادن (Madden , 1984) أن ٢١ % من جميع حالات التهاب الكبد الفيروسي من نوع B، المسجلة في بريطانيا – ما عدا اسكوتلندا – عام ١٩٧٦م، كانت لمدمني الهيروين).

٣- الإنتان الدموي (Septicaemia) : تنتقل الميكروبات بواسطة الحقن الملوثة أو المواد المغشوشة الموجودة في الهيروين إلى الدم فتسبب إنتاناً في الدم، وينتج عن ذلك حمى شديدة وقشعريرة وغثيان وقيء و إغماء. وتنتقل الميكروبات عبر الدم إلى القلب والمخ والرئتين.

٤- إصابات عامة عن طريق الدم في مختلف أعضاء الجسم، مثل مرض الزهري الخطير بمراحله المختلفة.

٥- التهاب الأوعية الدموية في موضع الحقن، ومن ثم إلى أجزاء الجسم: كثيراً ما تلتهب الأوعية الدموية والأوردة نتيجة تكرار الحقن فيها، ويؤدي ذلك إلى تخثر الدم (التهاب الدم الخثاري Thrombophlebitis)، والتهاب الأوعية الدموية (Angitis) التي قد تتقرح (Necrotizing Angitis)، وقد يحدث ما هو أخطر من ذلك وهو تكون أم الدم الجرثومية (Mycotic Aneu-rysm) في الأوعية الدموية الدماغية مسببة الفالج (الشلل)، أو السكتة الدماغية (stroke)، أو التهاب الدماغ (Encephalitis)، أو خراج الدماغ (Brain Abcess) (البار، ١٩٨٩م).

٦- مرض الكزاز (التتانوس) : ينتشر التتانوس بين مدمني الهيروين، وقد تُعزَى

الأعراض خطأ إلى آثار سحب العقار فلا يتم التشخيص، ولذا تكثر الوفيات بدرجة يصعب تصديقها، فقد تراوحت ما بين ٥٠ و ٧٠ % من جميع حالات التتانوس لدى المدمنين(البار ، ١٩٨٩م).

٧- الـتهاب تحت الجلد : تنتشر التهابات الجلد، وتحت الجلد، بين مدمني الهيروين الذين يـتعاطونه بواسـطة الحـقن، نذكر منها الالتهاب الغلغموني (cellulitis)، وجود خراجات بالجلد (Abcesses) وقروح متصلبة.

الاعتماد على الهيروين (البار ، ١٩٨٩م) :

يعتبر الهيروين من أشد العقاقير المسببة للاعتماد النفسي والجسدي، وتكفي ثلاث حقن متتالية لإحداث الإدمان على الهيروين لدى أغلب الأشخاص، إذ أن القدرة على تحمل عقار معين تختلف من شخص إلى آخر، كما تختلف بتكرار تعاطي العقار لنفس الشخص بسبب وجود التحمل للعقار.

ويحدث التحمل عادةً بالنسبة للمورفين والهيروين بحيث لا تؤثر الجرعة المعتادة في الأمور التالية : الإحساس بالألم، الإحساس بالسعادة، التأثير على درجة الوعي، التأثير على التنفس، بينما يكون التحمل ضئيلاً بالنسبة لحركة الأمعاء، ولضيق حدقة العين. ولهذا فإن المدمن يعانى من الإمساك الشديد، كما أن حدقة عينه تزداد ضيقاً مع زيادة الجرعة باضطراد.

والغريب أن التحمل يختفي إذا تمكن الشخص من التوقف عن العقار لبضعة أسابيع، لهذا فإن الشخص المدمن إذا عاود تناول العقار بالكميات السابقة فإنه يتعرض لهلاك محقق، وقد حدثت وفيات بالفعل.

وإذا حدث تحمل لأحد مشتقات الأفيون فإن التحمل يحدث عادةً لجميع مشتقات الأفيون

الأخرى، ما دامت خصائصها الأفيونية باقية، وتعرف هذه الظاهرة باسم التحمل العابر، أو التحمل المتصالب، وهي ظاهرة يبدو منها أنه عند استعمال عقار معين تنشأ قوة تحمل ليست مرتبطة فقط بالعقار ذاته، ولكنها تمتد لتشمل استعمال عقار اخر من نفس المجموعة، ومثال لذلك أن الهيروين يحدث قوة تحمل ممتدة بالنسبة للمورفين.

يطرح المورفين في حليب ثدي الأم المرضعة (شاهين ونصار ، ١٩٨٩م)، وفي العرق واللعاب، ولما كان المورفين يعبر حاجز المشيمة للجنين بسهولة فإن الأطفال الذين يولدون لأناس يسيئون استعمال الهيروين يأتون إلى هذا العالم مدمنين على المخدرات. وإذا حملت المدمنة (البار ، ١٩٨٩م) أدى ذلك إلى حدوث إجهاض أو ولادة أطفال مشوهين، أو يُولَّد الطفل ميتاً. وقد وُجِدَ أن المورفين، أو الهيروين يقلل من إفراز اللبن من الثدي لدى المرضعات بسبب نقص مادة البرولاكتين، كما أن فترة النفاس تطول وتزداد فيها المضاعفات والنزيف، وحمى النفاس.

نوبات سحب العقار (البار ، ١٩٨٩م)

ترتبط ظاهرة سحب العقار (withdrawal symptoms)، والامتناع (Abstinence) بمجموعة من المخدرات أهمها: الكحول والباربتيورات والأفيونات. ومع أن ظاهرة سحب العقار في الكحول والباربتيورات قد تكون أشد خطورة حتى من سحب عقارات الأفيونات إلا أن الألم قد يكون أشد في حالات سحب الهيروين.

وترتبط ظاهرة الامتناع بظاهرة أخرى هي ظاهرة التحمل (Tolerance) والتي يحدث فيها:

١- إن الجسم يقوم بتحطيم العقار بسرعة متزايدة بسبب نشاط فائق للإنزيمات المحطمة لهذا العقار في الكبد، أو في غيره من الأعضاء، وهو ما يعرف باسم التأثير الاستقلابى للتحمل (Metabolic Drug Tolerance).
٢- إن الخلايا العصبية تتعود على كمية معينة من العقار فلا تعود تؤثر فيها التأثير

السابق.

لذلك كله يحتاج المتعاطي- باستمرار- إلى زيادة الجرعة، وإلى تكرار الجرعة في أوقات متقاربة. ولا تمضى على مدمن الهيروين أو المورفين سوى بضع ساعات حتى يشعر بقلق شديد، ويتثاءب وتنسكب دموعه لا إرادياً، ويزداد إفراز الأنف، كما يزداد إفراز العرق مع أن الجو قد يكون بارداً، ويكثر العطس والحكة في الأنف، كما يكثر إفراز اللعاب بطريقة مزعجة جداً.

وإذا لم يتعاط المدمن الجرعة التي اعتاد عليها من الهيروين أو المورفين يشعر بالتعب والإرهـــاق، فيدخل في مرحلة من النوم القلق، الذي تصحبه الكوابيس والأحلام المزعجة. ويصـــحو الشـــخص المدمـــن يتملكه خوف ورعب وقلق شديد، مع نوبات من الإحساس بالـــبرد، تتـــناوب مع إحساس بالحرارة، ويكون الجلد مقشعراً مثل جلد الإوزة (Goose Skin) محبـــباً، ويطلـــق المدمـــنون على ذلك اسم (cold turkey) (الديك الرومي البارد)، وتتسع حدقة العين، وتحدث آلام شديدة في الساقين والقدمين، مع رغبة عارمة في تحريكها بشدة، وتتبع ذلك نوبات شديدة من الإسهال والقيء، ويفقد المصاب أي رغبة في تناول الطعام.

ومع الإسهال و القيء والإفرازات الشديدة- من كل مخارج الجسم- يفقد المدمن غالبية سوائل جسمه. وفي خلال ثلاثة أيام يكون قد فقد جزءاً كبيراً من هذه السوائل، ونقص وزنه، وشحب لونه، وقارب الهلاك، وأشرف على الموت، (يفقد المدمن ١٠ أرطال من وزنه في يوم واحد).

تفسير أعراض الامتناع (البار ، ١٩٨٩م)

بما أن لدى الإنسان مجموعة من المورفينات الدماغية والجسدية الطبيعية، فإن تناول المورفينات الخارجية (المورفين، الهيروين، أو مشتقاتهما) تؤدي إلى قلة إفراز

المورفينات الدماغية والجسدية الطبيعية.

وهذا يشبه ما يحدث عندما يتناول شخص ما عقار الكورتيزون باستمرار، فإن ذلك يؤدى إلى توقف الغدة الكظرية عن إفراز هذا العقار. ولذا عندما يتوقف الشخص فجأة عن تناول عقار الكورتيزون ينخفض الكورتيزون في دمه ويتعرض لمضاعفات خطيرة قد تودي بحياته.

والشيء ذاته يحدث بالنسبة للمورفينات. فإذا تناول شخص المورفينات الخارجية أدى ذلك إلــى توقف إفراز المورفينات الطبيعية، والتي بدورها تساعد على إفراز الهرمون المنمي للغــدة الكظــرية، ويحدث رد فعل عنيف من الجسم، وتنعكس كل الآثار التي كان يحدثها الهيرويــن أو المورفين. فالهيروين، أو المورفين، يسبب انقباض حدقة العين، فتتسع عند ســحب العقــار، والهيرويــن يسبب توقف حركة المعدة والأمعاء، مسبباً الإمساك، فتكثر الحركة ويحدث الإسهال.

المورفين، أو الهيروين يسبب قلة الإفرازات، والتوقف الفجائي يسبب زيادتها زيادة كبيرة. والمورفين يسبب قلة نوم حركة العين السريعة، والتوقف الفجائي يسبب زيادة هذا النوم لدرجة تسبب الكوابيس وحالة الرعب. والمورفين يسبب قلة الكحة، وإفرازات الشعب الهوائية، والتوقف يسبب الكحة، وزيادة إفرازات الشعب الهوائية.

تمثيل الهيروين في الجسم و إخراجه

عند إجراء فحص معملي لعينات أخذت من جسد متعاطيي للهيروين (عينات بيولوجية) للكشف عن وجود الهيروين أو مشتقات الأفيون مثل المورفين والكودبين تم الحصول على المركبات التالية (United Nations, 1995):-

Heroine (Diacetylmorphine) DMA

Morphine

O^6-monoacetylmorphine

Codeine

Acetylcodiene

ومن الضروري جداً معرفة أن أكبر جزء من الهيروين في جسم المتعاطي يفرز في البول على هيئة مورفين غير حر في الصور الآتية:-

Morphine-3-O-glucuronide (M-3-G)

Morphine-6-O-glucuronide (M-6-G)

Morphine-3,6-O-diglucuronide (M-3,6-G)

بعد تعاطى الهيروين يتم فقد مجموعة أسيتيل من الهيروين، ويتحول إلى أحادى أسيتيل مورفين(Baselt, 1978 ; Umans, 1982) والذي يتحول إلى المورفين، ولكن بعد وقت طويل وبصوره بطيئة. ويوضح الشكل التركيبي التالي معادلة هضم أو تمثيل الهيروين في جسم المتعاطي. معظم نواتج أيض الهيروين في جسم المتعاطي والتي وجدت في عينة البول بعد وقت يتراوح ما بين ١٠-٤٠ ساعة بعد التعاطي بالحقن كان على هيئة (M-3-G) بنسبة ٣٨,٢% من الجرعة التي يتعاطاها الفرد ومورفين حر بنسبة ٤,٢ % و أحادي أسيتيل مورفين MAM بنسبة ١,٣ % كما وجد هيروين DAM لم يتحلل بنسبة ١,٠ % من الجرعة المتعاطاة، كما لوحظ وجود نسبه ضئيلة من نواتج أيض الهيروين في الجسم عبارة عن مورفين غير حر أو مرتبط بروابط جليكونية كما لوحظ وجود نسبة من النورمورفين (Yeh, Gorodetzky and McQuinn;

1976). وفيما يلي توضيح للتركيب البنائي لهذه المركبات:

Ac O, O, Ac O, N, CH_3

HO, O, Ac O, N, CH_3

Diacetylmorphine (Heroin, DMA)

O[6]monoacetylmorphine

OCH_3, O, HO, N, CH_3

HO, O, HO, N, CH_3

Codeine

Morphine

O, Glucuronide, O, HO, N, CH_3

Morphine-3-O-glucuronide

أمـــا عـــن الكودبين فقد ثبت وجوده في عينات البول المأخوذة من أشخاص مدمنين على نوعـية من الهيروين تحتوي على الكودبين على هيئة شوائب ناتجة عن عدم نقائه، أي أن وجـود الكودبين في هذه العينات لم ينتج عن تحلل للهيروين، وكذلك الحال بالنسبة لوجود أسـيتيل الكودبيـن في هذه العينات. تركيز المورفين في بول الشخص المتعاطي لجرعة عاديـة مـن الهيرويـن يمكـن أن يصل إلى ١٠ ميكرو جرامات لكل مليجرام. أما في الجـرعات العالـية التي تؤدى إلى الوفاة فتكون النسبة أعلى من هذا. وعلى سبيل المثال سُـجِلَ تركـيز المورفيـن في جثة شخص متوفى بجرعة زائدة من الهيروين فكان ٨٦ مـيكروجراماً لكـل ملـيجرام (Harn,1993)، كمـا لوحظ وجود نسبة من المورفين والكودبيـن فـي بـول شخص بعد هضمه لبذور الخشخاش(Cone and Darwin, 1992).

بسبب سرعة تحلل الهيروين في جسم الإنسان فإنه لا يجب الاعتماد على البحث عنه في العينات البيولوجية التي تؤخذ من جسم المتعاطي لإثبات تعاطيه لأن فترة نصف العمر للهيروين في الجسم – وهي الفترة التي تحلل فيها نصف كمية الهيروين التي تعاطاها الفرد – تتراوح ما بين ٢ إلى ٣ دقائق (Harn, 1993)، ولكن هذه التحاليل يجب أن تعتمد على البحث عن المورفين، وذلك لأن المورفين هو آخر صورة ثابتة يوجد عليها الهيروين في الجسم وتُفرَز في البول. ومن الممكن إثبات تعاطي شخص للهيروين عن طريق إثبات وجود أحادي أسيتيل المورفين في البول، ولكن في هذه الحالة يجب ألا يتعدى وقت التحليل الفترة ما بين ٢ إلى ٨ ساعات فقط (Cone and Darwin, 1992)، وذلك لأن هذه الصورة تتحلل أيضاً إلى مورفين، لأن فترة نصف العمر لها هي ٠,٦ ساعة، هذا وأحادي أسيتيل المورفين يحتاج إلى طرق خاصة وحساسة أثناء فصله من البول والكشف عنه.

المبحث الثاني

إعداد العينات للكشف عن آثار الهيروين فيها(United Nations, 1995)

تجهيز العينات للكشف بطرق التحليل المناعي: بصفة عامة في هذه الطريقة قد نحتاج إلى تجهيز بسيط للعينة أو لا نحتاج تجهيزاً بالمرة، لأن هذه الطريقة لا تحتاج إلى تحرير أشباه القلويات من الروابط الجليكونيدية قبل إجراء الكشف، ولكنها تكشف عنها في صورة حرة أو مرتبطة. وللحصول على أفضل نتائج لهذه الطريقة، يجب ضبط الأس الهيدروجيني للوسط (pH)، وذلك لتقليل أو إزالة التعكير الموجود في العينة، كما يجب اتباع تعليمات التشغيل.

تجهيز العينات للكشف بطريقة التحليل الكروماتوجرافي: يعتمد الحجم المطلوب للتحليل من عينة البول على طريقة التحليل الكروماتوجرافي المتبعة. فعند التحليل بطريقتي كروماتوجرافي الطبقة الرقيقة والتحليل الغازي الكروماتوجرافي فإننا نحتاج إلى عينة حجمها ١٠ مليجرام، أما باقي الطرق فنأخذ فقط ٥مللي.

تحرير المركبات

الهدف من إجراء هذه الخطوة هو التخلص من الروابط الجليكونيدية، والحصول على أشباه القلويات المراد الكشف عنها في صورتها الحرة. وهناك طريقتان لإجراء هذه الخطوة: الأولى تتم بواسطة حامض، والثانية تتم بواسطة إنزيم.

التحرير بواسطة الحامض : يضاف ١ مليجرام من حامض الهيدروكلوريك المركز إلى ١٠ مليجرام من عينة البول في أنبوبة ذات غطاء محكم الغلق، ويوضع الخليط على حمام

مائي في درجة حرارة مائة درجه مئوية لمدة ساعة واحدة تقريباً.

التحرير بواسطة إنزيم : نضبط الأس الهيدروجيني (pH) لعينة البول عند ٧، وذلك بإضافة حامض الخليك إذا كانت العينة قلوية، ثم بعد ذلك يضاف ١,. مليجرام من (خليط من محلول ١,. عياري خلات صوديوم مع حامض خليك له أس هيدروجيني ٥,٥) إلى ٢,. مليجرام من إنزيم بيتاجلوكوروينداز لكل مليجرام من البول، ثم تحفظ العينة بعد ذلك عند حرارة ٣٧ درجه مئوية لمدة ٢٤ ساعة، أو عند حرارة ٥٥ درجة مئوية لمدة ساعة واحدة، مع مراعاة ألا تزيد الحرارة عن ٥٥ درجة مئوية حتى لا تؤدي إلى تكسير الإنزيم المستخدم. يجب ملاحظة أن طرق التحرير باستخدام الحمض أو الإنزيم قد تحول أحادي أسيتيل المورفين إلى مورفين.

استخلاص أشباه القلويات من عينة البول

أ- الاستخلاص باستخدام حالة سائلة: نضبط الأس الهيدروجيني لعينة البول عند درجه تتراوح ما بين ٨,٥ إلى ٩، ثم يتم الاستخلاص بوضع عينة البول في قمع فصل، ويضاف إليها ضعف حجمها من أي من المذيبات الآتية:

كلوروفورم : أيزوبروبانول بنسبة ٩ : ١ على التوالي.

ثنائي كلوروميثان : أيزوبروبانول بنسبة ١:٩ على التوالي.

خلات الإيثيل.

بعد ذلك يُرَج الخليط داخل قمع الفصل لمدة ثلاثين دقيقة، ثم يترك ليفصل إلى طبقتين، ويجب التأكد من تمام فصل كل طبقة على حدة حتى لا تختلط جزيئات من الماء مع الطبقة العضوية. أما لو حصل استحلاب للخليط –وهو اندماج طبقة المذيب العضوي مع الطبقة المائية – فإننا نرشح الخليط بورقة ترشيح سليكونية بغرض امتصاص الماء وفصل طبقة المذيب العضوي، ولإعادة تنظيف الطبقة العضوية فإننا نقوم باستخلاصها مرة أخرى، وذلك برجها في قمع فصل مع ٦ مليجرام محلول ٥,. عياري من حامض

الهيدروكلوريك، فتذوب المواد المراد استخلاصها في الطبقة المائية، ثم نتخلص من الطبقة العضوية ونضبط الأس الهيدروجيني للوسط عند ٩ ، ثم نستخلص باستخدام أحد المذيبات السابق ذكرها، ثم تفصل الطبقة العضوية بترشيحها على ورقة ترشيح تحتوي على كمية من كبريتات الصوديوم اللامائية، وذلك للتخلص من أي آثار للماء في الطبقة العضوية. بعد ذلك نقوم بزيادة تركيز الطبقة العضوية، وذلك بتبخيرها حتى يصل حجمها إلى ٢ مليجرام ، ثم نقوم بتبخير الكمية كلها بإمرار تيار من غاز النيتروجين حتى تمام الجفاف، ثم تذاب الآثار المتبقية في ١,. مليجرام كحول مثيلي، أو في خليط من الكحول الميثيلي والكلوروفورم بنسبة ٩ : ١ على التوالي، وذلك لاستخدامها في التحليل الكروماتوجرافي ذي الطبقة الرقيقة، و التحليل الغازي الكروماتوجرافي.

ب- **الاستخلاص باستخدام حالة صلبة:** في هذه الحالة نستخدم الأعمدة المعبأة بمادة السيليكا Silica C-18 ،(Drost and others, 1984). قبل الاستخدام يغسل العمود بخليط من (٥مللي ميثانول + ٣مللي ماء مقطر + ١مللي محلول ٠,٥. عياري بوراكس له أس هيدروجين ٩)، ثم بعد ذلك نأخذ ١ مليجرام من عينة البول المراد الكشف عن الهيروين فيها ونخلطه مع ٥٠ ملي محلول قياسي للنالورفين، ثم ينقل الخليط إلى العمود المعبأ بالسيليكا C-18، ثم يتم الاستخلاص باستخدام ١٠٠ مليجرام ٨٠ % كحول مثيلي.

مواد المقارنة القياسية

المواد القياسية المأخوذة للمقارنة النسبية يجب أن توافق التقنية المستخدمة في التحليل. فعلى سبيل المثال، النالورفين مناسب لجهاز التحليل الغازي الكروماتوجرافي، أما إذا كان النالورفين غير متوافر، فنستخدم أيا من المواد القياسية النسبية المعتاد استخدامها لهذا الجهاز. وفي حالة استخدام جهاز التحليل السائل الكروماتوجرافي فأنسب مادة قياسية نسبية له هي ألفا أسيتيل ميثادول هيدروكلوريد.

المواد القياسية العيارية

لمعايرة جهاز التحليل الغازي الكروماتوجرافي نحضر محلولاً خليطاً من المورفين والنالورفين في ميثانول بتركيز ١ مليجرام ، ومن هذا المحلول نحضر عينات مخففة تحتوي على مورفين بنسبة تتراوح ما بين صفر إلى ١٠ ميكروجرامات مورفين مضافاً لكل منها ٥ ميكروجرامات نالورفين.

أما لمعايرة جهاز التحليل السائل الكروماتوجرافى فنحضر محاليل بتركيز ١ ملليجرام/ مللي ميثانول لكل من المواد الآتية:

ألفا أسيتيل ميثادون هيدروكلوريد. ثنائي أسيتيل مورفين. أحادى أسيتيل مورفين. مورفين. وتخزن هذه المحاليل في الثلاجة عند درجة أقل من صفر درجة مئوية، ثم نحضر منها محاليل للمعايرة، وذلك بتخفيف كلٍ منها بمحلول من الميثانول والأسيتونيتريل بنسبة ٢٠ : ٨٠ .

المبحث الثالث

طرق الكشف المبدئية

١- طرق التحليل المناعي

تعتبر طرق التحليل المناعي مفيدة جداً في حالة تحليل عدد كبير من العينات في وقت محدود، لإثبات وجود أي من مشتقات المورفين في عينات البول أو نفيها. يوجد العديد من الكواشف التي تستخدم في هذه التقنية، والطرق المشهورة منها هي:

Radio Immunoassay (RIA).
Enzyme Immunoassay (EIA).
Fluorescence Polarization Immunoassay (FPIA).
Latex Agglutination inhibition Immunoassay (LIA).

والأجهزة المستخدمة في هذه الطرق غالية السعر نوعاً ما، وتحتاج إلى معامل مناسبة لها. ويعتمد اختيار الطريقة المناسبة للتحليل المناعي من الطرق السابق ذكرها غالباً على

كم القضايا أو العينات المراد تحليلها في اليوم الواحد. التحليل بطريقة EIA أو RIA مناسب في حالة وجود عدد متوسط من العينات، أما في المعامل التي يرد إليها عدد محدود من العينات فتناسبها طريقة LIA، ولكنها تكون مكلفة، مقارنةً بالطرق الأخرى لو حسبنا تكلفتها لكل عينة. أما المعامل التي عليها ضغط كبير من عدد القضايا، والعينات المراد الكشف عن وجود المخدرات فيها، فالأنسب لها استخدام طريقة FPIA.

٣- التحليل الكروماتوجرافى ذو الطبقة الرقيقة

هي طريقة لفصل المواد الكيميائية باستخدام طبقة رقيقة من مواد لها خاصية الادمصاص (الامتزاز) محمولة على شريحة ، وهي اليوم من أكثر طرق الفصل الكيماوي استخداماً نظرا لبساطتها وسهولتها وسرعتها ، كما أنها ذات حساسية عالية وتؤدي إلى فصل حاد ودقيق، ومن الممكن، في ظروف خاصة- الحصول بواسطتها على عينات نقية من المواد ، ويمتد استخدامها إلى جميع فروع الكيمياء وعلوم الحياة، بما في ذلك المجالات الطبية والصيدلانية(قطب، ١٩٨٣م).

خصائص الشرائح المستخدمة

مادة التغطية: سيليكا جيل نشيطة، وتحتوى على إضافات تجعلها حساسة عند تعرضها للأشعة فوق البنفسجية عند طول موجي ٢٤٥ نانومترا (United Nations, 1987).

سماكة الطبقة: ٢٥,. ملليمتر.

حجم الشرائح: شرائح (ألواح) زجاجية مساحتها ٢٠ سم × ٢٠ سم، أو ٢٠ سم × ١٠ سم، أو ١٠ سم × ٥ سم، و الارتفاع المثالي لسريان المذيب على الشريحة هو ١٠ سم.

المحاليل القياسية للعينات: تحضر كل العينات القياسية المستخدمة بتركيز ١ مليجرام ، وذلك بإذابتها في كحول مثيلي، والعينات المستخدمة في الغالب هي المورفين والكودبين،

ويضاف على الشريحة ما لا يزيد عن ١٠ ميكروليترات من كل عينة، وسواء استخدمنا المادة على هيئة ملح، أو شكل قاعدة حرة فإن سرعتها على الشريحة ستكون ثابتة.

طـريقة التحليل(United Nations, 1987, Verlag, 1992): توضع العينة على الشـريحة بواسطة ماصة صغيرة، ويراعى الحرص علىتركيز العينة في بقعة صغيرة ـ قطرها حوالي ٥ ملليمترات ، على أن تبعد البقعة حوالي ٢ سنتيمتر على الأقل عن الحافة السفلي للشريحة، ثم توضع الشريحة في أحد مذيبات التحريك (Eluants) الآتية:

نظام المذيب (أ): طولوين ٤٥ % + أسيتون ٤٥ % + كحول إيثيلي ٧ % + أمونيا مركزة ٣%.

نظام المذيب (ب): خلات الإيثيل ٨٥ % + كحول مثيلي ١٠ % + أمونيا مركزة ٥ %.

وللحصول على أفضل النتائج لا بد أن يرتفع المذيب عن قاع الإناء حوالي (١ سنتيمتر) تقريباً ، وذلك بالنسبة لأوعية كروماتوجرافي الطبقة الرقيقة ذات الحجم القياسي.

استظهار الشريحة:

ترفع الشريحة من الوعاء بعدما يكون سريان المذيب قد امتد إلى المسافة المطلوبة، ثم تجفف الشريحة قبل الإظهار، وهذا إما أن يتم في درجة حرارة الغرفة، أو بصورة سريعة بوضعها في فرن درجة حرارته ١٢٠ درجه مئوية لمدة عشر دقائق، أو باستخدام تيار من الهواء الساخن. وللحصول على ألوان الإظهار واضحة يجب التأكد من أن كل آثار الأمونيا قد جفت من على اللوح.

كواشف الإظهار(United Nations, 1986):

١- الأشعة فوق البنفسجية عند طول موجي ٢٥٤ نانوميترا.

٢- كاشف دراجندورف: يحضر محلول من ٢ جم من تحت نترات البِيزمَثْ مع ٢٥ مليجرام حامض خليك ثلجي، و من ثم يضاف إلى المحلول ١٠٠ مليجرام من الماء المقطر فنحصل على محلول كاشف دراجندورف (أ).يحضر محلول اخر

من ٤٠ جم يوديد بوتاسيوم في ١٠٠ مليجرام ماء مقطر فنحصل على كاشف دراجندورف (ب). وعند الإظهار يخلط ١٠ مليجرام من الكاشف (أ) إلى ١٠ مليجرام من الكاشف (ب) ويضاف إلى الخليط ٢٠ مللي حامض خليك ثلجي، و١٠٠ مليجرام ماء مقطر.

٣- كاشف يوديد البوتاسيوم البلاتيني المحمض: يذاب ٢٥,. جم كلوريد بلاتين مع ٥ جم يوديد بوتاسيوم في ١٠٠ مليجرام ماء مقطر فنحصل على كاشف يوديد البوتاسيوم البلاتيني ، و الذى يتم تحميضه بإضافة ٢ مليجرام حامض هيدروكلوريك مركز.

٤- كاشف فلورسنس (Goldbaum, Santinga and Dominguez, 1972):

أ- محلول ا. م. ب.: يضاف ١٠٥ ملليجرامات من ٢-أمينو-٢-ميثيل-١,٣-بروبان ثنائي أول إلى ١٨,٨ مليجرام حامض هيدروكلوريك مركز، ويكمل المحلول إلى ١ لتر بإضافة الماء المقطر، فنحصل على محلول له أس هيدروجيني (٩,٣ ± ٢,.).

ب- محلول فِرّي سيانيد البوتاسيوم: يذاب ٥٨ ملليجرام فِرّي سيانيد البوتاسيوم في ١٠٠ مليجرام ماء مقطر ويحفظ في درجة حرارة تحت الصفر لمدة لا تزيد عن أسبوع واحد.

النـــتائج: عند تعريض لوح الكروماتوجرافي بعد جفافه إلى الأشعة فوق البنفسجية تظهر عيــنات المورفيـــن والكوديـــن على هيئة بقع ضوئية زرقاء اللون. أما عند رش كاشف دراجـــندورف علـــى لوح الكروماتوجرافى يظهر المورفين على هيئة نقطة برتقالية اللون على خلفية صفراء، ويظهر على هيئة نقطة بنفسجية اللون في حالة استخدام كاشف يوديد البوتاســيوم البلاتيني المحمض. و عند تعريض اللوح الذي تم رشه بكاشف فلورسنس إلى الأشعة فوق البنفسجية فإن المورفين يظهر على هيئة نقطة مضيئة.

وفيما يلي جدول يبين معدل سريان كل من المورفين والكوديين في حالة استخدام منذيبات التحريك (أ) و (ب):

المادة	مذيبات التحريك	
	أ	ب
مورفين	٠,١٩	٠,٢٠
كوديين	٠,٤٠	٠,٣٥

المصدر: (United Nations, 1987)

المبحث الرابع

طرق التحليل الكروماتوجرافى التأكيدية

١- التحليل الغازي الكروماتوجرافى GC

اشتقاق العينات(United Nations, 1995):

تحضير مشتقات السيليل: يجفف مستخلص عينة البول بتعريضه لتيار من غاز النيتروجين، ثم يستخلص ناتج التجفيف بواسطة ٢٠ ميكروليترا من:

N,O-bis-trimethylsilyltrifluoroacetamide (BSTFA) أو

N,O-bis-trimethylsilylacetamide (BSA)، وذلك في أنبوبة صغيرة مغلقة وبالتسخين عند درجة حرارة ٨٥ درجة مئوية لمدة ١٥ دقيقة. بعد ذلك يجفف ناتج الاشتقاق بواسطة التبخير، ثم يذاب المتبقي بطولوين، ويؤخذ منه ٢ ميكروليتر للحقن في جهاز التحليل الغازي الكروماتوجرافي، ويمكن الاستغناء عن هذه الخطوة من بداية الاشتقاق باستخدام خليط من (BSTA) مع البيريدين بنسبة ١ : ١ ويحقن في الجهاز مباشرةً.

ويجب أن نشير إلى أنه لتحضير مشتقات السيليل في حالة ما إذا كان الكاشف

المستخدم في جهاز التحليل الغازي الكروماتوجرافى من نوع (Nitrogen- Phosphorus Detector) NPD (كاشف نيتروجيني – فسفوري) فإنه يفضل استخدام:

N-methyl-N-trimethylsilyltrifluoroacetamide (MSTFA)

أو خليط من

Trimethylchlorosilane (TMCS) + Hexamethyldisilane (HMDS).

يجب أن يتم تحضير مشتقات السيليل مباشرةً قبل الحقن في الجهاز، وذلك لأنها ليست ثابتة ويمكن أن تتكسر بسرعة.

تحضير مشتقات الأسيل (Acylation) : يضاف ٥٠ ميكروليترا من Pentafluoro-propionicanhydride (PFPA) إلى مستخلص عينة البول ويسخن الخليط في أنبوبة مغلقة لمدة ثلاثين دقيقة عند درجة حرارة ٦٥ درجه مئوية، ثم تبخر الكمية الزائدة من (PFPA) باستخدام تيار من غاز النيتروجين، ثم يذاب المتبقي في خلات الإيثيل. مشتقات الأسيل المتكونة تكون ثابتة لمدة شهر إذا كانت محفوظة في خلات الإيثيل، أما إذا جفت فإنها تكون ثابتة لمدة ٢٤ ساعة فقط.

التحليل باستخدام الأعمدة المعبأة

عند إجراء التحليل باستخدام أجهزة الغاز الكروماتوجرافي يجب معرفة نوع العمود المستخدم في الجهاز لإتباع تعليمات التشغيل المناسبة لكل نوع. في حالة استخدام الأعمدة المعبأة للكشف عن مشتقات المورفين في العينات البيولوجية يفضل استخدام جهاز مزود بكاشف من نوع NPD و ذلك لزيادة الحساسية و التخصصية(United Nations, 1987).

مواصفات العمود المستخدم: عمود زجاجي طوله ٢ متر، ويتراوح قطره الداخلى من ٢ إلى ٤ ملليمترات.

مواد التعبئة: أ- ثنائي ميثيل السيليكون (SE-30, OV-1).

فينيل ميثيل السيليكون ((50 % phenyl (OV-17).

الغاز الحامل: يستخدم غاز النيتروجين بمعدل سريان ٧٠ مليجرام / دقيقة.

حرارة التشغيل: الحاقن ٢٧٥ درجة مئوية.

الفرن ٢٣٠ درجة مئوية.

الكاشف ٢٧٥ درجة مئوية.

يجب ملاحظة الآتي عند التشغيل:

١- يجب أن يكون الزجاج المصنوع منه العمود من نوعية معينة لا تؤدي إلى ادمصاص المورفين عليه أثناء التحليل.

٢- أن يكون العمود المعبأ مجهزًا للاستخدام قبل التشغيل، وهذا التجهيز يكون برفع درجة حرارة العمود إلى ٣٠ درجه مئوية عن الدرجة المناسبة للتشغيل، ثم يمرر فيه الغاز الحامل لمدة خمس عشرة ساعة تقريباً، ولا يوصل العمود بالكاشف في هذه الحالة.

٣- متابعة تنظيف الحاقن والكاشف بانتظام لتجنب تلوث العينات أو فقدان حساسية الكاشف.

٤- مراعاة الحرص الشديد عند التعامل مع مشتقات السيليل، وذلك لأنها نشيطة جداً، وحساسة للرطوبة.

التحليل باستخدام الأعمدة غير المعبأة(United Nations, 1995)

العمود المستخدم : في هذه الحالة يكون العمود عبارة عن سيليكا مصهورة مرتبطة كيميائياً مع ثنائي ميثيل السيليكون كحالة ثابتة، ويكون طول العمود عشرة أمتار، وقطره الداخلي ٥٣,. مليمتر.

الكاشف : كاشف أيونى باللهب (FID).

الغاز الحامل : غاز الهيليوم بمعدل سريان ٢٥ مللي/ دقيقة.

حرارة التشغيل: الحاقن ٢٨٠ درجة مئوية.

الفرن ٢٦٠ درجة مئوية.

الكاشف ٣٠٠ درجة مئوية.

٢ – طريقة التحليل الغازي الكروماتوجرافي المتصل بوحدة قياس طيف الكتلة (GC/MS).

التحليل الكيفي (United Nations, 1995):

العمود المستخدم : في هذه الحالة يكون طول العمود ٢٥ مترا وقطره الداخلي ٣١,. ملليمتر، والعمود عبارة عن سيليكا مصهورة مرتبطة مع ١٧,. ميكروميتر من ٥ % فينيل ميثيل سيليكون كحالة ثابتة.

الغاز الحامل: غاز الهيليوم بمعدل سريان ١,٨ مليجرام / دقيقة.

حرارة التشغيل: الحاقن ٢٨٠ درجة مئوية.

الفرن ٢٣٠ درجة مئوية.

التأين: يتم التأين بطريقة الاصطدام الإلكتروني (EI) عند ٧٥ إلكترون فولت.

الأيونات الأساسية في طيف كتلة مشتقات ثلاثي ميثيل سيليل المورفين و النالورفين وأحادي أسيتيل المورفين و الكودبين موضحة في الجدول الآتي(United Nations, 1995) :

Compound	Principal fragment ions m/z
Morphine-diTMS	414, 429
Nalorphine-diTMS	441, 455
Morphine-diTFA	364, 477
d_3- Morphine-diTFA	367, 480
Monoacetylmorphine-TFA	311, 364, 423
d_3-Monoacetylmorphine-FA	367,426
Codeine-TFA	282, 395
d_3-Codeine-TFA	285, 398

TMS = ثلاثي ميثيل السيليل.

TFA = ثلاثي فلورو الأسيتات.

التحليل الكمي(Fuller and Anderson, 1992)

العمود المستخدم : في هذه الحالة يكون طول العمود ١٢ مترا وقطره الداخلي ٢,. ملليمتر، والعمود سيليكا مصهورة مرتبطة مع ٣٣,. ميكروميتر من ١٠٠% ثنائي إيثيل بولي سيلوكسان كحالة ثابتة.

الغاز الحامل: غاز الهيليوم بمعدل سريان ١,٩ مليجرام / دقيقة.

حرارة التشغيل: الحاقن ٢٥٠ درجة مئوية.

الفرن : من١٥٠ إلى ٣٠٠ درجة مئوية بزيادة ١٢ درجة كل دقيقة.

التأين: يتم التأين بطريقة الاصطدام الإلكتروني (EI) عند ٧٥ إلكترون فولت.

التقدير: يتم التقدير باستخدام نقطة معيارية واحدة عبارة عن نسبة الأيونات للعينة تحت التحليل إلى نسبة أيونات العينة القياسية الداخلية، فتكون للكودايين ٣٩٨/٣٩٥، وللمورفين ٣٦٧/٣٦٤، ولأحادي أسيتيل المورفين ٤٢٦/٤٢٣.

تجهيز العينة للحقن في الجهاز(United Nations, 1995):

الاستخلاص: نأخذ ١ مليجرام من عينة البول المراد الكشف عن مشتقات المورفين فيها ونضبط أس الهيدروجين فيها عند pH 7، و ذلك بإضافة محلول منظم له أس هيدروجيني ٧، ثم نقوم بتحضير ١٠٠ ميكروليتر خليطا من محاليل الكودايين والمورفين وأحادي أسيتيل المورفين بتركيز ١مجم/ مليجرام كمحاليل قياسية داخلية ويرج الخليط جيداً. يتم تجهيز عمود الفصل لاستخلاص عينة البول (استخلاص بالحالة الصلبة)، وهذا التجهيز يتم بامرار ٣ مليجرام كحول مثيلي و٣ مليجرام ماء مقطر في العمود، ثم يتبعه إمرار ٣ مللي ماء مقطر مع ٣ مليجرام محلول ١,. عياري خلات الصوديوم كمحلول منتظم الحامضية له أس هيدروجين ٥, pH٤، ثم نتبعه بامرار ٣ مليجرام كحول مثيلي، ثم يجفف العمود جيداً تحت ضغط منخفض لمدة دقيقتين، ثم تضاف عينة البول، ويمرر عليها خليط للاستخلاص حديث التحضير من ثنائي كلوروميثان : أيزوبروبانول : أمونيا

مركزة بنسبة ٨٠ : ٢٠ : ٢ على التوالي.

تحضير مشتقات ثلاثي فلورو الأسيتات: يتم استقبال المستخلص من العمود، ثم يجفف بامرار غاز النيتروجين عند درجة حرارة تتراوح بين ٥٠ و ٦٠ درجة مئوية، ثم يذاب في ٢٠٠ ميكروليتر كلوروفورم و١٠٠ ميكروليتر ثلاثي فلورو أنهيدريد الخليك ويرج جيداً و يسخن عند حرارة ٧٠ درجة مئوية لمدة ١٥ دقيقة. وبعد التبريد و التبخير لدرجة الجفاف بامرار غاز النيتروجين مره أخرى عند حرارة ٦٠ درجة مئوية يذاب المتبقي في ١٠٠ مللي كلوروفورم ويؤخذ منه ٢ ميكروليتر للحقن في جهاز التحليل الغازي الكروماتوجرافي المتصل بوحدة قياس طيف الكتلة.

٣- التحليل السائل الكروماتوجرافي عالي الدقة HPLC

تم نشر العديد من الأبحاث التي استخدمت فيها هذه الطريقة للكشف عن المورفين ومشتقاته، واستخدمت في هذه الطرق أنواع مختلفة من المبينات أو الكواشف، مثل امتصاص الأشعة فوق البنفسجية والفلورسنس، ولكن بعض هذه الطرق لها عيوب، مثل ضعف الحساسية، واحتياجها إلى طرق طويلة لإعداد العينة للحقن. أما طرق التعرف بالمبين الكهروكيميائي فتعتبر من الطرق العملية والأكثر حساسية.

و فيما يلي وصف طريقتين للتحليل

الطريقة الأولى (Umans and others, 1982): العمود معبأ بالسيليكا (LiChrosorb Si-60)، وطوله ٣٠سم، وقطره الداخلي ٤مم.

المادة الإنسيابية : خليط من أسيتونيتريل : كحول مثيلي : محلول أ : محلول ب بنسبة ٧٥ : ٢٥ : ٤,. . : ٢١٦,. على التوالي.

محلول أ : خليط من الأمونيا المركزة : كحول مثيلي بنسبة (١ : ٢) على التوالي.

محلول ب : خليط من حامض الخليك الثلجي : كحول مثيلي بنسبة (١ :١) على

التوالي.

معدل الانسياب : ١,٣ مللي/ دقيقة.

الكاشف : أشعة فوق بنفسجية عند طول موجي ٢١٨ نانوميترا.

الطـريقة الثانـية (Kabra and Marton, 1984; Kim and Kats, 1984):

العمـود عـبارة عن ٥ ميكروميترات أوكتا ديسيل سيليكا، طوله ٢٥سم، وقطره الداخلي ٤,٦ ملليمترات.

المادة الإنسيابية : ١٠٠ مللي أسيتونيتريل مع ٩٠٠ مللي من (محلول ٢,. عياري من فوق كلورات الصوديوم + ٥..,. عياري سترات الصوديوم كمحلول منظم لدرجة الهيدروجين، ويرشح قبل الاستخدام بورق ترشيح مساحة مسامه ٥,. ميكروميتر).

معدل السريان : ١،٩ مليجرام /دقيقة.

الكاشف : كاشف إلكتروكيميائي عبارة عن إلكترود من الزجاج و الكربون.

ملحوظة : للكشف عن :

Morphine-3-O-glucuronide (M-3-G)
Morphine-6-O-glucuronide (M-6-G)

في عينة بول بطريقة التحليل السائل الكروماتوجرافي (HPLC)، وباستخدام كاشف إلكتروكيميائى، أو أشعة فوق بنفسجية، فإن ظروف التشغيل تختلف(Svensson, 1986; Gerostamoulos, 1993). عما سبق ذكره

الكشف عن أحادي أسيتيل المورفين كدليل على تعاطي الهيروين باستخدام طريقة (GC/MS)

معظم طرق GC/MS حساسة جداً ودقيقة للكشف عن أو تحديد تركيز أحادي أسيتيل المورفين O^6-monoacetylmorphine في عينة بول مدمن الهيروين، حتى لو كان هذا التركيز في حدود النانوجرام (10^{-9} جرام). في إحدى هذه الطرق (Fehn and Megges, 1985) اعتمدت طريقة الكشف على استخلاص عينة البول

بواسطة استخدام عمود الفصل، وذلك بوضع العينة في العمود بعد تحويل وسطها إلى الوسط القلوي ثم تحول العينة إلى مشتق (PFP) Pentafluoropropionyl، ثم يفصل هذا المشتق و يحقن في جهاز GC/MS، ويستخدم المورفين والنالورفين كمواد قياسية داخلية. وفي طريقة ثانية (Fuller and Anderson, 1992) استخدمت مشتقات ثلاثي فلورو الأسيتات (TFA).

إذا ثبت وجود أحادي اسيتيل المورفين في عينة البول فهذا يكون دليلاً على أن هذا الشخص قد تعاطى الهيروين، وليس أياً من مشتقات الأفيون الأخرى، مثل المورفين أو الكوديين أو الأفيون نفسه.

تحضير العينة ومشتقاتها

يجب مراعاة عدم إجراء عملية تحرير للمركبات في البول بواسطة الحمض أو الإنزيم، لأن هذه العملية في الغالب تحول أحادي أسيتيل المورفينMAM إلى مورفين.

لعمل استخلاص لأحادي أسيتيل المورفين من عينة بول متعاطي الهيروين ثم تحضير مشتقات الناتج نتبع الخطوات التالية (United Nations, 1995) :-

١- يضاف ١ مللي من محلول منظم للأس الهيدروجيني له pH ٧ إلى ١٠ مللي من عينة البول، ويوضع الخليط في أنبوبة جهاز الطرد المركزي سعتها ٢٥ مللي، وقبل ذلك نتأكد من أن قيمة الأس الهيدروجيني للوسط تتراوح ما بين ٨ ، ٩.

٢- يستخدم عمود C-18 SPE لاستخلاص عينة البول (استخلاص بالحالة الصلبة)، ويتم تجهيز هذا العمود بغسله بامرار ٥ مللي كحول مثيلي، ثم ٥ مللي ماء مقطر على التوالي، ثم تمرر عينة البول خلال العمود، ثم يغسل العمود مرتين بالماء المقطر.

٣- تضاف قطرة من الأمونيا المركزة، ثم يغسل العمود بالماء المقطر.

٤- يجفف العمود جيداً تحت ضغط منخفض لمدة خمس دقائق.

٥- يستخلص أحادي أسيتيل المورفين والمورفين من العمود بامرار خليط من ثنائي كلوروميثان : أسيتون بنسبة ١ : ١، ويستقبل الناتج بعد خروجه من العمود في أنبوبة

اختبار سعة ٢ مللي ثم يجفف عند ٦٠ درجة حرارة مئوية.

٦- يذاب المتبقي في الأنبوبة باستخدام ١٠٠ ميكروليتر من الخليط السابق ذكره، وينقل المحلول إلى أنبوبة سعة١,٥ مللي.

لتحضير مشتقات PFP للناتج، يتم تبخير المحلول في الأنبوبة في الخطوة السابقة بإمرار تيار من غاز النيتروجين عند درجة ٦٥ درجة حرارة مئوية، ثم يضاف إليها ٥٠ ميكروليترا من Pentafluoropropionic anhydride (PFPA) ويسخن الخليط في أنبوبة مغلق لمدة ثلاثين دقيقة عند درجة حرارة ٦٥ درجة مئوية، ثم تبخر الكمية الزائدة من (PFPA) باستخدام تيار من غاز النيتروجين، ثم يذاب المتبقي في ٥٠ ميكروليترا من خلات الإيثيل ويؤخذ منه ١ ميكروليتر للحقن في جهاز GC/MS

في طريقة أخرى تمت عملية الاستخلاص باستخدام المذيبات العضوية (استخلاص سائل بواسطة سائل)(Romberg and Brown, 1990).

النتائج: لاستبيان وجود مشتقات PFP للمورفين والكوديين وأحادي أسيتيل المورفين يجب أن يظهر في نتائج الجهاز أي من الأرقام التالية للأيونات والتي تمثل الكتلة/ الشحنة أو m/z وهي: ٣٦١، ٤١٤، ٤٤٥، ٤٧٣، ٥٧٧. أما الأيون الذي يظهر عند الرقم ٦٠٣ فهو خاص بالمقياس الداخلي للجهاز.

تفسير النتائج

النتائج البدائية التي تظهر في تحاليل المناعة البدائية تعني أن هذا الفرد متعاط لأحد مشتقات الأفيون، ولكن يجب أن يتم تأكيد هذه النتائج بطريقة أكثر حساسية، وتخصصية، من طريقة التحليل المناعي، أو أي طريقة بدائية أخرى.

احتفاظ الجسم بالأفيونات ومشتقاتها لفترة بعد التعاطي، والتركيز الفعلي لهذه المركبات في عينة البول ويعتمد على بعض العوامل، مثل تمثيل أو أيض أو نواتج تكسير هذه المركبات في الجسم، وبعض العوامل الفيزيائية، وشرب السوائل، وطريقة التعاطي. بصفة عامة، وبالنظر إلى هذه العوامل، فإن الأفيونات يمكن إثبات وجودها في عينة البول

في حدود الثلاثة أيام.

وجـــود المورفيـــن أو المورفين-٣-جلوكورونيد في عينة البول يمكن أن يكون نتيجة تعاطـــي الهيروين، أو الأفيون، أو المورفين، أو الكوديين، وذلك لأن جميع هذه المركبات تشـــترك في خط سير عملية التمثيل داخل الجسم. بالإضافة إلى ذلك فإن بعض الأفيونات الأخـــرى يمكن أيضاً أن تكون مصدراً للمورفين في عينة البول(Harn,1993)، مثل إيثـــيل المورفيـــن، والفول كوديين(β-Morpholinylethylmorphine)، والنيكومورفين (Morphine dinicotinate). أي أن وجـــود المورفين في عينة البول لا يعطي دليلاً على أن نوعاً من الأفيونات تم تعاطيه.

ولما كانت نتائج التحليل تزيد الشك حول مصدر المورفين الموجود في عينة البول المأخوذة من المتعاطي، فإن معرفة اسم وتركيز بقية المكونات الموجودة في العينة قد يكون دليلاً أو برهانا لمعرفة اسم المادة الأساسية التي تعاطاها الشخص صاحب العينة.

علـــى سبيل المثال، إثبات وجود أحادي أسيتيل المورفين MAM في عينة البول يمكـــن أن يكـــون دلـــيلاً على تعاطي هذا الشخص للهيروين، لأن هذا المركب من نواتج هضـــم الهيروين في الجسم (Cone, Welch, Mitchell and Paul, 1991). أما في حالة وجود الكوديين مع المورفين في عينة البول، فلو كانت نسبة وجود الكوديين إلى المورفيـــن أقـــل من ٥,. ، وكان إجمالي تركيز المورفين في عينة البول أكبر من ٢٠٠ نانوجـــرام لكل مللي، فإننا نستبعد أن يكون الكوديين هو مصدر وجود المورفين في عينة الـــبول (Dutt and Woo, 1983 ; ElSohly and Jones, 1989). أما لو تم العـــثور على نسبة من أسيتيل الكوديين مع المورفين عند تحليل عينة البول، فمن الممكن أن يشـــير هـــذا إلى أن هذا الشخص صاحب العينة قد تعاطى هيروينا غير نقي، فتحول الكوديين الموجود فيه عند التحضير إلى أسيتيل الكوديين.

التوصيات

في ختام هذا البحث فإنه يمكن استخلاص عدد من التوصيات، والتي يرى الباحث أنها تهم القائمين على مكافحة المخدرات، وإدانة المتعاطين لها :

١- يجـب علـى ضباط وموظفي المكافحة الذين يتعاملون مع موضوعات التهريب، والنقل، وإساءة استعمال العقاقير المخدرة، أن يعرفوا ولو قدراً يسيراً عن الطرق المسـتخدمة في الكشف عن المخدرات، حتى يتمكنوا من معرفة ما يمكن للخبير أن يقوله لهم في هذا المجال.

٢- يجب أن يتم التحليل الكيماوي للعينات البيولوجية بواسطة شخص مؤهل ومدرب وملم بطرق التحليل، ويكون قد مارس العمل في هذا المجال لفترة تؤهله أن يكون خبـيراً فـيه، على أن يتم تزويد الباحث بكل المعلومات الخاصة بالحالة التي هو بصـددها مـن ناحية المادة المحتمل أن يكون الشخص قد تناولها، ووقت ظهور أعراض التعاطي، وأنواع هذه الأعراض وطبيعة وشدة هذه الأعراض.

٣- يجـب أن تكـون الطـرق المستخدمة لتحليل هذه العينات وإثبات أو نفي وجود مخـدرات فـيها فـي غاية الدقة والحساسية، كما يجب ألا يكتفي الخبير بطريقة تحلـيل واحـدة لكـتابة تقريره عن العينات، لأن في معظم الحالات يترتب على النتيجة الإيجابية اتخاذ إجراءات قانونية تجاه صاحب العينات التي تم تحليلها.

٤- يجـب التركيز على استخدام عينة بول الشخص المتعاطي للكشف عن الهيروين ونواتـج تمثيله فيها، لأن عينة البول أفضل العينات التي يستدل بها على تعاطي الفـرد للمـادة المخدرة لسهولة أخذها من المتهم، ولأنه ثبت علمياً أن كل نواتج تحلـل أو تكسير الأدوية والمخدرات في جسم الإنسان تفرز في البول و تبقى فيه لفترة طويلة، بالإضافة إلى احتمال وجود نسبة من هذه المواد في عينة البول كما هي دون تحلل.

٥- بســبب ســرعة تحلــل الهيروين في جسم الإنسان فإنه يجب عدم الاعتماد على البحــث عنه في العينات البيولوجية التي تؤخذ من جسم المتعاطي لإثبات تعاطيه، ولكن يجب أن تعتمد على البحث عن المورفين، لأنه هو آخر صورة ثابتة يوجد عليها الهيروين في الجسم وتُفرَز في البول.

٦- من الممكن إثبات تعاطي شخص للهيروين عن طريق إثبات وجود أحادي أسيتيل المورفين في البول، ولكن في هذه الحالة يجب ألا يتعدى وقت التحليل ما يتراوح بين ٢ - ٨ ساعات.

٧- يجــب مــراعاة عدم إجراء عملية تحليل للمركبات في البول بواسطة الحمض أو الإنزيم، لأن هذه العملية- في الغالب- تحول أحادي أسيتيل المورفين MAM - الدليل على تعاطي الهيروين - إلى مورفين.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- الجندي ، سليمان أحمد (١٩٩٢م): علم السموم والكيمياء الشرعية. الطب الشرعي بين الإدعاء و الدفاع (الجزء الثاني)، القاهرة مكتبة المحامي .
- شاهين ، نصار (١٩٨٩م): المخدرات حقائق وأرقام، عمان : مركز الكتب الأردني.
- علي، محمد البار(١٩٨٩م): الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات، الرياض: الدار السعودية للنشر و التوزيع.
- قطب ، حسني (١٩٨٣م): مواد الإدمان الشائعة: الأمن العام. الرياض: مكتبة معهد الضباط.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Baselt R. C. (1978); Disposition of Toxic Drugs and Chemicals in Man, Vol. 1, Biomedical Publications, Canton, Connecticut 06019, p. 10.
- Cone E. J. and Darwin W. D. (1992); Rapid assay of cocaine, opiates and metabolites by gas chromatography-mass spectro-metry, J. Chrom- atogr. 580, 43-61.
- Cone E. J., Welch P., Mitchell J.M. and Paul B. D. (1991); Forensic drug testing for opiates: I. Detection of 6-acetylmorphine in urine as an indicator of recent heroin exposure; drug and assay considerations and detection times, J. Anal. Toxicol. 15, 1-7.
- Drost R. H., Van Ooijen R. D., Ioescu T. and Maes R. A. A., (1984); Determination of morphine in serum and cerebrospinal fluid by gas chromatography and selected ion monitoring after reversed phase column extraction, J. Chromatogr. 310, 193-198.
- Dutt M. C., Lo D.S.-T., Ng D. L. K. and Woo S. (1983); Gas chromatographic study of the urinary codeine-to-morphine ratios in controlled codeine consumption and in mass screening for opiate drugs, J. Chromatogr. 267, 117-124.
- ElSohly M. A. and Jones A. B. (1989); Morphine and codeine in

biological fluids: Approaches to source differentiation, Forens. Sci. Rev.1, 13- 21.

- Fehn J. and Megges G. (1985); Detection of O6-monoacetylmorphine in urine samples by GC/MS as evidence for heroin use, J. Anal. Toxicol., 9, 134-138.
- Fuller D. C. and Anderson W. H. (1992); A simplified procedure for the determination of free codeine, free morphine and 6-acetyl-morphine in urine, J. Anal. Toxicol. 16, 315-318.
- Gerostamoulos J., Crump K., McIntyre I. M. and Drummer O. H. (1993); Simultaneous determination of 6-monoacetylmorphine, morphine and codeine in urine using high performance liquid chro-matography with combined ultraviolet and electrochemical detection, J. Chromatogr. 617, 152-156.
- Goldbaum L. R., Santinga P. and Dominguez A. M. (1972); A procedure for the rapid analysis of large numbers of urine samples for drugs, Clin Toxicol. 5, 369-379.
- Kabra P. M. and Marton L. J. (1984); Clinical liquid Chromatography, Vol. 1, Analysis of Exogenous Compounds, CRC Press, pp. 153-157.
- Kim C. and Kats T. (1984); Rapid and sensitive analysis of morphine in serum by reversed-phase high performance liquid chromato-graphy with electrochemical detection, J. Anal. Toxicol. 8, 135-137.
- Madden J. S. (1984); Guide to Alcohol and Drug Dependence. 2nd Edition, Wright Ltd., Bristol U. K. PP. 173.
- Opiatnachweis im Harn, (1993); DFG/TIAFT Mitt. XXI. Verlag Chemie, Weinheim.
- Romberg R. W. and Brown V. E. (1990); Extraction of 6-monoacetylmorphine from urine, J. Anal. Toxicol. 14, 58-59.
- Svensson J. O. (1986); Determination of morphine, morphine-6-glucuronide and normorphine in plasma and urine with high-performance liquid chromatography and electrochemical detection, J. Chromatogr. 375, 174-178.

- Umans J. G., Chiu T. S. K, Lipman R. A., Schultz M. F., Shin S-U. and Inturrisi C.E. (1982); Determination of heroin and

its metabolites by high performance liquid chromatography, J. Chromatogr. 233, 213-225.
- United nations (1986); Recommended Methods for Testing Heroin, Manual for Use by National Narcotics Laboratories, ST/NAR/6.
- United nations (1987); Recommended Methods for Testing Opium/Crude morphine, Manual for Use by National Narcotics Laboratories, ST/NAR/11,.
- United nations (1995); Recommended Methods for Testing Heroin, Manual for Use by National Narcotics Laboratories, ST/NAR/27.
- Verlag Chemie, Weinheim (1992); Thin-Layer Chromatography Rf Values of toxicologically-Relevant Substances in standardised Systems, DFG/TIAFT Mitt. XVII..
- Yeh S. Y., Gorodetzky C. W. and McQuininn R. L. (1976); Urinary excretion of heroin and its metabolites in man, J. Pharmacol. Exp. Ther. 196, 249-256

أثر جريمة الزنا على النكاح

إعداد

الدكتور / عبدالرحمن بن سليمان الريش

عضو هيئة التدريس بقسم العلوم الشرعية ـ كلية الملك فهد الأمنية

١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله تعالى خلق البشر وجعل من سننه الماضية فيهم سنة تجاذب الذكر والأنثى، ولكن الشريعة الإسلامية لم تبق هذا التجاذب الفطري طليقاً بلا قيد، بل شرعت الأحكام المهذبة له، فحضت على النكاح، وجعلت الزنا جريمة يعاقب عليها. ومع ذلك، فقد يقع شخص في جريمة الزنا، فرتبت على هذا الفعل أنواعاً من التأديب، منها الحد ومنها التأديب المعنوي المتعلق بالتضيق الاجتماعي. ولكن ما هي حدود ذلك التضيق؟ وبصيغة تساؤليه أكثر وضوحا، هل يحرم نكاح الزاني مزنيته؟ وهل تمنع الزانية من الزواج مطلقاً أم لا ؟ وأن كانت تحل له؛ هل يشترط لذلك الحل توبتها؟ وما أثر فعل المرآة المتزوجة لفاحشة الزنا على بقاء العصمة؟ هذه الأسئلة كلها تحتاج إلى بيان وذلك لما لقضية الأبضاع من أهمية بالغة في الشريعة الإسلامية.

مقدمة

إن الحمـــد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعـــد:

فـــإن الله تعـــالى خلق هذا البشر، وجعل من سننه الماضية فيهم سنة تجاذب الذكر والأنـــثى، وهـــي ســـنة ماضـــية، هي قوام التكاثر البشري، إذ لولاها لما حصل تزاوج مشروع، ولا تم تلاق محرم ، فهي الوقود الذي يدفع كلا الجنسين إلى التطلع إلى الجنس الآخر، سواء كان ذلك التطلع تطلعا مشروعاً أم كان تطلعاً محرماً ممنوعاً، وهذا التجاذب مـــن دوافعـــه الغريـــزة الجنسية الفطرية ، وليست هي الوحيدة ، بل يقوم إلى جانبها دافع الأنس والسكن إلى الطرف الآخر، كما قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِـــنْهَا زَوْجَهَـــا لِيَسْـــكُنَ إِلَيْهَا)[1] . إضافة إلى حب التكاثر والتوالد المغروز في الوجدان الإنساني ، كما قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ) [2].

١ – سورة الأعراف من الآية ١٨٩ .

٢ – سورة آل عمران من الآية ١٤ .

ولكن الشريعة الإسلامية لم تبق هذا التجاذب الفطري طليقا بـــلا ضبط ولا تنظيم ، بل شرعت الأحكام المهذبة له ، والضابطة لنزواته، الحاصرة له في حيز "المفيد"؛ فمنعت السـفور ، وحظرت النظرة المحرمة ، وشنعت جريمة الزنا؛ كما قال الباري جل جلاله: (وَلا تَقْـرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) [1]. وحضت على التزاوج ورغبت فيه ، كمـا قـال ﷺ "يـا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[2] .

ومـع أن الشريعة قد أحاطت الحرمات بسياج منيع من سد الذرائع ومنعت الاقتراب منها مـنعاً للـزنا فإن نفساً أمارةً بالسوء، وشيطان إنسٍ أو جنٍّ قد يتكالبان على شخص فيوقعانه في الزنا.

غـير أن الشـريعة لم تبق ذلك المصاب رهن مصابه، فشرعت الحد تطهيراً، وله تأهـيلاً، ليعود إلى حالته الطبيعية عضواً سليماً سالماً في مجتمع النقاء والطهر، وعنصراً فاعلاً في حرب العهر والخنا.

لكـن هـل لارتكابــه لذلــك الخـنا ، ووقوعه في وحل الرذيلة ، تأثير في حياته الاجتماعية الأسرية بعدُ؟ .

وبصـيغة تسـاؤلية أكـثر وضوحاً أيحق له أن ينكح بعدُ؟ ومن ينكح، وكيف تكون علاقـة المـرأة مـع زوجهـا لو كانت ذات زوج حين فجورها، وسلمت من طائلة الحد لصارف أو آخر؟

تلـك هي التساؤلات الأساسية التي سيتم التعرض لها خلال هذا البحث، وفق التقسيم المنهجي التالي: من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

---

١ – سورة الإسراء الآية ٣٢ . .

٢ – أخرجه البخاري ص٣٦٢ رقم ١٩٠٥ كتاب الصوم باب الصوم على من خاف على نفسه العزوبة ، وفي مواضع أخر، ومسلم رقم ١٤٠٠ كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .

مفردات البحث

التمهيد في التعريف لغة واصطلاحاً بعناصر الموضوع . وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الجريمة لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني: تعريف النكاح لغة واصطلاحا .

المطلب الثالث: تعريف الزنا لغة واصطلاحا .

المبحث الأول : في نكاح الزاني مزنيته، وفيه مطالب .

المطلب الأول : حكم نكاح الزاني مزنيته .

المطلب الثاني : في استبراء الزانية قبل نكاح الزاني بها . وفيه فروع .

الفرع الأول : حكم الاستبراء .

الفرع الثاني : حكم وطئه لها قبل الاستبراء .

الفرع الثالث : بما يكون الاستبراء .

المطلب الثالث : في اشتراط توبة الزانية ، وفيه فرعان .

الفرع الأول : نكاح الرجل مزنيته قبل توبتها.

الفرع الثاني : كيفية توبة الزانية .

المبحث الثاني : نكاح الزانية غير الزاني بها ، وفيه مطالب.

المطلب الأول : حكم نكاح الزانية غير الزاني بها .

المطلب الثاني : استبراء الزانية لنكاح غير الزاني بها .

المطلب الثالث : توبة الزانية لنكاح غير الزاني بها .

المبحث الثالث: زنا الزوجة، وفيه مطلب واحد : أثر زنا الزوجة على بقاء العصمة .

الخاتمة: وفيها أهم النتائج .

التمهيد في التعريف اللغوي والاصطلاحي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف الجريمة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: تعريف النكاح لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: تعريف الزنى لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف الجريمة لغةً واصطلاحاً

الجـــريمة لغة : مصدر أجرم يُجرِم، يقال أجْرم وجَرَم إجراماً واجتراماً فهو مجرم وجريم ، بمعنى أنه اقترف أمراً محرماً ، والجريمة واحدة الجرائم . أما الجرم فهو الذنب نفسه والتعدي، وهو أيضاً الجريمة[1] .

وأمـــا اصـــطلاحاً : فالجــرائم هـــي : "محظـــورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير"[2] .

فالجـــريمة بهـــذا الـــتعريف شاملة لكل مخالفة قولية أو فعلية يرتكبها المرء ، لأن المخالفـــات الشرعية من حيث العقاب نوعان ، نوع شرعت فيه حدود مقدرة من الشارع، كالسرقة والزنا ، ونوع لم تشرع فيه حدود مقدرة ، لكن ترك أمر عقاب متعاطيه للحاكم ، يعاقبه تعزيراً أو يعفو عنه ، بحسب ما يراه .

وهـــذا التعريف لوحظ فيه الجانب القضائي ، أعني جانب المطالبة للمخالف وإلحاق العقاب به .

المطلب الثاني: تعريف النكاح لغةً واصطلاحاً

الـــنكاح لغة : مأخوذ من نكح المريض الدواء إذا خالطه ، أو من تناكحت الأشجار

---

١ – انظر: معجم مقاييس اللغة ٤٥٥/١ – ٤٤٦ ، اللسان ٩٠/١٢ – ٩١ .

٢ – الأحكام السلطانية للماوردي ص٢١٩ ، وانظر: الجريمة لأبي زهرة ص٢٣ .

أي اختلطت وانضم بعضها إلى بعض ، وعلى ذلك فهو حقيقة في هذه المعاني، مجاز في الاستعمال الشرعي[1] . ومال بعض أهل اللغة إلى أنه حقيقة في الوطء، ثم أطلق على العقد لكونه سببا فيه[2] .

أما النكاح اصطلاحاً : فللعلماء له تعريفات عديدة ، أنقل من كل مذهب تعريفا يظهر تصويره له بحسب حكم الفروع الفقهية المتصلة به عنده .

قال بعض الحنفية هو : "عقد يرد على تملك المتعة قصدا"[3] .

وعرفه بعض المالكية بأنه "عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله ، غير عالم عاقدها حرمتها"[4] .

وعرفه بعض الشافعية بأنه عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ أنكحت أو زوجت[5] .

وعرفه بعض الحنابلة بقولهم "عقد التزويج[6]" .

والقاسم المشترك بين هذه التعريفات – بغض النظر عن اختلافات المذاهب الفرعية المتعلقة بقضايا الأسرة – أن النكاح عقد شرعي يورث استباحة الرجل التمتع بالمرأة على الوجه المشروع .

المطلب الثالث : تعريف الزنا

الزنا لغة : يمد (الزنا) ويقصر (الزنى) . فالقصر لغة أهل الحجاز، والمد لغة أهل نجد ، وهو البغاء والفجور. يقال : المرأة تزاني مزاناة وزناءً أي تباغي[7] .

---

١ – انظر: تهذيب اللغة ١٠٣/٤ ، الصحاح ٤١٣/١ ، القاموس ٣١٤ (نكح) .
٢ – منهم الأزهري والجوهري ، انظر : تهذيب اللغة ١٠٣/٤ ، الصحاح ٤١٣/١ (نكح) .
٣ – كنز الدقائق ٩٤/٢ ، وانظر : فتح القدير ٣٤٠/٢ ، حاشية ابن عابدين ٣/٣ .
٤ – حدود ابن عرفة ٣٥/١ ، وانظر أيضاً : الهداية الكافية ٢٣٥/١ – ٢٣٨ .
٥ – المنهاج ١٧٦/٦ ، وانظر : نهاية المحتاج ١٧٦/٦ – ١٧٨ ، حاشية الشبراملسي ١٧٦/٧ .
٦ – المغني ٣٣٩/٩ ، وانظر: الشرح الكبير ٥/٢٠ ، كشاف القناع ٥/٥ .
٧ – انظر: معجم مقاييس اللغة ٢٦/٣ – ٢٧ ، الصحاح ٢٣٦٨/٦ – ٢٣٦٩ ، أساس البلاغة ٢٧٧ ، القاموس المحيط ١٦٦٧ .

واصــطلاحاً : اخــتلف العلماء في تعريفه. فعرفه بعض الحنفية بأنه: "وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهة الملك"(١).

فهــؤلاء قــيدوا الزنا بأنه الوطء في القبل ، أما الوطء في الدبر فيدخل عندهم في مسمى الزنا الموجب للحد، بل هذا يسمى لواطاً(٢).

وعرفه بعض المالكية بأنه "أن يطأ فرج آدمي لا ملك له فيه متعمداً"(٣) .

فالفرج عندهم شامل للقبل والدبر(٤) .

وعرفه بعض الشافعية بأنه "إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبهة مشتهى طبعاً"(٥) . فالفرج شامل عندهم للقبل والدبر(٦) .

أما الحنابلة فعرفه بعضهم بأنه "فعل الفاحشة في قبل أو دبر"(٧). وهذا واضح إدخاله الوطء في الدبر في مفهوم الزنا .

ولعــل الــراجح ما ذهب إليه الجمهور من اعتبار الوطء في الدبر داخلا في مسمى الزنا لما فيه من الاشتهاء طبعاً .

المبحث الأول: نكاح الزاني مزنيته

المطلب الأول: نكاح الزاني مزنيته

أجمعت الأمة على حرمة الزنا ، وأنه من الكبائر ، وأن مرتكبه مستحق للنكال الذي

---

١ – الهداية ١٠٠/٢ ، وانظر: بدائع الصنائع ٣٣/٧ ، البناية ٢٣٧/٦ – ٢٣٨ .

٢ – انظر: المراجع السابقة .

٣ – جامع الأمهات لابن الحاجب ٥١٤ .

٤ – الشرح الكبير ٣١٣/٤ ، حاشية الدسوقي ٣١٣/٤ .

٥ – المنهاج ٤٢٢/٧ – ٤٢٣ .

٦ – انظر: الحاوي ٥٨/١٧ ، روضة الطالبين ٨٦/١٠ – ٨٧ ، نهاية المحتاج ٤٢٢/٧ – ٤٢٣ ، حاشية المغربي الرشيدي على نهاية المحتاج ٤٢٢/٧ .

٧ – كشاف القناع ٨٩/٦ .

لا رأفة فيه[1] .

لكــن هــل اقتراف الزانيين لجريمة الزنا يجعلهما ممنوعين من التناكح بينهما على الوجه المشروع؟

اختلف أهل العلم في حكم نكاح الزاني مزنيتــه على قــولــين:

القــول الأول : إن الزاني لا يجوز له التزوج بالزانيــة التي قارف معها جريمة الــزنا ، وبــه قال ابن مسعود[2][3] ، وعائشــة[4][5] ، والبراء[6][7] بن عازب ، والحسن البصري[8][9] – رضي الله عنهم – مستدلين بقول الله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ

---

١ – انظر: الإجماع لابن المنذر ص١١٢ ، مراتب الإجماع ص١٣٣ .

٢ – هو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أحد السابقين إلى الإسلام وأحد المهاجرين إلى الحبشة ، أحد المبشرين بالجنة ، شهد بدراً وما بعدها . انظر: الاستيعاب ٣١٦/٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٨/١ .

٣ – أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢٠٥/٧ ، رقم ١٢٧٩٨ ، ٢٠٦/٧ رقم ١٢٨٠٢ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢٥٩/١ – ٢٦٠ رقم ٨٩٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥١/٤ ، والبيهقي ٢٥٢/٧ رقم ١٣٨٨٤ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزل فيه .وفي سند البيهقي يحي الجزار وقد رمي بالغلو في التشيع مع صدقه ، انظر: تقريب التهذيب ٣٥٠/٢ .

٤ – هي : أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – توفيت سنة ٥٧ ، وقيل ٥٨ ، انظر: أسد الغابة ٢٠٥/٧ .

٥ – أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢٠٦/٧ رقم ١٢٨٠١ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢٦٠/١ رقم ٨٩٧ ، ٨٩٩ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥١/٤ ، والبيهقي ٢٥٣/٧ رقم ١٣٨٨٨ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه . وفي سنده إسماعيل بن أبي خالد ثقة ثبت ، ويعلى بن عبيد ثقة إلا في حديثه عن الثوري ففيه لين ، انظر: تقريب التهذيب ٨٠/١ ، ٣٨٨/٢ ، وفيه الجهم السري لم أجده .

٦ – هو : البراء بن عازب استصغر يوم بدر ، شهد أحداً ، وتوفي أيام مصعب بن الزبير – رضي الله عنهما ، انظر: أسد الغابة ٢٥٨/٢ .

٧ – أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٦٠/١ رقم ٨٩٨ ، وعلقه البيهقي ٢٥٣/٧ بعد رقم ١٣٨٨٨ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه .

٨ – هو : الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار ، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، عالم زمانه ، توفي عام ١١٠ ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤ .

٩ – انظر: الحاوي ٢٥٧/١١ .

مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [١].

وجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. فالرجل الذي فعل معها جريمة الزنا محرم عليه نكاحها بقوله تعالى: (وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [٢] .

القول الثاني : إن الزاني يجوز له التزوج بالمرأة التي زنى بها ، وبه قال الحنفية[٣]، والمالكية[٤] ، والشافعية[٥] ، والحنابلة[٦] ، مستدلين بما يلي :-

١ - قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) [٧] .

وجه الاستدلال : أن الله سبحانه وتعالى عدد في الآيتين المحرمات في النكاح، ولم يذكر منهن الزانية ، ثم عقب ذكره تعالى للمحرمات بقوله سبحانه: (وَحُرِّمَ

---

١ - سورة النور الآية ٣ .

٢ - انظر: الناسخ والمنسوخ ٣١١/٢ .

٣ - انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣٩١/٣ ، فتاوى النوازل ١١٤ .

٤ - انظر: المعونة ٧٩٥/٢ ، أحكام القرآن لابن العربي ٣٣٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٧٠/١٢ .

٥ - انظر: الأم ٢١/٥ ، الحاوي ٢٥٦/١١ .

٦ - انظر: المغني ٥٦١/٩ ، المبدع ٦٩/٧ - ٧٠ ، الإقناع ٣٤٣/٣ . وسيأتي اختلاف العلماء في استبراء التوبة والاستبراء في المطلبين الثاني والثالث .

٧ - سورة النساء ، الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)(النور: من الآية ٣) . فكانت الزانية من جملة المحللات[١] .

٢ – حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال : "لا يحرم الحرام الحلال[٢]"[٣] .

وجه الاستدلال أن الزنى محرم ، بينما الزواج مشروع ، فلو منع الزاني من تزوج مزنيته لحرُم الحلال بالحرام ، وذلك مخالفة صريحة لهذا الحديث .

٣ – قول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –: "إذا زنى رجل بامرأة لم يحرم عليه نكاحها[٤]"[٥] . وهذا صريح في موضوع الخلاف .

٤ – ما روي أن رجلا تزوج امرأة وكان له ابن من غيرها ، ولها بنت من غيره ، ففجر الغلام بالجارية ، وظهر بها حمل ، فلما قدم عمر مكة رفعا إليه ، فسألهما ، فاعترفا ، فجلدهما الحد ، وحرص على أن يجمع بينهما ، فأبى الغلام[٦][٧] .

---

١ – انظر: الحاوي ٢٥٧/١١ .

٢ – أخرجه ابن ماجة ٦٤٩/١ رقم ٦٠١٥ كتاب النكاح باب لا يحرم الحرام الحلال بلفظ : "لا يحرم الحرام الحلال" ، والدراقطني ٢٦٨/٣ رقم ٨٨ ، ٨٩ ، والبيهقي ٢٧٤/٧ رقم ١٣٩٦٤، ١٣٩٦٥ ، كتاب النكاح باب الزنا لا يحرم الحلال ، وذكر أبو الطيب آبادي له شواهد صحاحا عن بعض الصحابة – رضي الله عنهم – منهم : ابن عباس ، وعروة ، انظر: التعليق المغني له ٢٦٨/٣ ، وعلق البوصيري في الزوائد على إسناد ابن ماجة ٢/ ١٢٣ قائلاً : " هذا إسناد ضعيف لضعف عبدالله بن عمر العمري" .

٣ – انظر: الحاوي ٢٥٧/١١ – ٢٥٨ .

٤ – أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢٠٤/٧ رقم ١٢٧٩٥ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٩/٤ ، والبيهقي ٢٥١/٧ بعد رقم ١٣٨٧٦ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه ، وفي سند عبدالرزاق من لم يُسَمَّ .

٥ – انظر: الحاوي ٢٥٨/١١ .

٦ – أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢٠٣/٧ – ٢٠٤ رقم ١٢٧٩٣ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢٥٨/١ رقم ٨٨٥ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٨/٤ ، والبيهقي ٢٥٠/٧ – ٢٥١ رقم ١٣٨٧٥ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه . وفي سنده عبيدالله بن أبي يزيد عن أبيه ، ومحمد بن يعقوب والربيع بن سليمان ، ثقات ، انظر: تقريب التهذيب ٢٤١/١ ، ٥٠٢/١ ، ٢٢٩/٢ ، ٤٦٨/٢ ، وفيه من لم أجد .

٧ – انظر: الحاوي ٢٥٨/١١ .

وجـه الاسـتدلال بهذا الأثر أن عمر رام أن يزوج الجارية الغلام ، فدل ذلك على مشروعية تزوج الزاني للتي زنا بها .

المناقشة

نوقش أصحاب القول الأول في استدلالهم بآية: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [1] مناقشتين:

أ – إن قوله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) لا يخلو أن يكون خبراً أو نهياً ، أمـا اعتـباره خـبراً فلا يصح؛ لأنا وجدنا الزاني يتزوج غير زانية ، وعفيفاً يتزوج زانية ، ومحال أن يكون خبر الله – تعالى – كذبا .

وأما على اعتباره نهياً فمعنى (ينكح) يطأ ، وعلى ذلك فالمعنى أن الزنى لا يتأتى إلا مـن زانيين ، أي أن فعل الزنى فعل مشترك بين طرفين كلاهما يوسم بأنه زان، وهذا المعنى هو المتعين ، لكون النكاح حقيقة في الوطء[2] .

ب – وعلـى فـرض تسـليم أن الآية تحرم نكاح الزاني مزنيته فالآية منسوخة بقوله سبحانه وتعالى: (وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) [3]، وهذا قول سعيد بن المسيب[4][5] الذي قال: "هي : [أي الزانية] من أيامى المسلمين"[6] .

---

١ – سورة النور الآية ٣ .

٢ – انظر: أحكام القرآن للجصاص ١٠٨/٥ ، أحكام القرآن لابن العربي ٣٣٩/٣ ، الناسخ والمنسوخ ٣١١/٢ .

٣ – سورة النور من الآية ٣٢ .

٤ – هو سعيد بن المسيب بن حزن ، عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه توفي عام ٩٣هـ وقيل غير ذلك ، انظر: سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ .

٥ – انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٩/١٢ ، الحاوي ٢٥٩/١١ .

٦ – أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٥٤/١ رقم ٨٦٢ ، والبيهقي ٢٤٩/٧ رقم ١٣٨٦٩ كتاب النكاح باب نكاح المحدثين وما جاء في قول الله عز وجل: ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾. وفيه زيد بن جعفر لم أجده .

الترجيح

يظهـــر – والله تعالى أعلم – أن القول القاضي بحل نكاح الزاني لمزنيته هو القول الــراجح ، وذلـــك لعموم قوله سبحانه وتعالى: (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُم)[1] ، لأن داعي الفطـــرة يحـــدو إلى قضاء الوطر ، وإن لم يقض الوطر بالطريق الشرعي قضي بالطرق المحـــرمة ، إلا أن يعصم الله تعالى ، والعادة الغالبة استنكاف الرجال عن نكاح الزواني ، بدلـــيل عزوف الغلام في أثر عمر السابق عن نكاح البنت التي زنا بها ، فإذا مُنع الزواني مـــن نكاح الذين زنوا بهن كان في ذلك تضييقٌ لباب الزواج أمامهن ، وفتح لباب الفتنة عليهن ــ وفي ذلك من المفاسد مالا يخفى ، ولما يعضد هذا القول من أقوال الصحابة ، التـــي وإن خالفتها أقوال أصحاب القول الأول ، إلا أنها تُرجح عليها بدلالة الآية السابقة، فضـــلا عن أن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه- رويت عنه الرخصة في نكاح الزاني مزنيته[2] ، ولما روي أن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – قال لولي فتاة زنت فـــتحرج أن يـــزوجها حتى يخبر بزناها خاطبها : "زوجوها كما تزوجوا صالحي فتياتكم[3]" ، وصـــالحات فتيات المسلمين لا حجر عليهن من النص في زواج من شئن من المسلمين . والله تعالى أعلم .

---

١ – سورة النساء من الآية ٢٤ .

٢ – أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٦١/١ رقم ٩٠٣ . والبيهقي ٢٥٣/٧ رقم ١٣٨٨٧ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه ، وفيه خلف بن خليفة صدوق اختلط في آخر عمره ، انظر تقريب التهذيب ٢٢٢/١ .

٣ – أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٥٥/١ رقم ٨٦٦ ، والبيهقي ٢٥١/٧ رقم ١٣٨٧٦ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية على ما نزلت فيه ، وفي سند هذا الأثر أبو نصر بن قتادة وأبو منصور النضروي لم أقف على من ترجم لهما .

المطلب الثاني: استبراء الزانية قبل نكاح الزاني بها

وفيه فروع:

الفرع الأول : حكم الاستبراء .

الفرع الثاني: حكم وطئه لها قبل الاستبراء .

الفرع الثالث: بم يكون الاستبراء؟ .

الفرع الأول: حكم الاستبراء

تقدم الخلاف في حكم تزوج الرجل بمزنيته ، وأن المذاهب الأربعة على مشروعية ذلك له[1] ، لكن هل يشترط عندهم أن يستبرئها قبل النكاح أم لا يشترط ذلك؟ في ذلك القولان التاليان :

القول الأول : إن له أن يعقد عليها قبل أن يستبرئها من الوطء المحرم السابق ، وبه قال الحنفية[2] ، والشافعية[3] ، مستدلين بالتالي:

١ - حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها – أن النبي ﷺ قال : "لا يحرم الحرام الحلال[4]"[5] .

وجه الاستدلال أن الوطء المتقدم حرام ، بخلاف وطء الرجل زوجته فحلال ، فلم يكن إتيان هذا الحلال ممنوعاً بارتكاب ذلك الحرام.

---

١ – انظر: المطلب السابق .

٢ – انظر: مختصر الطحاوي ٢١٨ – ٢١٩ ، مختصر اختلاف العلماء ٣٢٧/٢ ، فتح القدير ٣٨٤/٢ ، تبيين الحقائق ١١٤/٢ .

٣ – انظر : الأم ٢١/٢ ، الحاوي ٣٦١/١١ ، المهذب ٤٤/٢ ، حلية العلماء ٣٧٨/٦ .

٤ – تقدم تخريجه .

٥ – انظر: الحاوي ٢٦٢/١١ .

٢ - ما روي أن رجلا تزوج امرأة ، وكان له ابن من غيرها ، ولها بنت من غيره، ففجر الغلام بالجارية ، وظهر بها حمل ، فلما قدم عمر مكة ، رفعا إليه ، فسألهما فاعترفا فجلدهما الحد ، وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام[1][2] .

وجه دلالة هذا الأثر أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حرص على أن ينكح الغلام الجارية ، من غير اعتبار للاستبراء ، فدل ذلك على مشروعية عقد الرجل على مزنيته من غير استبراء[3] .

٣ - إن العِدَدَ لا تجب إلا بزوال أسباب تقدمت ، كعدة الطلاق ، وعدة الوفاة ، وفي حال الزنا لم يزل سبب يستوجب العدة ، فلم تكن مشترطة لحل تزوج الرجل التي فجر بها[4] .

٤ - إن العدة إنما تجب رعياً لحرمة الماء الذي يلحق به النسب ، وماء الزاني لا حرمة له ، ولا يلحق به النسب ، فلم تجب منه العدة ، فكان عقد الرجل على موطوءته حراماً جائزاً[5] .

٥ - أن وطء الزاني لا يثمر لحوق النسب ولا وجوب المهر ، ولا لزوم النفقة ، فلم يثمر العدة ، لأن جميعها من أحكام الوطء الحلال، فإذا سقط بعضها في وطء الزنا سقط جميعها ، لانعدام الفرق بينها[6] .

القول الثاني :- أن الزاني لا يحق له العقد على التي زنى بها قبل استبرائها ، وبه قال المالكية[7] ، والحنابلة[1] ، مستدلين بما يلي :

---

١ - تقدم تخريجه .

٢ - انظر: مختصر اختلاف العلماء ٣٢٨/٢ ، الحاوي ٢٦٢/١١ .

٣ - انظر: المرجعين السابقين .

٤ - انظر: مختصر اختلاف العلماء ٣٢٨/٢ .

٥ - انظر: الحاوي ٢٦٢/١١ .

٦ - انظر: المرجع السابق .

٧ - انظر: التفريع ٦٠/٢ ، أحكام القرآن لابن العربي ٣٣٨/٣ ، القوانين الفقهية ٢١٣ .

١ – قوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه زرع غيره"[2][3] .

وهـذا نـص عام في النهي عن نكاح الموطوءة قبل استبرائها من ماء الواطئ السابق[4] .

٢ – حديـث أبي سعيد الخدري[5] – رضي الله تعالى عنه – أن النبي ﷺ قال : "لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا حائل حتى تحيض"[6][7] .

وهـذا الحديـث نـص عام في الحامل من الزنا والحامل من غيره، وفي كل حائل[8] .

٣ – مـا روي أن النبي ﷺ رأى امرأة مجحاً[9] على باب فسطاط، فقال : لعله يريد

---

١ – انظر: المغني ٥٦١/٩ ، المحرر ٢١/٢ ، المبدع ٦٩/٧ – ٧٠ ، الإقناع ٣٤٣/٣ .

٢ – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٦٩/٤ عن رويفع بن الحارث الأنصاري ، وأحمد ١٣٣/٤ رقم ١٦٩٩٢ ، والدارمي ٢٩٨/٢ رقم ٢٤٧٧ كتاب الجهاد باب في استبراء الأمة ، والترمذي ٤٣٧/٣ رقم ١١٣١ كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يشتري الجارية وهي حامل ، وأبو داود ٦١٥/٢ – ٦١٦ رقم ٢١٥٨ كتاب النكاح باب في وطء السبايا ، والبيهقي ٧٣٨/٧ رقم ١٥٥٨٨ كتاب النكاح باب استبراء من ملك الأمة ، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن" وحسنه الألباني كذلك في إرواء الغليل ٢١٣/٧ .

٣ – انظر: المغني ٥٦١/٩ .

٤ – انظر: المرجع السابق .

٥ – هو: أبو سعيد سعيد بن مالك بن سنان شهد الخندق وبيعة الرضوان العالم المجاهد ، توفي عام ٦٣هـ وقيل غير ذلك ، انظر: تهذيب التهذيب ٤٧٩/٣ .

٦ – أخرجه أحمد ٣٥/٣ رقم ١١٢٣٤ ، ٧٧/٣ رقم ١١٦٠٢ ، ١٠٦/٣ رقم ١١٨٢٩ ، والدارمي ٢٢٤/٢ رقم ٢٢٩٥ كتاب الطلاق باب في استبراء الأمة ، وأبو داود ٦١٤/٢ رقم ٢١٥٧ كتاب النكاح باب في وطء السبايا ، والدارقطني ١١٢/٤ رقم ٣٤ ، والحاكم ٢١٢/٢ رقم ١١٧/٢٧٨٨ كتاب النكاح ، والبيهقي ٧٣٨/٧ رقم ١٥٥٨٧ كتاب النكاح باب استبراء من ملك الأمة ، وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ، وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ١٧١/١ – ١٧٢ "إسناده حسن" ، وتبعه الشوكاني في نيل الأوطار ١٢٥/٨ .

٧ – انظر: المغني ٥٦١/٩ .

٨ – انظر: المرجع السابق .

٩ – يقال امرأة مُجح إذا حملت فعظم بطنها لقرب الوضع ، انظر: القاموس (جحح) .

أن يلـم بها ، قالوا : نعم ، قال : "لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه قبره ، كيف يستخدمه وهو لا يحل له ، أم كيف يورثه وهو لا يحل له[1]"[2] .

وجـه دلالـة الحديـث إنكـاره -ﷺ- على الرجل أن يطأ الحامل من غيره، فاقتضـى ذلك حرمة عقد الزاني على الزانية به قبل استبرائها ، لأن العقد عليها يفضي إلى غشيانها غالبا[3] .

٤ - إن العدة وضعت لمعرفة براءة الرحم ، وهذا المعنى مطلوب في الموطوءة حراماً كطلبه في الموطوءة حلالاً ، فلزم استبراء الزانية قبل عقد الذي زنا بها عليها[4] .

المناقشة

نوقشت أدلة القول الأول بالمناقشات التالية:

١ - نوقـش اسـتدلالهم بحديـث عائشة – رضي الله تعالى عنها – "لا يحرم الحرام الحـلال" بأنّـا لا نقـول إن نكاح الزانية حرام ، بل هو مشروع – كما تقدم في المسـألة السابقة – وإنما نقول إن زناها تترتب عليه أحكام ، منها : أنه يمكن أن يعلـق بها حمل منه ، فكان لابد من استبراء رحمها ، لمعرفة أبهَا حملٌ أم لا؟ ، حتى لا يلحق حملُها من الزنا بالعاقد عليها عقداً صحيحاً .

٢ - وأمـا استدلالهم بحرص عمر بن الخطاب -ﷺ- على تزويج الغلام الجارية التي فجـر بها من غير سؤاله عن العدة فيجاب عنه بأن كون عمر بن الخطاب -ﷺ- لـم يعتبر العدة دعوى تحتاج إلى دليل ، واحتمال كونه لم يعتبرها كاحتمال كونه اعتـبرها، والأثـر لم يتعرض لبيان اعتباره -ﷺ- للعدة، فلزم البحث عن دليل آخر، وأدلة القول الثاني أقوى ، فوجب المصير إليها .

٣ - ويجاب عن استدلالهم بأن العدد لا تجب إلا بأسباب تقدمت، وأن في الزنا لم يزل سـبب مسـتوجب للعدة يجاب عنه بأن الأسباب الموجبة للعدة من أهمها الوطء،

---

١ - أخرجه مسلم ١٠٦٥/٢ – ١٠٦٦ رقم ١٤٤١/١٣٩ كتاب النكاح باب تحريم وطء الحامل المسبية .

٢ - انظر: المغني ٥٦٢/٩ .

٣ - انظر: المرجع السابق .

٤ - انظر: الإشراف ٧٠١/٢ ، المغني ٥٦٢/٩ .

بدليل اعتبار العدة في وطء الشبهة ، ومن هنا كان الزنا سبباً مستوجباً للعدة .

٤ - يجاب عن قولهم إن ماء الزاني لا حرمة، له وإن العدة لا تجب إلا من ماء له حرمة ، بأن ماء الزاني له حرمة من حيث تخلق الجنين منه ، فكان الاستبراء للزانية متعيناً ، لمعرفة أبها حمل أم لا؟ ، كما أن العدة هنا فيها احترامٌ لماء العاقد على المرأة حتى لا يختلط ماؤه الحلال بالحرام .

٥ - وأما قولهم إن وطء الزاني لا يثمر عدة ، لأنه لا يثمر مهراً ولا نفقة ، فيجاب عنه بأن وطء الزاني يثمر عدم لحوق نسب الجنين بأحد ، وهذه الثمرة لا تتحقق إلا بالاستبراء ، لأنه بدونه يختلط ماء الناكح حلالاً بماء الناكح حرامًا ، فلا يُدرى من أي الوطئين الولد، فيلحق بالناكح حلالاً ، لأن "الولد للفراش"[1] .

أما القول الثاني : فنوقش استدلال أصحابه بحديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه زرع غيره" بأنه وارد على سبب خاص ، وهو أن رجلا ملك أمة بالشراء، فسأل هل يحل له وطؤها ، فأجيب بالمنع ، وعلى فرض عدم وروده على سبب خاص ، فإن النبي إنما أراد الزرع الذي ينسب إلى الزارع ، والولد في الزنا لا ينسب إلى الزاني[2] .

ويجاب عن هذه المناقشة بمنطوق القاعدة الأصولية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[3] .

أما تقييد الحديث بحمله على الولد الذي ينسب إلى الواطئ فهو تقييد بلا دليل ، لأن

---

١ - أخرجه البخاري ص١٢٨٨ رقم ٦٧٤٩ كتاب الفرائض باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة ، وص١٢٩٩ رقم ٦٨١٨ كتاب الحدود باب للعاهر الحجر ، ومسلم ١٠٨٠/٢ رقم ١٤٥٧/٣٦ كتاب الرضاع باب الولد للفراش وتوقي الشبهات .

٢ - انظر: الحاوي ٢٦٢/١١ - ٢٦٣ .

٣ - هذا قول جمهور الأصوليين ، انظر: المعتمد لأبي الحسين ٣٠٢/١ ، مفتاح الوصول للتلمساني ٥٣٩ ، التبصرة للشيرازي ١٤٤ ، العدة لأبي يعلى ٥٩٦/٢ .

الحديث ورد عامًا في منع سقي زرع الغير، فيظل على عمومه حتى يرد مخصص .

الترجيح :

لعـل الـراجح – والله أعلـم – القـول بمنع العقد على الزانية من الزاني بها قبل اسـتبرائها ، وذلك لعموم حديث أبي سعيد الخدري -ﷺ- في النهي عن غشيان الحوامل حتى يضعن ، وغير الحوامل حتى يحضن، وهو وإن كان وارداً في الإماء إلا أن المعنى الذي من أجله جاء ذلك النهي عام فيهن وفي غيرهن ، إذ هو حفظ النسب الذي لا يتأتى إلا باسـتبراء رحم كل من وطئت قبلُ ، لاسيما أن الغالب أن من عقد على امرأة تغشاها في أول مكنة .

وثمـت معنى آخر وهو أن المنع من عقد الزناة على اللواتي زنوا بهن قبل استبراء أرحامهـن فـيه نوع تغليظ عليهن ، خاصة في هذا الزمان الذي شاعت فيه إقامة العلاقة المحرمة قبل العقد ، حتى إذا ظهرت بوادر الحمل سارع الطرفان إلى إبرام عقد الزواج ، ففـي مـنعهما مـن إبرام العقد قبل الاستبراء تغليظ عليهما ، وفي إباحته لهما فتح لباب المعاشـرة المحـرمة ، علـى أمل إبرام العقد حين ظهور بوادر الحمل ، ومعلوم أن سد الذرائع من أصول هذه الشريعة .

الفرع الثاني : وطء الرجل مزنيته قبل الاستبراء

تقـدم أن العلماء مختلفون في حكم نكاح الرجل مزنيته ، وأن المذاهب الأربعة على مشروعية ذلك .

وتقـدم فـي المبحـث السابق أن المذاهب المجيزة لنكاح الرجل مزنيته اختلفوا في اشـتراط اسـتبرائها قـبل عقده عليها ، وأن الحنفية والشافعية أجازوا له العقد عليها قبل اسـتبرائها ، لكن عند هؤلاء الذي أباحوا له العقد عليها بلا استبراء فهل يشرع له عندهم غشيانها قبل استبرائها أم لا؟ وبعبارة أخرى هل يشترطون الاستبراء لحل غشيانها؟ .

ذهـب الحنفـية[1] والشافعية[2] في المعتمد عندهم إلى أن الزانية الحائل يجوز للذي زنى بها غشيانها بعد العقد عليها ، من غير اشتراط لاستبرائها ، وكذا مزنيته الحامل منه فيحل له وطؤها عندهم بلا خلاف[3] ، مستدلين بما يلي :

١ – قوله ﷺ "لا يحرم الحرام الحلال[4]"[5] .

٢ – مـا روي أن رجلا تزوج امرأة ، وكان له ابن من غيرها ولها بنت من غيره ، ففجـر الغـلام بالجاريـة ، وظهر بها حمل ، فلما قدم عمر مكة رفعا فسألهما فاعترفا ، فجلدهما الحد ، وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام[6][7] .

الترجيح

الـراجح عـندي – والله أعلم – في هذه المسألة مبني– ولا شك– على ما سبق من ترجـيح فـي المسالة السابقة، ذلك أني رجحت هناك حرمة عقد الزاني على مزنيته قبل استبرائها، ومن ثم فالراجح هنا عدم جواز أن يطأ الزاني مزنيته قبل استبرائها، حتى ولو عقد عليها، إذا كان العقد غير صحيح، وعقد النكاح غير الصحيح لا يفيد حل الاستمتاع.

الفرع الثالث: بم يكون استبراء الزانية

تقـدم أن المالكـية والحـنابلة يشترطون لحل عقد الزاني على مزنيته أن يستبرئ رحمهـا؛ لكـن بم يكون هذا الاستبراء ، أيكون باعتدادها بثلاث حيض؟ أم يكون بظهور براءة رحمها بحيضة واحدة؟

---

١ – انظر: شرح العناية ٣٨٤/٢ ، البناية ٥٦٢/٤ ، تبين الحقائق ١١٤/٢.

٢ – انظر: الحاوي ٢٦١/١١ ، حلية العلماء ٣٧٨/٦ – ٣٧٩ .

٣ – انظر: المراجع السابقة .

٤ – تقدم تخريجه .

٥ – انظر: الحاوي ٢٦٢/١١ .

٦ – تقدم تخريجه .

٧ – انظر: الحاوي ٢٦٢/١١ .

إن المالكـية[١] ، والحـنابلة[٢] ، متفقون على أن الزانية إن كانت حاملاً فاستبراؤها بوضع الحمل ، أما إن لم يكن قد ظهر بها حمل فإن في ذلك القولين التاليين :-

القـول الأول : إنهـا تعتد كما تعتد المطلقة بثلاث حيض إن كانت تحيض ، وإن لم تكـن مـن ذوات الأقـراء فبـثلاثة أشـهر ، وبه قال المالكية[٣] ، وأحمد في رواية هي المذهـب[٤] ، مسـتدلين بأن الوطء في الزنا يضارع الوطء في النكاح الصحيح من حيث شغل الرحم ، فكان مثله في مقدار العدة[٥] .

القـول الثانـي : إنها تستبرأ بحيضة واحدة وهو رواية عن أحمد[٦]، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٧][٨] -رحمهما الله تعالى – استدلالاً بما يلي :

١ - قياس الزانية في الاستبراء على الأمة المستبرأة من سيدها ، وهذه تستبرأ بحيضة فكذا الزانية لانعدام الفارق[٩] .
٢ - قـياس الزانية من حيث استبرائها على المختلعة ، وهذه تستبرأ بحيضة فكذا تلك، لأن المقصود من استبراء كل منهما معرفة براءة رحمها[١٠] .

---

١ – انظر: التفريع ١٢٢/٢ ، الإشراف ٧٠١/٢ – ٧٠٢ ، القوانين الفقهية ١٥٩ ، التاج والإكليل ١٦٧/٤ .
٢ – انظر: المغني ٥٦٣/٩ – ٥٦٤ ، الشرح الكبير ١٠٠/٢٤ ، شرح منتهى الإرادات ١٢١٣/٤.
٣ – انظر: التفريع ١٢٢/٢ ، الإشراف ٧٠١/٢ – ٧٠٢ ، القوانين الفقهية ١٥٩ .
٤ – انظر: المغني ٥٦٣/٩ – ٥٦٤ ، الشرح الكبير ١٠٠/٢٤ ، الإنصاف ١٠٠/٢٤ – ١٠١ .
٥ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ ، الشرح الكبير ١٠١/٢٤ .
٦ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ ، الشرح الكبير ٢٤/ ١٠٠ – ١٠١ ، الإنصاف ١٠١/٢٤ .
٧ – انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٠/٣٢ .
٨ – هو : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، بن عبدالله الحراني الدمشقي ، الإمام الفقيه المجتهد المفسر الأصولي المجاهد ، تقي الدين أبو العباس ، صاحب التصانيف الكثيرة ، توفي ٧٢٨ ، انظر: طبقات الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٩٦ ، ذيل طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢ .
٩ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ ، فتاوى شيخ الإسلام ١١٠/٣٢ .
١٠ – انظر: المرجع السابق ١١٠/٣٢ – ١١١ .

المناقشة والترجيح

إن القوليـــن لم يستندا إلى نص في الموضوع ، وإنما هي تعليلات وأقيسة. غير أن مســـتند القـــول الأول تمكن مناقشته بأن العدة من الطلاق ليس المقصود منها فقط مجرد معـــرفة براءة رحم المطلقة ، بل أيضا إيجاد مهلة للتروي والتفكير لعل الزوجين يعاودان علاقتهما الزوجية ، فاقتضى ذلك مزيد وقت .

ومـــن هـــنا فلعل الراجح القول الثاني وهو أن الزانية تستبرأ بحيضة واحدة ، وذلك لأن الحيضـــة كفيلة بإظهاربراءة رحمها ، وهذا المقصود، وليس ثمة مقصود آخر ، والله أعلم .

المطلب الثالث: تـــوبـــــة الزانيـــــة

وفيه فرعان :

الفرع الأول : حكم نكاح الرجل مزنيته قبل توبتها .

الفرع الثاني: كيفية توبة الزانية .

الفرع الأول : نكاح الرجل مزنيته قبل توبتها

تقـــدم أن المذاهـــب الأربعـــة مـــتفقة على حل نكاح الزانية[1] ، وتقدم أن الحنفية والشـــافعية لا يشـــترطون استبراءها بخلاف المالكية ، والحنابلة ، لكن هل تشترط توبتها لحل عقد الذي زنى بها عليها؟.

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القـــول الأول : إن توبـــتها لا تشترط لحل عقد الزاني بها عليها ، وبه قال الحنفية، والمالكية[2] ، والشافعية[3] ، مستدلين بما يلي:

١ – انظر ص ١٥ من البحث .

٢ – انظر: المعونة ٧٩٥/٢ ، الإشراف ٧٠١/٢ – ٧٠٢ ، الناسخ والمنسوخ ٣١١/٢ ، القوانين الفقهية ١٤٠.

٣ – انظر: الأم ٢١/٥ ، الحاوي ٢٥٦/١١ ، حلية العلماء ٣٧٨/٦ – ٣٧٩ .

١ - ما روي أن رجلا تزوج امرأة وكان له ابن من غيرها ، ولها بنت من غيره، ففجر الغلام بالجارية، وظهر بها حمل ، فلما قدم عمر مكة رفعا إليه، فسألهما فاعترفا، فجلدهما الحد ، وحرص على أن يجمع بينهما فأبى الغلام[1] .

وجه الاستدلال أن عمر بن الخطاب -ﷺ- لم يسأل عن توبتهما، مع حرصه على الجمع بينهما ، فدل ذلك على أن توبتها ليست شرطا لحل نكاح الزاني بها إياها .

٢ - ما روي أن رجلا سأل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - عن نكاح الزانية؟ فقال : يجوز ، أرأيت لو سرق من كرم ثم ابتاعه أكان يجوز؟[2] .

وجه دلالته أن ابن عباس أباح نكاحها من غير اعتبار لتوبتها ، وقاس ذلك على ما لو سرق شخص عينا ثم ابتاعها ، فإنه يجوز له شراؤها من غير اشتراط لتوبته من سرقته له .

القول الثاني : إن الزاني لا يحل له العقد على مزنيته قبل توبتها ، وبه قال الحنابلة[3] ، مستدلين بما يلي :

١ - قوله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [4][5].

---

١ - تقدم تخريجه .

٢ - أخرجه عبدالرزاق ٢٠٣/٧ ، سعيد بن منصور في سننه ٢٢٤/١ ، ابن أبي شيبة ٢٤٨/٤ . ورجال عبدالرزاق وعبيد الله بن أبي يزيد ثقات ، انظر: تقريب التهذيب ٤٨٢/١ ، ٥٠٢/٢ .

٣ - انظر: المغني ٥٦٢/٩ ، الشرح الكبير ٣٣٧/٢٠ ، منتهى الإرادات ٩١/٤ ، شرح منتهى الإرادات ١٢١٣/٤ ، كشاف القناع عن متن الإقناع ٨٣/٥ .

٤ - سورة النور الآية ٣ .

٥ - انظر: المغني ٥٦٣/٩ .

وجــه دلالـــة الآية تصريحها بتحريم نكاح الزواني ، والزانية ما لم تتب على ذلــك يحــرم نكاحهــا ، لأنها بالتوبة تفارق وصف الزنا ، وبدونها تظل في حكم الزانية[1] .

٢ – قولـــه تعــالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَات) [2][3] . وهذا في سـياق اللواتي يحل نكاحهن و (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَات) هن العفائف[4]، فمفهومه أن نكاح غير العفيفات غير مباح[5] .

٣ – ما روي أن مرثداً الغنوي[6] دخل مكة فرأى امرأة فاجرة يقال لها عناق ، فدعته إلــى نفســها ، فلــم يجبها ، فلما قدم المدينة سأل رسول الله ﷺ فقال : أنكحُ عــناقاً؟، فلــم يجبه ، فنزل قول الله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فدعاه رسول الله ﷺ فتلا عليه الآية ، وقال "لا تنكحها"[7][8] .

وجــه دلالـــة الحديث أن النبي ﷺ نهى مرثداً عن نكاح المرأة الفاجرة، وهذا نص صريح في محل النزاع .

---

١ – انظر: المرجع السابق .

٢ – سورة المائدة من الآية ٥ .

٣ – انظر: كشاف القناع ٨٣/٥ .

٤ – الجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٥ .

٥ – انظر: المرجع السابق .

٦ – هو مرثد بن أبي مرثد واسم أبي مرثد كناز الغنوي ، شهد بدراً واستشهد في غزوة ذات الرجيع سنة ٣ ، انظر: اسد الغابة ١٤٤/٥ .

٧ – أخرجه أبو داود ٥٤٢/٢ رقم ٢٠٥١ كتاب النكاح بابا في قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾، والنسائي ٣٧٤/٦ ، رقم ٣٢٢٨ كتاب النكاح باب تزويج الزانية ، الترمذي ٣٠٧/٥ ، رقم ٣١٧٧ كتاب التفسير باب ومن سورة النور ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٢٩٦/٦ – ٢٩٧ .

٨ – انظر: المغني ٥٦٣/٩ ، الشرح الكبير ٥٦٣/٢٠.

٤- إن الزانـــية مـــا لم تتب لا يأمن ناكحها أن تبذل بضعها لغيره ، فيختلط ماؤهما ، وفي ذلك ما لا يخفى من المفاسد ، فكانت التوبة مشترطة لحل نكاحها[١] .

المناقشة والترجيح

إن مستندات القول الأول لا يعتبر أي منهما نصاً في موضوع النزاع. أما أثر عمر فلـــم يتعرض لموضوع التوبة ، ولعل عمر استتاب الفتاة ، أو أن توبتها عُلمتْ قبل رفعها إليه ، ولا دليل ينفي ذلك، ويدل لصحة هذا أن عمر رفعت إليه فتاة زنت وقد توانى وليها في تزويجها وقال عمر: أليس قد تابت؟ قال نعم ، قال فزوجها[٢] ، فهذا الأثر صريح في أن عمر يشترط التوبة.

ولو سلم عدم توبتها فتصرف عمر هذا لا يعارض حديث مرثد الغنوي.

أمـــا أثر ابن عباس فلم يتعرض للموضوع، لأن السائل لم يسأل عن شرطية توبتها لحـــل نكاحها ، وإنما سأل عن حكم نكاحها من حيث المبدأ، فأفتاه بالحل. أما شروط ذلك الحل فهي شيء آخر، ولم يتعرض لها.

وبناء على ذلك فلعل الراجح القول باشتراط توبة الزانية لحـــل نكاح الزاني بها، لما تقدم من أدلته، وهي أدلة قوية سالمة من المناقشة.

ولمـــا في هذا القول من تغليظ على الزواني، لأنهن إذا علمن أنهن لا يُنكحن إلا بعد الـــتوبة، كان ذلك داعيا لهن إليها ، بخلاف ما إذا علمن أنهن يمكن أن ينكحن دون اعتبار لتوبتهـــن، ففـــي ذلك إغراء لهن بالبقاء مصراتٍ على معصيتهن ، محتفلات لنزواتهن، غير مكترثات بدواعي الشرع إلى التوبة والصلاح. والله أعلم .

---

١ – انظر: المرجعين السابقين .

٢ – أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٧٧/٣ .

الفرع الثاني: كيفية توبة الزانية

إذا كان الراجح اشتراط توبة البغي لكي يحل نكاحها للذي زنى بها فكيف تعلم توبتها عند أصحاب هذا الشرط؟ في ذلك القولان التاليان :

القـــول الأول: أن يدعوهـــا الزانـــي بها إلى الزنا ، فإن أجابت علم أنها لم تتب ، وإن امتنعت ظهرت توبتها بذلك، وبه قال أحمد[1] ، وهذا المذهب[2] ، لأنها بدون هذا الامتحان لا يتأكد من صحة دعواها التوبة.

القـــول الثانـــي: إن توبتها كالتوبة من سائر الذنوب، وهي الاستغفار والندم، والإقلاع عن الذنب ، وبه قال بعض الحنابلة[3] .

ومســـتند هـــذا القول إن هذا هو المعلوم في التوبة من كل الذنوب ، والزنا ذنب من الذنـــوب ، فكانـــت التوبة منه كالتوبة من سائر الذنوب ، ولأن القول الأول يستدعي خلوة الرجل بها وذلك محرم[4] ، لقول رسول الله -ﷺ- في حديث ابن عباس : "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم" فقام رجل فقال يا رسول الله إنـــي كنـــت في غزوة كذا وانطلقت امرأتي حاجة فقال النبي -ﷺ- انطلق فاحجج مع امرأتك"[5] .

كمـــا أنـــه قد ينجم عنه أن يفتنها وتفتنه فيقعا في الجريمة مرة أخرى، وسد الذرائع المفضية إلى الشرور من أصول شريعتنا، وهذا القول هو الراجح عندي لما سبق من مستندات .

---

١ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ ، كشاف القناع ٨٣/٥ .

٢ – انظر: الإنصاف ٣٣٩/٢٠ – ٣٤٠ .

٣ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ ، الشرح الكبير ٣٣٨/٢٠ ، الإنصاف ٣٣٩/٢٠ – ٣٤٠ ، كشاف القناع ٨٣/٥ .

٤ – انظر: المغني ٥٦٤/٩ .

٥ – أخرجه البخاري رقم ٣٠٠٩ كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل ومســـلم ١٨٧٢/٤ رقم ٢٤٠٦/٣٤ كتاب فضائل الصحابة .

المبحث الثاني: نكاح الزانية غير الزاني بها

وفيه مطالب:

المطلب الأول : نكاح الزانية غير الزاني بها .

المطلب الثاني: استبراء الزانية لنكاح غير الزاني بها .

المطلب الثالث: توبة الزانية لنكاح غير الزاني بها .

المطلب الأول : نكاح الزانية غير الزاني بها

تقـــدم أن المذاهب الأربعة متفقون على أن للزاني أن ينكح التي بغى بها ، وأن من العلماء من منع ذلك .

ونفس هذا الخلاف ينسحب على مسألتنا هذه. فالذين منعوا الزاني من نكاح من زنا بهـــا منعوا غيره كذلك من نكاحها، والذين أباحوا للزاني التزوج بمن زنا بها أباحوا لغيره كذلك التزوج بها.

أما مستندات الفريقين هنا فهي نفس مستنداتهم هناك.

والـــذي يـــترجح فـــي هـــذه المسألة هو حل نكاح الرجل مزنية غيره، لما تقدم من مـــرجحات لحل نكاح الرجل مزنيته، بل حل نكاح الزانية لغير من زنى بها أولى وأظهر، بشـــرط توبتها واستبرائها، لما في منع البغي من التزوج بالذي زنى بها وبغيره من إغراء لهـــا بالـــبقاء على البغاء، وامتهان السفاح، بل وتكوين عصابة لبنات الهوى، يصرن بؤرة إغواء للطامعين، وإغراء للغافلين، وسد الذرائع من أصول شريعتنا الإسلامية. والله أعلم.

المطلب الثاني: استبراء الزانية لنكاح غير الزاني بها

إن اســـتبراء الزانية لحل نكاح الزاني بها لها تقدم الحديث عن حكمه. أما استبراؤها لحـــل تـــزوج غـــيره بها فإن الحنفية والشافعية لا يشترطونه، بخلاف المالكية والحنابلة

فيشترطونه، ومستندات الجميع هي ذات مستنداتهم في مسألة اشتراط استبراء الزانية ليحل للذي تعاطى معها جريمة البغاء نكاحها .

وتقدم- عند بحث هذه المسالة- أن الراجح هو اشتراط استبراء الحامل ليحل للزاني بها نكاحها ، وكذلك فإن الراجح أن لابد من استبراء رحم البغي ليحل لغير الذي بغى بها نكاحها ، وذلك لما تقدم هناك من مرجحات ، بل الرجحان هنا أظهر، لأن الماء ليس ماءه، فكان لابد من حفظ مائه من أن يختلط بماء غيره .

وربما يعترض على هذا بأن ماء الأول لا حرمة له، لأنه وقع في غير موقعه، ولكونه معتد لحدود الله في إراقته في رحم من لا تحل له[1] .

ولكن هذا الاعتراض يُدحض بأن ماء الأول لا حرمة له فعلاً، ولكن الحفظ ليس له وإنما هو لماء الناكح الشرعي الجديد ، فلابد أن يحفظ الماء المحترَم من أن يمتزج بماء الزاني غير المحترَم[2] .

المطلب الثالث: توبة الزانية لنكاح غير الزاني بها

تقدم أن جمهور العلماء لا يشترطون توبة الزانية ليحل للذي زنى بها نكاحها، وأن الحنابلة يشترطون ذلك .

أما اشتراط توبتها ليشرع لغير من فعل معها الزنا أن ينكحها فإن فيه الخلاف السابق في توبة الزانية لحل نكاح الزاني بها. فالجمهور لا يشترط توبتها، والحنابلة يشترطونها، وأدلة كلا الفريقين هي نفس أدلتهم في مسألة اشتراط توبة الزانية ليحل للذي زنى بها نكاحها .

---

١ – انظر: العناية ٣٨٣/٢ – ٣٨٤ .

٢ – انظر: فتاوى ابن تيمية ١١٧/٣٢ – ١١٨ .

والراجح هنا هو اشتراط توبة الزانية من الزنا ليحل لغير الزاني بها نكاحها، وذلك لمــا تقدم من مرجحات لاشتراط توبتها في مسألة نكاح الزاني بها، ولأن العرب تستعظم أن تكــون امرأة الرجل بغياً، ولذلك فإن شنيع الشتم عندهم الشتم ببغاء الزوجة ، فكان من قولهــم شتم فلان فلاناً بالزاي والقاف إذا بالغ في شتمه وقال له : يا زوج القحبة[1]، ولأن الله تعــالى قــال فــي المحلــلات: (وَمَــنْ لَــمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِــنَاتِ)[2]، والزوانــي المقــيمات علــى زناهــن لسن محصنات، لأن المحصنة هي العفيفة[3] .

ولأنــه سبحانه قال عن نكاح الأحرار الإماء: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَــنَاتِ الْمُؤْمِــنَاتِ فَمِــنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُــكُمْ مِــنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَــافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) [4] ، فقد شرط لنكاح الأمة أن تكون محصنة عفيفة غير مســافحة ولا متخذة خدن ، والمسافحة هي الزانية التي تسفح ماءها مع هذا وذاك، وجاء هــذا الشرط مذكوراً في نكاح الإماء دون نكاح الحرة لما كان معلوماً عند العرب من أن الحرة لا تزني ، وأن الإماء هن المعروفات بالزنا عادة[5]، فإذا كان نكاح الأمة من شرطه أن تكــون عفيفة غير مسافحة ولا بغي كان ذلك في الحرة أولى وأحرى ، لما كان معلقاً بهــا مــن عفاف وصيانة حتى في أيام الجاهلية ، ومن لم تتب من زناها ليست عفيفة ولا محصــنة ، بــل هي بغي سافرة لا يمكن أن يعقلها الزوج عن بغاها مهما راقب وواظب، ومهمــا تــابع واحتاط ، لما لهن من حيل، وقدرة على استمالة قلوب ذوي العقول، وتمكن من غلبة ذي اللب العاقل. والله تعالى أعلم .

---

١ – انظر: فتاوى ابن تيمية ١١٧/٣٢ .

٢ – سورة النساء من الآية ٢٥ .

٣ – انظر: فتاوى ابن تيمية ١٢١/٣٢ – ١٢٢ .

٤ – سورة النساء من الآية ٢٥ .

٥ – انظر: فتاوى ابن تيمية ١٢٢/٣٢.

المبحث الثالث: زنـــــا الـــزوجـــــــة

وفيه مطلب واحد: أثر زنا الزوجة على بقاء العصمة.

أثر زنا الزوجة على بقاء العصمة

إذا زنت زوجة الرجل فهل يعتبر زناها موجبا لفراقها؟ .

اختلف أهل العلم في ذلك على القولين التاليين:

القول الأول : إن زنا الزوجة يوجب الفرقة بينها وبين زوجها ، وبه قال علي[1] -ﷺ- والحسن البصري[2] ، استدلالاً بالتالي :

١ - ما روي أن عليا -ﷺ- فرق بين رجل وامرأته لما زنى قبل دخوله بها[3] .

وجــه الدلالــة قياس زنى المرأة في إيجابه الفرقة على زنى الزوج، بجامع اقتراف جريمة الزنا في حال العصمة[4] .

٢ - إن ملاعــنة الزوج زوجته توجب الفرقة بينهما لتحقيقه الزنا عليها، فدل ذلك على أن اقترافها للزنا موجب للفرقة[5] .

القــول الثاني : إن زنا الزوجة لا يوجب فرقة ، وبه قال الحنفية[6]، والمالكية[7] ، والشافعية[8] ، والحنابلة[9] ، مستدلين بما يلي :

---

١ - أخرجه البيهقي ٢٥٢/٧ رقم ١٣٨٨٢ كتاب النكاح باب ما يستدل به على قصر الآية فيما نزلت فيه . وفي سنده أبو نصر بن قتادة لم أجده .

٢ - انظر: الحاوي ٢٥٩/١١ ، المغني ٥٦٥/٩ .

٣ - تقدم تخريجه .

٤ - انظر: المغني ٥٦٥/٩ .

٥ - انظر: المرجع السابق .

٦ - انظر: أحكام القرآن للجصاص ١٠٨/٥ ، حاشية ابن عابدين ٥٠/٣ .

٧ - انظر: التاج والإكليل ٤١٨/٣ ، شرح الخرشي ١٧٢/٣ ، حاشية العدوي عليه ١٧٢/٣ .

٨ - انظر: الحاوي ٢٥٩/١١ .

٩ - انظر: المغني ٥٦٥/٩ ، الشرح الكبير ٣٤١/٢٠ .

١ – حديث عائشة – رضي الله عنها – أن النبي -ﷺ- قال : "لا يحرم الحرام الحلال"[١][٢] .

وجه دلالته أن زنى المرأة حرام، وبقاء الزوجين على الزوجية مندوب أو مباح، فلو حرم بالزنا لكان الحرام حرم الحلال ، وذلك خلاف لنص الحديث .

٢ – إن زنى الزوجة معصية من المعاصي فلم يكن موجباً للفرقة كالسرقة وغيرها من المعاصي[٣] .

٣ – إن ادعاء الرجل زنا زوجته لا يبينها ، ولو كان نكاحها ينفسخ بالزنا لانفسخ بمجرد دعوى الرجل زنا زوجته كالرضاع[٤] .

المناقشة والترجيح

أما أثر علي -ﷺ- أنه فرق بين الرجل وامرأته بسبب زناه قبل الدخول بها فيمكن حمله على أن الرجل غَرَّ المرأة من نفسه بإظهار نفسه عفيفاً نقياً فبان بخلاف ذلك .

وأما إلحاقهم ثبوت الزنا باللعان في إيجاب الفرقة بين الزوجين فهو قياس مع الفارق، مع فساد الاعتبار .

أما الفارق فهو أن فرقة اللعان جاءت بعد أيمان مؤكدات، قد تعز بعدها الحياة الزوجية المستقيمة ، بخلاف مجرد الزنا فلا أيمان فيه.

أما فساد الاعتبار فلأن النبي -ﷺ- لم يقل للمتلاعنين إن نكاحكما انفسخ بمجرد الزنا ، بل لم تقع الفرقة حتى فرق النبي -ﷺ- بينهما بعد تمام اللعان[٥] .

---

١ – تقدم تخريجه .

٢ – انظر: الحاوي ٢٥٩/١١ .

٣ – انظر: المغني ٥٦٥/٩ .

٤ – انظر: المرجع السابق .

٥ – أخرجه البخاري ص٩٢٠ – ٩٢١ رقم ٤٧٤٨ كتاب التفسير باب " الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين" ، ومسلم ١١٣٢/٢ – ١١٣٣ رقم ١٤٩٤/٨ كتاب اللعان .

ومن هنا فالراجح هو القول الثاني القاضي بأن نكاح الزوجة لا يرتب انفساخ النكاح، لما تقدم من أدلة، وللإجابة عن مستندات القول الآخر.

إلا أن الأولى لمن علم من امرأته زنا أن يفارقها ندبا كما يقول المالكية[١] ، وذلك لما في الإبقاء على نكاحها من تعريض لفراشه للدنس ولمائه للاختلاط بماء غيره وهو لا يدري ، ولأن زناها يدنس عرضه، ويثير حول بيته وشرفه لغط الناس ، فضلا عن تعريضه نشأه لفساد الأخلاق ورذالة الطباع لما يبدر من أمهم من ذلك ، وبهذا قال أحمد بن حنبل في الشرح الكبير[٢]: "ولكن أحمد استحب مفارقة امرأته إذا زنت، وقال: "أرى ألاّ يمسك مثل هذه لأنه لا يؤمن أن تفسد فراشه وتلحق به ولدًا ليس منه"، وبذلك قال الحنفية[٣] أيضا . والله أعلم .

الخاتمة

إن جريمة الزنا من الجرائم الشنيعة التي رتب الله- سبحانه وتعالى- عليها الحدَّ تطهيراً لمقترفها ، وزجراً له عن المعاودة إليها، وردعاً لغيره عن الإقدام عليها .

كما أنه- سبحانه وتعالى- رتب عليها أحكاماً أخرى عديدة ، منها أن الزانية- وإن استحقت الحد- لا تمنع من الزواج بإطلاق، بل يقيد ذلك الإطلاق تأديبا لها، فيحرم نكاح الزانية حتى يتم استبراؤها وتوبتها على الراجح، وأن الاستبراء يتم بالحيضة الواحدة، لأنها منبئة عن خلو الرحم وفراغه مما علق به من الزنى ، وأنه يشترط توبتها حتى يأمن الزوج الجديد عودتها إلى الزنا ، وأن توبتها تكون بالاستغفار والإقلاع عن الذنب.

هذا من حيث تأثير الزنى إجمالاً على المستقبل الاجتماعي للزانية. أما من حيث تأثيره على علاقتها الاجتماعية الأسرية الحالية فإن من أهل العلم من اعتبر اقتراف المرأة للزنى مفسداً لنكاحها الحالي ، غير أن الجمهور – وهذا الراجح – لا يعتبرونه سببا من

---

١ – انظر: التاج والإكليل ٤١٨/٣ ، شرح الخرشي على خليل ١٧٢/٣ ، حاشية العدوي عليه ١٧٢/٣ .

٢ – لابن قدامة ٣٤٢/٢٠ .

٣ – انظر: حاشية ابن عابدين ٥٠/٣ .

أســباب انفصـــام عــروة النكاح ، وإن استحب كثير من العلماء للزوج مفارقة زوجته إن زنت، حفظا لفراشه من التلوث، وصيانة لمائه من الاختلاط بماء غيره ، وتنزيها لأخلاق ذريته عن الرذائل.

وفـــي الختام: أسأل الله تعالى أن يعصمنا وجميع المسلمين من كل سوء، وأن يعيننا علـــى تجنـــب المحرمات، حتى تغيب كل صور الدنس الخلقي من واقعنا، تزكية لنفوسنا، وتطهيراً لسلوكنا، وصيانة لذرياتنا، والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

- الإجماع لمحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، دار الثقافة ، الدوحة .
- الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ، البابي الحلبي وأولاده.
- أحكام القرآن لأحمد بن علي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، مراجعة محمد عبدالقادر عطا الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي - بيروت .
- أساس البلاغة لمحمود بن عمر الزمخشري ، طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار صادر - بيروت. الإشراف على نكت مسائل الخلاف لعبدالوهاب البغدادي خدمة الحبيب ابن الطاهر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، دار ابن حزم .
- أصول الفقه الإسلامي ، الدكتور وهبه الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
- الأم لمحمد بن إدريس الشافعي ، تعليق محمود مطرجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي بن سليمان المرداوي ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار هجر - مصر .
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- البناية في شرح الهداية لمحمود بن أحمد العيني ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، المكتبة التجارية - مكة .

- التاج والإكليل لمختصر خليل لمحمد بن يوسف العبدري المعروف بالمواق، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار الفكر .
- تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي - الكتاب العربي - بيروت.
- التبصرة في أصول الفقه . لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز أبادي ، حققه الدكتور محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، تصوير ١٤٠٢ .
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي الزيلعي ، الطبعة الثانية معادة بالأوفست عن الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ ، دار الكتاب الإسلامي.
- التعليق المغني على الدارقطني لمحمد شمس الحق آبادي مطبوع بهامش سنن الدارقطني .
- التفريع لعبيد الله بن الحسين بن الجلاب ، دراسة وتحقيق حسين بن سالم الدهماني ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الغرب الإسلامي - بيروت .
- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق خليل مأمون شيخا ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصحيح وتنسيق عبدالله هاشم اليماني المدني ، شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، تحقيق : محمد شاكر ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي ، دار الفكر .
- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، محمد عرفه الدسوقي ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- حاشية ابن عابدين لمحمد أمين الشهير بابن عابدين ، المكتبة التجارية ، مكة .
- حاشية العدوي على شرح الخرشي لعلي العدوي ، مطبوع بهامش شرح الخرشي على مختصر خليل .
- الحاوي لعلي بن محمد الماوردي ، تحقيق محمود مطرجي وآخرين ، المكتبة التجارية - مكة.
- حلية العلماء في معرفة مذاهب العلماء لمحمد بن أحمد الشاسي القفال ، تحقيق ياسين أحمد دراكه، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، مكتبة الرسالة الحديثة - الأردن - عمان .

– الذيل على طبقات الحنابلة لعبدالرحمن بن أحمد البغدادي المعروف بابن رجب ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.
– روضة الطالبين وعون المفتين للإمام النووي ، إشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .
– سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي .
– سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، عالم الكتب – بيروت .
– سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني ، إعداد وتعليق عزت عبيد دعاس ، دار الحديث – حمص – سوريا .
– السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية – بيروت.
– السنن لسعيد بن منصور الخراساني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م ، دار السلفية بومباي – الهند .
– سنن ابن ماجة لمحمد بن زيد ابن ماجة القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتب العلمية – بيروت .
– شرح الخرشي على مختصر خليل للخرشي ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .
– شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرتي ، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر .
– الشرح الكبير لعبدالرحمن بن محمد ابن قدامة المقدسي ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، دار هجر – مصر .
– شرح مختصر الروضة ، نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم ابن سعيد الطوفي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ .
– شرح منتهى الإرادات لمنصور بن إدريس البهوتي . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة .

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ، المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٤٩هـ .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل حماد الجوهري ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار القلم للملايين .
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، عناية أبي صهيب الكزي ، طبعة ١٤١٩هت -١٩٩٨م ، بيت الأفكار الدولي للنشر والتوزيع - الرياض .
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، دار الحديث - القاهرة .
- طبقات الحفاظ لمحمد بن أحمد البغدادي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .
- العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل لعبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- فتاوى ابن تيمية لأحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .
- فتاوى النوازل في الفقه الحنفي لأبي الليث السمرقندي ، الطبعة الأولى ١٣٥٥هـ ، مطبعة شمس الإسلامية حيدر آباد الدكن .
- فتح القدير لمحمد بن عبدالواحد المعروف بابن الهمام ، الطبعة الأولى ١٣١٥هـ دار صادر - بيروت .
- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، طبعة ١٣٩٨هـ - دار الفكر - لبنان .
- القوانين الفقهية لمحمد بن جزي ، المكتبة الثقافية - بيروت .
- كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، عالم الكتب .
- لسان العرب المحيط لمحمد بن مكرم بن منظور ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ، دار لسان العرب - بيروت .
- المبدع في شرح المقنع لإبراهيم بن محمد بن مفلح ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، المكتب الإسلامي .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبدالحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق السيد عبدالعال

السيد إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر .
- المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لمجد الدين أبي البركات، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ، مكتبة المعارف - الرياض .
- مختصر اختلاف العلماء لأحمد بن علي الجصاص ، دراسة وتحقيق عبدالله نذير أحمد ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، دار البشائر الإسلامية .
- مختصر الطحاوي لأحمد بن محمد الطحاوي ، تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، طبعة ١٣٧٠ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- مسند أحمد بن حنبل ، ترقيم محمد عبدالسلام الشافي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- المصنف في الأحاديث والآثار لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق مختار أحمد الندوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الدرر السلفية - الهند .
- المصنف لعبدالرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق عبدالرحمن الأعظمي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، المكتب الإسلامي - بيروت .
- المعتمد في أصول فقه الإمام أحمد لعلي عبدالحميد بلطه جي ومحمد وهبي سليمان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، دار الخير - بيروت .
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وشركاه بمصر .
- المعونة على مذهب عالم المدينة لعبدالوهاب البغدادي ، تحقيق حميش عبدالحق ، مكتبة نزار الباز - مكة .
- المغني لعبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، عبدالفتاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، دار هجر - مصر .

- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول لمحمد بن أحمد المالكي التلمساني ٧١٠ – ٧٧١هـ، حققه عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
- منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات ، لتقي الدين محمد ابن أحمد الفتوحي الحنبلي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- المنهاج ليحيى بن شرف النووي ، مطبوع مع نهاية المحتاج .
- المهذب في فقه الإمام الشافعي لإبراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق محمد وهبة الزحيلي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية – بيروت .
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لأحمد بن حمزة ابن شهاب الرملي ، دار الفكر ، الطبعة الأخيرة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق عبدالكبير العلوي المدغري ، طبعة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، مصطفى محمد الهواري ، طبعة جديدة لعام ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، مكتبة القاهرة – مصر .
- الواضح في أصول الفقه ، لعلي بن عقيل بن عقيل ، تحقيق الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، مؤسسة الرسالة .

العلاقة بين الوعي بالسلامة ووسائل الإعلام

دراسة ميدانية على الرياض وجدة والدمام

إعداد

الدكتور/ عبدالله بن محمد بن سعد آل تويم

الأستاذ المساعد في قسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض – المملكة العربية السعودية

ملخص الدراسة

تقيس هذه الدراسة مستوى الوعي العام بالسلامة بجوانبه الثلاثة؛ الوعي المعرفي، والوجداني، والعملي، ثم تدرس علاقة الوعي بالتعرض لوسائل الإعلام. وقد اتبع الباحث فيها المنهج الوصفي الذي يقوم على المسح الميداني عن طريق الاستجابة لاستبانات الدراسة التي وزعت على أفراد العينة (٧٥٠ مفردة) في الرياض وجدة والدمام.

قاس الباحث مستوى الوعي بالسلامة لدى عينة الدراسة من خلال إجاباتهم عن تسع عشرة فقرة تتعلق بالمعلومات حول السلامة، والاتجاهات نحو قواعد السلامة وإجراءاتها، وتقدر نسبة الوعي بالسلامة لدى أفراد العينة بحوالي (٧٦,٢%)، وهي أعلى بقليل من النسبة التي جعلها الباحث حداً أدنى لقبول الوعي.

وقد أظهرت النتائج وجود علاقة طردية بين مستوى الوعي بالسلامة والتعرض لوسائل الإعلام، بمعنى أن الذين يتعرضون للرسائل الاتصالية يتعلمون معلومات مهمة ذات صلة بالوعي بالسلامة، وقد انعكست تلك المعلومات والمعارف على أنماط السلوك الذي يمارسونه.

وعلى الرغم من محدودية تعرض أفراد العينة لوسائل الإعلام السعودية وإصدارات الدفاع المدني للتوعية بالسلامة، إلا أن لها تأثيراً إيجابياً في زيادة مستوى الوعي، وهو ما يؤكد الحاجة إلى تكثيف الرسائل الاتصالية ذات المضمون التوعوي بالسلامة، ويؤكد في الوقت نفسه ضرورة العناية بإعداد تلك الرسائل في شكل جذاب وأسلوب مبدع يستقطب الجمهور ويشده لمتابعة مضمونه.

الجزء الأول: المدخل المنهجي

مقدمة

بلغت حوادث الحريق التي باشرها الدفاع المدني عام ١٤٢٠هـ أكثر من (٢٠٦٠٠) حادث، بمعدل (٥٦) حريقا تقريبا كل يوم، وقُدِّرت خسائرها المادية بأكثر من (٨٣) مليون ريال، وراح ضحيتها (٢٧٨) متوفياً، وأكثر من (١٤٠٠) مصاب، وتعود (٢٨%) من هذه الحوادث إلى تماس الكهرباء، و(٢٧%) إلى عبث الأطفال، و(٣,٦%) إلى تسرب الغاز واشتعال المواقد، و(٧,٥%) إلى الإهمال ونقص الوعي. وبلغت عمليات الإنقاذ التي قام بها الدفاع المدني في العام نفسه أكثر من (٥٤٠٠) عملية، توفي فيها (١٣٧٠) شخصا، وأصيب أكثر من (٣٧٤٠) شخصا، وقُدِّرت خسائرها المادية بأكثر من ستة ملايين ريال، ويمثل الاحتجاز داخل الغرف أكثر من (٣١%) من هذه الحوادث. وعدد الحرائق والوفيات والخسائر المادية وعمليات الإنقاذ في عام ١٤٢٠هـ أكثر من

عدد الحرائق والوفيات وعمليات الإنقاذ التي حدثت في العام الذي قبله.(الكتاب الإحصائي لوزارة الداخلية، ١٤٢٠هـ).

وتدل هذه الأرقام على وجود مشكلة حقيقية، تتمثل في ارتفاع نسبة الخسائر المادية والبشرية الناتجة عن الحوادث المدنية، وفي محاولة جادة لتقليل تلك الخسائر بدأت المديرية العامة للدفاع المدني في شهر صفر ١٤٢٣هـ تنفيذ حملة إعلامية شاملة لمدة عام تهدف إلى "نشر ثقافة السلامة بين المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية لرفع مستوى الوعي العام والتأثير في سلوكيات الجمهور للتصرف وفقا لقواعد السلامة." (اللجنة الإعلامية ١٤٢١هـ :٥)

وتُعنى هذه الدراسة بقياس مستوى الوعي العام بالسلامة وتقدم نماذج لبعض سلوكيات السلامة التي يمارسها أفراد المجتمع السعودي في الحياة العامة والحالات الطارئة، وتتعرف على بعض المعلومات المهمة لدى الجمهور عن الدفاع المدني.

مشكلة الدراسة: تتحدد مشكلة هذه الدراسة في إجابة السؤال التالي:

ما واقع الوعي بالسلامة لدى عينة الدراسة وما علاقته بوسائل الإعلام؟

وتتطلب الإجابة عن هذا السؤال الحصول على إجابات الأسئلة الفرعية التالية:

- ما المقصود بالوعي بالسلامة ؟
- هل لدى أفراد العينة وعي بالسلامة ذو درجة مقبولة؟
- هل يختلف الوعي بالسلامة تبعا للسمات الديموغرافية لأفراد العينة؟
- هل يختلف الوعي بالسلامة تبعا لطبيعة الممارسة اليومية العادية؟
- هل يختلف مستوى الوعي تبعا لمعلومات أفراد العينة عن الدفاع المدني؟
- ما السلوك المتوقع لأفراد العينة عند وقوع بعض الحوادث المنزلية؟ وهل يختلف مستوى الوعي بالسلامة تبعا لهذا السلوك؟
- ما العلاقة بين الوعي بالسلامة والتعرض لوسائل الإعلام؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها أول دراسة علمية – حسب علم الباحث – تقيس مستوى الوعي بالسلامة المنزلية في المجتمع السعودي بجوانبه الثلاثة ؛ الوعي المعرفي وهو الثراء المعرفي لدى المبحوثين، والجانب الوجداني وهو تكوين الاتجاهات والميول نحو السلامة ومكوناتها، والجانب الثالث وهو الممارسة أو السلوك أو الجانب العملي والتطبيقي، ومثل هذا النوع من الدراسات يساعد في قياس مستوى نجاح حملات التوعية العامة التي تستعمل وسائل الاتصال الجماهيري لزيادة مستوى الوعي لدى الجمهور المستهدف أو فشلها.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحديد مفهوم الوعي بالسلامة المنزلية.
٢. التعرف على مستوى الوعي بالسلامة المنزلية لدى أفراد العينة، وعلاقة هذا الوعي بمتغيرات الدراسة.
٣. التعرف على بعض الممارسات اليومية ذات الصلة بالسلامة.
٤. التعرف على مستوى المعلومات العامة لدى أفراد العينة عن الدفاع المدني.
٥. التعرف على مستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع لأفراد العينة أثناء الحدث.
٦. التعرف على علاقة مستوى الوعي بتعرض أفراد العينة لوسائل الإعلام السعودية ومتابعتهم لبرامج التوعية التي تقدمها المديرية العامة للدفاع المدني والنشرات الإعلامية التي تصدرها.

فروض الدراسة

١ لدى أفراد العينة وعي بالسلامة المنزلية ذو درجة مقبولة.
٢ لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الوعي بالسلامة لدى أفراد العينة تعود إلى:

- السمات الديموغرافية لأفراد العينة.
- الممارسات اليومية العادية.
- مستوى معلومات أفراد العينة عن الدفاع المدني.
- السلوك المتوقع في الحالات الطارئة.

٣ هـناك علاقـة طـردية إيجابـية بين التعرض لوسائل الإعلام السعودية ومستوى الوعي بالسلامة لدى أفراد العينة.

حدود الدراسة

- اقتصرت الدراسة على المواطنين السعوديين في كل من الرياض وجدة والدمام.
- أجريت الدراسة في المدة من ٨/٢٥ إلى ١٤٢٢/١١/٢٥هـ.

الدراسات السابقة

اتضـح للباحـث- من خلال مراجعة أدبيات البحث- افتقار المكتبة السعودية إلى دراسات الجمهور المتعلقة بثقافة السلامة والحوادث المنزلية، إذ لم يجد الباحث أي دراسة تقـيس مسـتوى المعـرفة بالسـلامة أو نوع الفعل الذي يمكن أن يسلكه أفراد المجتمع السعودي عند وقوع حوادث المنازل.

ومـن أهـم الدراسات التي اطلع عليها الباحث مما له صلة غير مباشرة بموضوع البحـث الدراستان اللتان بنيت عليهما خطة الحملة الإعلامية الشاملة؛ فقد حلل (أبو زنادة وبيـت المـال، ١٤٢٢هـ) عينة منتظمة (Systematic Sample) بلغت "١٠٦٥" حادثـا من مجموع الحوادث "٢٥٦٥٢" التي باشرها الدفاع المدني عام ١٤٢٠هـ بهامش خطأ يساوي (٣%) حسب معادلة سلوفين (SLOVIN)، وذلك بهدف الكشف عن طبيعة تلك الحوادث، والاستفادة من نتائجها في إعداد الرسائل الاتصالية للحملة، وانتهت الدراسة إلى رصد عدد من النتائج المتعلقة بالتوزيع الزمني للحوادث حسب فصول السنة وأشهرها وأيـام الأسـبوع وسـاعات اليوم، والتوزيع الجغرافي لتلك الحوادث؛ إذ تبين أن منطقة

الرياض أكثر المناطق تعرضا للحوادث بنسبة (٢٣,٢%)، ثم منطقة مكة المكرمة بنسبة (١٧,١%) ثم المنطقة الشرقية بنسبة (١٥,٩%)، وعرضت الدراسة أيضا لطبيعة الحوادث التي باشرها الدفاع المدني وأنواعها. فقد أشار الباحثان إلى أن جهاز الدفاع المدني جهاز إطفاء في المقام الأول إذ تقدر حوادث الحريق بحوالي (٦٦,٩%) من مجموع حوادث العينة، في حين قدرت عمليات الإنقاذ بحوالي (٢٤,٩%)، وقد تركزت مسببات تلك الحوادث في الإهمال والركون للغير في مراقبة شؤون السلامة (٣٠,١%)، ثم الكهرباء (٢٦,٢%)، وحوادث السيارات (١٧,٧%) والغاز (٣,٨%)، وقد نتج عن تلك الحوادث ٥٩٣ إصابة منها ٢٥٨ حالة وفاة، وأرجع الباحثان ارتفاع عدد الحوادث والإصابات إلى جهل الناس بالتصرف الصحيح في مواقف الحوادث، وأكدا ضرورة تكثيف الرسائل التي توجه لتوعية الناس بالسلوك الصحيح عند وقوع الحادث.

أمّا الدراسة الثانية (بيت المال، وأبو زنادة، ١٤٢٢هـ) فقد درسا فيها آراء الجمهور حول خدمات الدفاع المدني ورجاله، وحجم انتشار الحوادث وأكثرها خطورة من وجهة نظر الجمهور، وهي دراسة وصفية استخدما فيها أسلوب المسح لجمع المعلومات، على عينة عشوائية سحبت عن طريق شبكة العلاقات الاجتماعية لتمثل مجتمع الدراسة "المواطنون السعوديون والمقيمون في المملكة"، وجمعت معلومات الدراسة عن طريق الاستبانة.

وأظهرت هذه الدراسة أن الحوادث المنزلية أكثر الحوادث التي وقعت لأفراد العينة خلال السنوات الثلاث الماضية، إذ تقدر بـ (٨٨,٣%) من مجموع تلك الحوادث، وتشمل الحوادث المنزلية احتجاز الأطفال في الغرف أو السيارات (١٧,٤%)، وحوادث الطبخ والغاز (١٦,٥%)، والحرائق (١٥,٥%) وحوادث عبث أطفال (١٢,٨%)، والغرق (٦,٦%)، وانفجار سخانات المياه (٤,١%)، والمصاعد الكهربائية (٥,٥%)، وحوادث التدفئة (٥,٣%)، والصعق الكهربائي (٤,٦%). أما النسبة المتبقية (١١,٧%) فهي لحوادث الأمطار والسيول (٩,٢%)، وانهيار المنازل (٢,٥%).

وأرجـع الباحثان أسباب هذه الحوادث إلى الإهمال في مراقبة الأطفال (٤,١٨)، والجهل بقواعـد السلامة (٤,١١)، وعدم الاهتمام بها عند تصميم المنزل (٣,٩٩)، وعدم مراعاة السلامة عـند الـتعامل مـع الكهرباء (٣,٩٨)، والتصرف الخاطئ عند وقوع الحوادث (٣,٨٨)، وتعمد فعلها (٢,٠٤).

ومـن الدراسات المتعلقة بالوعي دراسة (الشلاش، ١٤١٨هـ) التي تهدف للكشف عـن مسـتوى إدراك الأسـرة السـعودية لمخاطر حوادث الحرائق المنزلية، وبيان أثر متغـيرات المستوى التعليمي لرب الأسرة أو ربة الأسرة، والمستوى الاقتصادي، ووجود منبه الحريق، وطفاية الحريق اليدوية في المنزل، والخبرة المباشرة وغير المباشرة للأسرة في الحريق على مستوى الإدراك.

وقـد اسـتعمل الباحث الاستبانة في عملية جمع المعلومات من عينة الدراسة التي بلغت مفرداتها ٢٠٠٠ أسرة، وأظهرت نتائج تحليل التباين وجود فرق ذي دلالة إحصائية في مستوى الإدراك حسب متغيرات: "المستوى التعليمي، ووجود طفاية الحريق، والخبرة غـير المباشرة، ووجود منبه الحريق، والمستوى الاقتصادي، والخبرة المباشرة"، إذ بلغت القيمة الفائية للتباين (١٣٥,٨٠٧، ٩٧٣، ١١٧، ٠٤٠، ٩٦، ٨٦٢، ٧١، ٦٠٦، ٦٥،٧٥، ٦١) على التوالي" بدلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠).

وأجـرى (الأحمـري، ١٤١٢هـ) دراسة تطبيقية على مدينة الرياض حول أثر توعـية الجمهـور بمهام وأعمال الدفاع المدني في التقليل من الخسائر، وقد حدد مشكلته البحثـية في بيان العلاقة بين توعية الجمهور بمهام وأعمال الدفاع المدني وحجم الخسائر البشرية والمادية الناتجة من حوادث الحريق المنزلية، وبنى دراسته على فرضية بديلة هي أنـه "توجـد علاقة بين عدم وعي الجمهور بقواعد وإجراءات السلامة من المخاطر وبين زيـادة حجـم الخسـائر البشـرية والمادية الناتجة عن وقوع الحوادث والكوارث بكافة أشـكالها"، ومجتمع البحث في هذه الدراسة أصحاب الأسر الذين وقعت لهم حوادث حريق فـي منازلهم عام ١٤١٠هـ في مدينة الرياض، واختار (١٠%) من الذين تقدر خسائرهم

المادية في الحريق بأقل من عشرة آلاف ريال وهم (٨٠) مفردة، و(١٠%) من الذين تزيد خسائرهم المادية في الحريق عن عشرة آلاف ريال، ثم زاد عدد هؤلاء إلى (٨٠) مفردة.

وأشار في مقدمة بحثه إلى أنه قاس الوعي من خلال المقاييس التالية:

- ١٢فقرة لقياس درجة موافقة المبحوث على خطورة بعض الأشياء في المنزل.
- ١٠ فقرات لقياس أهمية توفر بعض أدوات السلامة، والتصرفات المطلوبة في كثير من الأحيان، ومهام الدفاع المدني.
- ٦ فقرات لقياس أهمية القيام بالأعمال الضرورية عند نشوب الحريق.
- أسباب زيادة الخسائر المادية والبشرية في الحريق بشكل عام.
- طرق ووسائل الوقاية للتقليل من الخسائر.
- معرفة المبحوث للأعمال والمهام التي ينبغي عليه القيام بها في الوقت الحاضر.
- معرفة المبحوث للأعمال التي يجب على الدفاع المدني أن يقوم بها.
- تقدير المبحوث لدرجة وعيه بمهام وأعمال الدفاع المدني.

وانتهى "الأحمري" إلى وجود علاقة عكسية بين وعي الجمهور بقواعد وإجراءات السلامة من المخاطر، والخسائر البشرية والمادية الناتجة عن وقوع الحوادث؛ ومعنى ذلك أن زيادة الوعي تقلل الخسائر، ونقص الوعي يزيد الخسائر، وأكَّد أن للتوعية بمهام الدفاع المدني وأعماله أثراً كبيرا في التقليل من الخسائر المادية والبشرية الناتجة عن الحوادث والكوارث، وفي الوقت نفسه وصف التوعية الإعلامية بمهام وأعمال الدفاع المدني وقلة الإرشادات والتعليمات التي توجه للسكان بالضعف.

وعلى الرغم من أهمية موضوع "الأحمري" إلا أن الباحث هنا يسجل عددا من الملحوظات:

- بُنِيت النتيجة الخاصة بضعف التوعية الإعلامية على تقديرات المبحوثين ولم تُبْنَ على نتائج تحليل المضمون أو مسحٍ للرسائل الاتصالية.

- لـــم يحـــدد "الأحمري" مستوى أو درجة الوعي عند كلتا الفئتين من خلال المتوسط الحسابي لدرجات المقاييس الثمانية التي أشار إليها في مقدمة بحثه.
- لم يعرض "الأحمري" لنتائج العلاقة بين الخسائر المادية والبشرية ومستوى الوعي عـــند الفئتيـــن، وإنما عرَضَ التوزيعات التكرارية لمتغيرات الدراسة عند الفئتين، واســـتعمل مـــربع كاي لاختبار مدى تطابق التوزيع المتوقع مع التوزيع الحقيقي، ووصـــف بعـــض نتائج الاختبار بالقوة رغم افتقارها للدلالة الإحصائية، وكان من الأولى أن يستعمل مربع كاي لاختبار العلاقة بين متغيرين أحدهما متغير تابع وهو الخســـائر الماديـــة والبشرية، والثاني متغير مستقل مثل الوعي بالسلامة والمستوى التعليمـــي والاقتصـــادي، مع العلم أن مربع كاي لا يقيس قوة العلاقة، وإنما تُقاس (القحطاني، والعامري، وآل مذهب، والعمر، ١٤٢١هـ، ١٤٢١هـــ: ٣٥٧، ٣٥٨) مـــن خـــلال اختبارات أخرى مثل مقياس فاي (Phi) الذي يقيس قوة العلاقة بين متغيريـــن يـــتكون كـــل مـــنهما مـــن فئتين أو مجموعتين، ومقياس كرامرز في (Cramer's V) الـــذي يقـــيس قـــوة العلاقة بين متغيرين بشرط أن يكون حجم الجـــدول أكـــبر من ٢×٢، ويستخدم هذان المقياسان عندما تكون نتيجة مربع كاي ذات دلالة إحصائية.
- لـــم يختـــبر الفرق في مستوى الوعي بين المجموعتين – أصحاب الخسائر القليلة والخسائر الكبيرة – عن طريق اختبار (ت).

وتخـــتلف دراســـة الباحث – هنا – عن دراسة "الأحمري" في كونها تقيس مستوى الوعـــي بالسلامة لدى أفراد المجتمع، بغض النظر عن وقوع الحادث أو عدم وقوعه، لأن الحـــادث الـــذي وقـــع عام ١٤١٠هـــ قد يُوجِد اتجاها إيجابيا نحو السلامة ويدفع صاحبه للوقايـــة من تكرار الحادث وبالتالي فإن تَغَيُّرَ وعيه عام ١٤١٢هـــ ستكون نتيجة طبيعية للـــتجربة التي خاضها مع الحادث، وليس نتيجةً للتعرض لرسائل التوعية، وتختلف أيضا فـــي اتســـاع مجـــتمع البحث، إذ لم تقتصر على الرياض فقط، بل شملت الرياض وجدة

والدمـــام، وتتمـــيز أيضـــاً بقياس تأثر درجة الوعي بمتغيرات الدراسة، ومن الاختلافات المهمة كذلك أن الأحمري تعامل مع الوعي على أنه متغير مستقل يؤثر في تقليل الخسائر البشـــرية والماديـــة، فـــي حيـــن تعامل الباحث هنا مع الوعي على أنه متغير تابع يتأثر بالعوامل المستقلة.

ومـــن الدراســـات المتعلقة بالوعي دراسة (الحارثي، ١٤١٤هـــ) عن دور وسائل الاتصـــال فـــي تكويـــن الوعي المروري، وأشار في تحديد مشكلتها إلى الخسائر البشرية والماديـــة نتـــيجة حوادث السيارات، وأن الحد من استنـــزاف الأرواح والأموال مسؤولية كبـــيرة تحـــتاج قـــبل كـــل شيء إلى معرفة حقيقية بدوافع المشكل، وأضاف أنه لا توجد دراســـات وافـــية ومتكاملة عن وعي الإنسان المروري – أحد الأبعاد المهمة في العملية المـــرورية "الإنسان والمركبة والطريق" – ولم يحظ الوعي المروري إلا بعدد محدود من الدراســـات التـــي تناولـــت تقويم برامج التوعية المرورية، وبناءً على هذه الإشارات فإن التوعـــية المـــرورية – حســـب رأي الحارثي – وسيلة وغاية في آن واحد ذلك أن قدرة الســـائق الواعـــية علـــى التحكم في سيارته وتقدير أسباب الحوادث وما يترتب عليها من أضرار للفرد والمجتمع تؤدي إلى تزايد العوامل التي تضمن السلامة بإذن الله.

وقـــد اتـــبع "الحارثي" في دراسته منهج الدراسات الوصفية مستعملا أداة تحليل المضمون للمحـــتوى الظاهـــر فـــي وسائل الاتصال الجماهيرية "الصحف والإذاعة والتلفزيون" في المملكة العربـــية الســـعودية، حيث قام بتحليل ما نشرته الصحف أو أذيع في الإذاعة أو عرض في التلفزيون خلال العام الهجري ١٤١٠هـــ عن التوعية المرورية.

وســـعى "الحارثي" من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف من أبرزها التعرف على مدى الاهتمام بتصحيح المفاهيم الخاطئة أو تعديل الاتجاهات السلبية أو تغيير بعـــض الســـلوكيات الخاطـــئة لـــدى الجمهور المستهدف من العملية الاتصالية، وتدعيم الســـلوكيات الإيجابية لديه، وانتهى إلى عدد من النتائج المتعلقة بتحليل المضمون لمحتوى الرســـائل الاتصالية ذات الصلة بالتوعية المرورية، ثم قدم عددا من التوصيات من أهمها:

أن أساس المشكلة المرورية انعدام الوعي وهو ما يمكن تسميته السلوك الإنساني الخاطئ، ويرى أن تصحيح هذا السلوك يتم عن طريق تكوين وعي مروري عن طريق الاتصال، وأكّد ضرورة إجراء الدراسات الميدانية قبل تصميم الرسائل الإعلامية.

ونشر مكتب التربية العربي لدول الخليج دراسةً حول تنمية الوعي العلمي لدى طلاب المرحلة الثانوية في دول الخليج العربية (أحمد، ١٤١٣هـ)، الذي حدّد مشكلة بحثه في الحصول على إجابة عن السؤال "ما واقع الوعي العلمي لدى عينة الدراسة وكيف ينمى ذلك الوعي؟" واستعمل منهج البحث الوصفي الذي يقوم على المسح الميداني عن طريق الاستجابة لعبارات المقياس والاستمارات التي أرسلت لدول مجلس التعاون ما عدا دولة الكويت بسبب ظروف الحرب، ويقدر عدد الأفراد المشاركين في هذه الدراسة حوالي (٨٩٠) طالبا وطالبة بنسبة (٠,٤%) من المجموع الكلي للطلاب والطالبات في تلك الدول.

وانتهى "أحمد" إلى عدد من النتائج بعد أن حدد مستوى الوعي المقبول وهو (٨٠%) من القيمة الوزنية، سواء على مستوى كل محور من محاور الدراسة "الميول العلمية، والأمانة الفكرية، والتفكير العلمي، والتفتح الذهني، والوعي العلمي بوجه عام" أو على مستوى الفقرة، ومن أهم تلك النتائج أن لدى أفراد العينة وعياً علمياً مرتفعاً إلى حد كبير، حيث إن جميع فقرات المقياس السبع والعشرين لم تنخفض معدل إجاباتها عن مستوى الوعي المقبول ما عدا أربع فقرات فقط، ثم استعرض نتائج اختبارات الفروق حسب الدولة، ومحاور المقياس والتخصص، والجنس.

أما فيما يتعلق بوسائل تنمية الوعي العلمي فقد صمّم ثلاث استبانات لجمع المعلومات ذات الصلة بالوعي العلمي عن "الأنشطة المدرسية، والمؤسسات والجمعيات، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، ثم استعرض بعض المعلومات المتعلقة بالأنشطة المدرسية في جميع الدول مجتمع البحث، وعرّف بالمؤسسات التي تهتم بنشر الوعي العلمي وهما الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر التابعة لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية في

السعودية، والنادي العلمي العماني، ثم استعرض البرامج الإذاعية والتلفزيونية في كل من الكويت وقطر وعمان والإمارات.

وقد أظهرت هذه الدراسات للباحث إمكانية قياس مستوى الوعي بالسلامة عن طريق عدد من الأسئلة التي تساعد في الكشف عن مستوى المعارف والمعلومات المتعلقة بقواعد السلامة وإجراءاتها، وتتضمن أيضا بعض التصرفات التي يمكن أن يسلكها أفراد العينة في الحالات العادية والطارئة.

الجزء الثاني: الإطار النظري للدراسة

أولا: جهود الدفاع المدني في مجال رفع مستوى الوعي

يُعَرَّف الدفاع المدني في المملكة العربية السعودية بأنه "مجموعة من الإجراءات والأعمال اللازمة لحماية السكان والممتلكات العامة والخاصة من أخطار الحرائق والكوارث والحروب والحوادث المختلفة، وإغاثة المنكوبين وتأمين سلامة المواصلات والاتصالات وسير العمل في المرافق، وحماية مصادر الثروة الوطنية وذلك في زمن السلم وحالات الحرب والطوارئ" (المديرية العامة للدفاع المدني،١٤١٨هـ:٦).

وحدد النظام مهام الدفاع المدني في زمن السلم في الوقاية من الحوادث "السلامة العامة"، والتدخل فور وقوع "حوادث الحريق" وتنفيذ عمليات "الإنقاذ" و"الإسعاف" والتقليل من الخسائر البشرية والمادية ما أمكن، وإعداد الخطط لمواجهة حالات الحروب والكوارث.

ولكي يحقق الدفاع المدني الوقاية من الحوادث فإن عليه أن يعزز خطط التنمية العامة للدولة بتوفير مقومات الحماية والسلامة للقطاع البشري والاقتصادي، ويتخذ الإجراءات والتدابير التي تمنع وقوع الحوادث، ويعمل على إزالة مسبباتها، كما أن عليه أن يُنظِّم حملات التوعية في مجال السلامة باستخدام وسائل الاتصال كالكتيبات والنشرات

والملصقات والأفلام والندوات وأسابيع التوعية والمؤتمرات والمعارض والصحافة والإذاعة والعروض الحية.

ويتعامل الدفاع المدني مع المواطن على أنه جزء لا يتجزأ من منظومة الدفاع المدني يتفاعل معه ويكمّل رسالته، ومن أجل ذلك حرصت المديرية العامة للدفاع المدني على تعريف الجمهور بطبيعة عمل جهاز الدفاع المدني ليتصرف تصرفا صحيحا عند تعرضه للحوادث، وليتعامل مع كل ما يحيط به من أدوات وأجهزة تعاملا سليماً يوفر الحماية والأمن له ولمجتمعه.

وتضطلع إدارة الشؤون العامة بالدفاع المدني بمهمة تعريف الجمهور وتوعيته من خلال الاتصال المباشر، والاستفادة من وسائل الإعلام في نشر رسالة السلامة والتوعية الوقائية ومفاهيمها.

وتؤمن إدارة الشؤون العامة بمبدأ تقسيم الجمهور وتوجيه رسائل خاصة لكل فئة من فئاته؛ إذ طبعت كتيباً خاصاً عن السلامة المنزلية، تناول الأخطار المنزلية وطرق الوقاية منها وكيفية التعامل معها، وكتيباً آخر موجها لربة البيت يعرّفها بالأخطار التي قد يتعرض لها الطفل في المنزل من مرحلة الحبو حتى الإدراك، وطبعت كتيبا ثالثاً بعنوان "لوّن وتعلم مع سالم" ويعتمد هذا الكتيب على تنمية معارف الطفل ببعض المخاطر والوقاية منها والتصرفات المثلى للتعامل معها، وطبعت نشرات خاصة للمزارعين ترشدهم للأساليب المثلى في التعامل مع المبيدات الكيماوية وحرائق النخيل والمزروعات، كما طبعت كتاباً رابعاً عن السلامة في المصنع وهو موجه لعمال المصانع، ونشرة أخرى تتعلق بملابس السلامة ولوازم الوقاية في المصانع، وطبع الدفاع المدني عددا من النشرات والكتيبات العامة بلغ مجموع النسخ المطبوعة منها حوالي (٦١٠,٠٠٠) نسخة، إضافة إلى الإرشادات التي كتبت على (١,٠٠٠,٠٠٠) نسخة من جداول رحلات القطار والتذاكر. (المديرية العامة للدفاع المدني،١٤١٨هـ).

وفـــي محـــرم ١٤٢٠هـــ أصدرت الإدارة العامة للشؤون الثقافية والإعلامية نشرة فصـــلية بعـــنوان "الدفاع المدني"، ولكنها توقفت بعد صدور العدد السابع في شهر محرم ١٤٢٢هـــــ، ويوجـد لدى الدفاع المدني استديو إذاعي وتلفزيوني لإنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونـــية، إلـــى جانب المشاركة في برنامج اليوم العالمي للدفاع المدني والمهرجانات الوطنية والمعارض العامة.

ثانيا: الوعي بالسلامة

الوعي في اللغة العربية حفظ القلب الشيءَ، وعى الحديث يعيه وعيا: حفظه وفهمه وقـبله، (ابـــن مـــنظور، ١٤١٤هـــ)، وفي الحديث " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَـــا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ منه"(رواه الترمذي ٢٥٨٢) وفي رواية أخـــرى "نضّرَ الله امرأً سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع"(رواه الـــترمذي ٢٦٥٩)، يقـــال "وعيت الحديث أعيه وعياً فأنا واعٍ، إذا حفظته وفهمته، وفلان أوعـــى مـــن فلان: أي أحفظ وأفهم، وفي الحديث لا يعذب الله قلبا وعى القرآن أي عقله إيمانـــا به وعملا، فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع"،(ابن الأثير، ب.ت: ٢٠٨) ويفهم من هذا، أن الوعي يؤسس على ثلاثة جوانب: العقل، وهو "الجانب المعرفي" والإيمان به، وهو "الجانب الوجداني" والعمل به، وهو "الجانب التطبيقي". أحمد (١٤١٣هـــ).

وبـــناء علـــى ذلـــك فـــإن الوعـــي الذي يقصده الباحث في هذه الدراسة هو توفر المعلومـــات الصحيحة عن الدفاع المدني، وتكوين الميول والاتجاهات نحو قواعد السلامة وإجـــراءاتها وأدواتها، ثم الممارسة العملية الصحيحة في الحياة العادية والحالات الطارئة، والحـــد الأدنى الذي يمكن قبوله في هذه الدراسة (٧٥%) من الوعي وهو ما يساوي (٣,٧٥) من (٥).

وتعـــرّف الســـلامة في اللغة العربية بـــ "البراءة؛ فيقال: تسلّم منه: أي تبرّأ. وقال ابن الأعرابي: السلامة: العافية. وسميت الجنة دار السلام؛ لأنها دار السلامة الدائمة التي

لا تنقطع ولا تفنى، وهي دار السلامة من الموت والهرم والأسقام. وسلّمه الله من الأمر: وقاه إياه." (ابن منظور ١٤١٤هـ).

ويقصد الباحث بالسلامة هنا اتباع القواعد والإجراءات، واتخاذ الاحتياطات اللازمة للوقاية من الحوادث التي تقع في المنزل، أو تقلل من أخطارها على الأقل، وخاصة حوادث الحريق والكهرباء والغرق، والاختناق والأدوات الحادة والمنظّفات.

الجزء الثالث: الإجراءات المنهجية للدراسة

منهج البحث

تدخل هذه الدراسة في إطار دراسات الجمهور، وقد اتبع الباحث فيها المنهج الوصفي الذي يقوم على المسح الميداني عن طريق الاستجابة لاستبانات الدراسة التي وزعت على أفراد العينة.

المتغيرات المستقلة في البحث.

- السمات الديموغرافية:
  - المدينة.
  - الجنس.
  - العمر.
  - المؤهل العلمي.
  - عدد الأطفال في المنزل.
- الممارسة اليومية العادية:
  - وسائل التدفئة المستعملة.
  - وسائل السلامة المتوفرة في المنزل.
  - ضبط حرارة سخانات المياه.

- المعلومات العامة عن الدفاع المدني:
  - معرفة رقم الدفاع المدني.
  - معرفة أقرب مركز للدفاع المدني.
  - معرفة الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني.
- السلوك المتوقع في الحالات الطارئة:
  - تسرب الغاز.
  - اشتعال النار في زيت القلي.
  - الغرق في الماء.
  - نشوب حريق في المنزل.
  - الصعق الكهربائي.
  - انسكاب السائل الحار على أحد الأطفال.
- التعرض لوسائل الإعلام:
  - قراءة الصحف السعودية.
  - مشاهدة التلفزيون السعودي.
  - الاستماع للإذاعة السعودية.
  - قراءة نشرات التوعية التي تصدرها المديرية العامة للدفاع المدني.
  - متابعة برامج التوعية التي يعدها الدفاع المدني وتعرض في التلفزيون السعودي.

مجتمع البحث

بنى الباحث هذه الدراسة على نتائج دراستي "بيت المال وزنادة" التي عرض لهما ضمن الدراسات السابقة، فقصر مجتمع بحثه على المناطق الثلاث الرياض ومكة المكرمة

والمـنطقة الشرقية، لأنها أكثر المناطق تعرضا لحوادث الدفاع المدني عام ١٤٢٠هـ، ثم تعمَّـد اختـيار أكـبر المدن في تلك المناطق وأكثرها سكانا وهي الرياض وجدة والدمام، (مصـلحة الإحصاءات العامة ١٤١٩هـ) وجعل الأسر السعودية التي تعيش فيها مجتمعاً للبحث.

عينة البحث "نوع العينة، حجمها، كيفية أخذها"

حدد الباحث مفردات الدراسة بـ (٧٥٠) مفردة توزع بالتساوي على المدن الثلاث "الرياض وجدة والدمام"، واتبع أسلوب المصادفة ضمن الطريقة غير الاحتمالية حيث طلب الباحـث مـن مساعديه توزيع الاستبانات على من يصادفون في تلك المدن؛ لتعذر معرفة جميع أفراد مجتمع البحث.

أداة جمع البيانات

اعـتمد الباحث في جمع معلومات هذه الدراسة على "الاستبانة"، التي تضمنت عدداً من الأسئلة حول بعض المعلومات والمعارف المتعلقة بالسلامة، والاتجاهات والميول نحو قواعد السلامة وإجراءاتها، وتساعد هذه الأسئلة الباحث في قياس مستوى الوعي بالسلامة لدى عينة البحث.

واحتوت الاستبانة على بطاقة فنية تعين بعض المتغيرات في الدراسة مثل العمر والمؤهل العلمـي والجـنس، وعـدد الأطفال في المنزل، ونماذج من السلوك في الحالات العادية والطارئة، ومستوى التعرض لوسائل الإعلام وبرامج التوعية الخاصة بالدفاع المدني.

صدق الاستبانة: "صدق المحتوى"

استرشـد الباحـث عـند بناء الاستبانة بآراء عشرة من ضباط الدفاع المدني بحكم الخـبرة والتخصص فيما يتعلق بالعناصر التي يجب أن تتوفر في مقياس الوعي بالسلامة،

وطلب الباحث منهم مراجعة الاستبانة في صورتها الأولية للتأكّد من وضوح العبارات والجمل وعدم التباسها، وأنها تقيس ما وضعت له، وهو التعرف على مستوى الوعي بالسلامة، وطلب منهم أيضا إضافة أي جوانب أخرى للسلامة لم تتضمنها الاستبانة، وتحديد الفقرات التي يمكن الاستغناء عنها أو دمجها مع غيرها.

وبناء على ردود المحكمين حذف الباحث الفقرات المتعلقة بطفاية الحريق الخاصة بالسيارة، ودمج الفقرات الثلاث الخاصة بسخانات المياه في فقرة واحدة، ووضع عدداً من الخيارات للأسئلة الخاصة بالسلوك المتوقع عند الحوادث الطارئة، وأضاف فقرات جديدة تتعلق بمتابعة برامج التوعية التي يقدمها الدفاع المدني في التلفزيون السعودي، ووسائل السلامة، وتدريب أفراد الأسرة على الطريقة التي يتصرفون بها عند حدوث حريق في المنزل، والخدمات التي يقدمها الدفاع المدني، ومن ثَمَّ صاغ الباحث الاستبانة في صورتها النهائية.

وتتكون الاستبانة من الأجزاء التالية:

- بيانات تتعلق بالسمات الديموغرافية للمبحوثين "المدينة، العمر، المؤهل الجنس، عدد الأطفال في المنزل".
- بيانات تتعلق بالتعرض لوسائل الإعلام "الصحف السعودية، التلفزيون، الإذاعة، نشرات الدفاع المدني، برامج التوعية التلفزيونية التي يقدمها الدفاع المدني".
- ست فقرات عن السلوك المتوقع في الحالات الطارئة "تسرب الغاز، اشتعال النار في زيت القلي، نشوب الحريق في المنزل، الغرق، الصعق الكهربائي، انسكاب السائل الحار على الأطفال".
- المعلومات العامة عن الدفاع المدني "رقم هاتف طوارئ الدفاع المدني، وأقرب مركز للدفاع المدني، والخدمات التي يقدمها الدفاع المدني".

- خمـس فقـرات تتعلق بمعرفة اسم الحي والشارع ورقم البيت والشوارع الرئيسة الموصلة لسيارات الدفاع المدني عند الحاجة، والهدف من ذلك مساعدة المبحوث علـى تقدير الوقت الذي تستغرقه عملية توصيف موقع البيت للدفاع المدني، ولم يستعمل الباحث بياناتها في التحليل.
- السلوك العادي في الحياة اليومية "وسائل السلامة، وسائل التدفئة، ضبط سخانات المياه".
- اثنـتان وعشـرون فقرة لقياس مستوى الوعي اقترنت كل فقرة بخمسة خيارات متدرجة، مـا عـدا فقرتين؛ الأولى: القدرة على استعمال طفاية الحريق "ثلاثة خيارات"، والوقت المستغرق في عملية وصف المنزل "أربعة خيارات".

ثبات المقياس

للـتحقق مـن ثـبات المقـياس استعمل الباحث معادلة ألفا كرونباخ (ALPHA CRONBACH) فأظهـرت النـتائج أن قيمة "ألفا" قبل حذف الفقرات الخاصة بزيادة الأحمـال الكهربائـية، وجمع الأدوية مع بعضها في مكان واحد، ووضع الأطفال أكياس البلاسـتيك على وجوههم تساوي (٠,٦٦) وسبب حذف هذه الفقرات الثلاث انخفاض قيمة معامل التمييز لها، وبعد حذفها بلغت قيمة "ألفا" لفقرات المقياس (٠,٧٠)، وتدل هذه القيمة على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات، (القحطاني، وآخرون ١٤٢١هـ: ٢١٤)، وبناء على ذلك أصبح مجموع فقرات المقياس تسع عشرة فقرة.

إجراءات جمع البيانات

طلـب الباحـث مـن مساعديه في كل من الرياض وجدة والدمام البدء في توزيع الاستبانة في منتصف شهر شعبان من عام ١٤٢٢هـ على أن توزع على ١٢٥ مفردة من الـرجال و١٢٥ مفـردة من النساء في كل مدينة من المدن الثلاث، بحيث يكون مجموع مفـردات العينة ٧٥٠ مفردة، على أن ينتهي توزيعها في نهاية الشهر نفسه، وعاد للباحث ٥٠٢ استبانة تمثل (٦٦,٩٣%) من مجموع الاستبانات الموزعة.

المعالجة الإحصائية

للتوصل إلى إجابة على تساؤلات الدراسة استعمل الباحث المعالجات الإحصائية التالية:

- الإحصاءات الوصفية (Descriptive Statistics) وتشمل:
  - النسبة المئوية (Percent).
  - المتوسط الحسابي (Mean) لفقرات مقياس الوعي بالسلامة.
  - الانحراف المعياري (Standard Deviation).
- مربع كاي (Chi-Square) لـ:
  - اختبار مدى تطابق التوزيع المتوقع مع التوزيع الحقيقي لنوع السلوك المتوقع في الحالات الطارئة.
  - تحديد وجود علاقة بين مستوى الوعي والسلوك المتوقع في الحالات الطارئة.
- مقياس كرامرز في (Cramer's V) لقياس قوة علاقة الاقتران ذات الدلالة الإحصائية التي تظهر في اختبار مربع كاي وتراوح درجة القوة بين (٠ و +١).
- تحليل التباين الأحادي (One-way ANOVA) بين مستويات الوعي بالسلامة تبعا لمتغير المدينة والسلوك المتوقع في الحالات الطارئة.
- اختبار شيفيه (Scheffe) المتحفظ للقيام بعملية المقارنات المتعددة إذا أظهر اختبار تحليل التباين فرقاً له دلالة إحصائية، وذلك لتحديد الفئة التي تختلف عن غيرها في مستوى الوعي بالسلامة اختلافا ذا دلالة إحصائية.

- اختبار "ت" (One-Sample Statistics) للحكم على معنوية الفرق بين متوسط الوعي عند مجموعتين.
- معامل الارتباط (Pearson Correlation) لقياس العلاقة بين مستوى الوعي وبعض السمات الديموغرافية "العمر، المؤهل، عدد الأطفال" ومستوى الوعي والتعرض لوسائل الإعلام. (القحطاني، وآخرون ١٤٢١هـ) (العقيلي، والشايب، ١٤١٩هـ).

الجزء الرابع: نتائج الدراسة ومناقشتها مستوى الوعي بالسلامة

قام الباحث بقياس مستوى الوعي بالسلامة لدى عينة الدراسة من خلال إجاباتهم عن تسع عشرة فقرة تتعلق بالمعلومات والمعارف حول السلامة، والاتجاهات والميول نحو قواعد السلامة وإجراءاتها، وبلغ المتوسط الحسابي لمجموع أوزان الإجابات (٣,٨١) وتقدر نسبة الوعي بحوالي (٧٦,٢%)، وهي أعلى بقليل من النسبة التي جعلها الباحث حداً أدنى لقبول الوعي، وبناء على ذلك فإن مستوى الوعي لأفراد العينة بالسلامة وعي مقبول.

يبين الجدول (١) أن اثنتي عشرة فقرة من فقرات المقياس قد تجاوزت الحد الأدنى الذي وضعه الباحث لمستوى الوعي المقبول (٣,٧٥)، وتتعلق هذه الفقرات – حسب ترتيبها – برفع الأدوات الحادة بعيدة عن الأطفال (٤,٨٣)، ودرجة الاهتمام بحقيبة الإسعافات الأولية في المنزل (٤,٧٦)، وأهمية وجود طفاية الحريق في المنزل (٤,٧١)، وطريقة التأكد من تسرب الغاز (٤,٤٣)، ورفع مفاتيح الأبواب عن الأطفال (٤,٣٤)، والقدرة على وصف موقع المنزل (٤,٢٥)، سباحة الأطفال الصغار لوحدهم في البانيو "المغطس" أو المسابح الصغيرة الخاصة بهم (٤,٢٠)، واستعمال الأقفال التي يمكن فتحها يدويا "بدون مفتاح" من الخارج في دورات المياه (٤,٠٥)،

وشــراء العـــلاج مـــن الصـــيدلية دون استشارة الطبيب (٤,٠١)، ووضع أعواد الثقاب "الكبريــت" بعيدا عن الصغار (٣,٩٥)، واستخدام البنزين في تنظـيف الثياب من البقــع الملــونة (٣,٩٤)، وعدم إخفاء سلك توصيلة الكهرباء تحت السجاد (٣,٨٠).

جدول (١) عناصر قياس الوعي بالسلامة

م	عناصر قياس الوعي بالسلامة	المتوسط	الانحراف المعياري
١	نحرص دائما على رفع الأدوات الحادة "السكاكين" بعيدة عن الأطفال.	٤,٨٣	٠,٥٠
٢	ما مدى أهمية وجود حقيبة الإسعافات الأولية في المنزل.؟	٤,٧٦	٠,٥٢
٣	ما مدى أهمية وجود طفاية الحريق في المنزل. ؟	٤,٧١	٠,٦٦
٤	إذا أردنا التأكد من تسرب الغاز نشعل عود الثقاب ونقربه من مكان التسرب	٤,٤٣	١,٠٠
٥	مفاتيح الأبواب مرفوعة دائما عن الأطفال حتى لا تغلق الأبواب عليهم وهم في الداخل.	٤,٣٤	٠,٩٦
٦	ما مستوى وصفك لموقع منزلك؟	٤,٢٥	١,٠٤
٧	يسبح الأطفال الصغار لوحدهم في البانيو "المغطس" أو المسابح الصغيرة الخاصة بهم.	٤,٢٠	١,٠٣
٨	في أبواب دورات المياه نستعمل الأقفال التي يمكن فتحها يدويا "بدون مفتاح" من الخارج إذا انغلق الباب على أحد الأطفال.	٤,٠٥	١,١١
٩	إذا مرض أحد أفراد الأسرة، نشتري له علاجا من الصيدلية مباشرة.	٤,٠١	١,٠٧
١٠	نضع أعواد الثقاب "الكبريت" غالبا بجوار الفرن.	٣,٩٥	١,٢٣
١١	نستخدم البنزين في تنظيف الثياب من البقع الملونة.	٣,٩٤	١,٠٢
١٢	نضع سلك توصيلة الكهرباء التي نستعملها تحت السجاد حتى لا يشوه المنظر ولا يعثر به أحد.	٣,٨٠	١,٢٦
١٣	نقوم بتنظيف سخانات المياه في بداية موسم الشتاء كل عام	٣,٧٣	١,٠٤
١٤	كيف تصف قدرتك على مساعدة من يحتاج للإسعافات الأولية.؟	٣,٦١	٠,٨٩
١٥	نضع أدوات النظافة "الفلاش، والكلوركس، وغيرها" في دورات المياه دائما.	٣,٥٥	١,٣١
١٦	كم الوقت الذي يكفيك لوصف موقع منزلك لرجال الدفاع المدني؟	٣,٥	١,٠٢
١٧	نحن حريصون على نظافة منزلنا؛ ولذلك نستخدم المواد المنظفة القوية "مثل الفلاش" رغم خطورتها على الصحة.	٣,٢٠	١,١٧
١٨	كيف تصف قدرتك على استعمال طفاية الحريق.؟	٢,٩٣	٠,٦٧
١٩	أدرّب أفراد أسرتي على الطريقة التي نتصرف بها عند حدوث الحريق في المنزل.	٢,٤٤	١,٢٦
	المتوسط الحسابي للعناصر = ٣,٨١	Alpha = ٠,٧٠٠٨	

ويـــدل الجـــدول (١) أيضـــا على وجود سبع فقرات لم يصل الوعي بهن إلى الحد المقـــبول، وتـــتعلق هـــذه الفقرات بتنظيف سخانات المياه في بداية موسم الشتاء كل عام

(٣,٧٣)، والقـدرة علـى إسـعاف المصـابين (٣,٦١)، ووضع أدوات النظافة "الفلاش، والكلوركـس، وغـيرها" فـي دورات المياه دائما (٣,٥٥)، والوقت الذي تستغرقه عملية وصـف موقـع المنزل لرجال الدفاع المدني (٣,٥)، واستخدام المواد المنظفة القوية "مثل الفـلاش" (٣,٢٠)، والقـدرة على استعمال طفاية الحريق (٢,٩٣)، وتدريب أفراد الأسرة على الطريقة التي يتصرفون بها عند حدوث الحريق في المنزل (٢,٤٤).

وللإجابة عن تساؤلات الدراسة المتعلقة بالفروق بين أفراد العينة في مستويات الوعي أجرى الباحث عددا من الاختبارات الإحصائية فأظهرت له عددا من النتائج يعرضها فيما يأتي:

أولا: السمات الديموغرافية

١. توزيع أفراد العينة على مدن مجتمع البحث

بلـغ مجموع أفراد العينة المستجيبين (٥٠٢) كما في الجدول (٢)، يمثل سكـان مديـنة الـرياض منهم (٢٩,١%) وسكان مدينة جدة (٣٠,٩%) في حين بلغت نسبة سكان مديـنة الدمـام (٤٠%)، ومعـنى ذلك إن نسبة الاستجابة في الدمام تفوق الاستجابة في الرياض، وتفوق الاستجابة في جدة.

جدول (٢) توزيع أفراد العينة حسب مدن مجتمع البحث

المدينة	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
الدمام	٢٠١	٤٠,٠	٣,٨٢٢٨	٠,٤٣٣٦	١
جدة	١٥٥	٣٠,٩	٣,٨٢٧١	٠,٣٧٠٣	٢
الرياض	١٤٦	٢٩,١	٣,٧٩٩٧	٠,٣٦٩٦	٣
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠	٣,٨١٧٨	٠,٣٩٦١	

وبيَّنت نتائج تحليل التباين المعروضة في الجدول (٣) أن التباين في العامل المستقل "المدينة" ليس له علاقة بالمتوسط الحسابي لمستوى الوعي بالسلامة لأفراد العينة في كل من الرياض وجدة والدمام؛ حيث افتقرت النتيجة للدلالة الإحصائية التي يمكن قبولها.

جدول (٣) تحليل التباين لتأثير المدينة على مستوى الوعي بالسلامة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	٦,٨٦١	٢	٣,٤٣	٠,٢١٨	٠,٨٠٤
داخل المجموعات	٧٨,٥٢٦	٤٩٩	٠,١٥٧		
المجموع	٧٨,٥٩٥	٥٠١			

وتعني هذه النتيجة قبول الفرضية الصفرية "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الوعي بالسلامة تبعا للمدينة".

١. توزيع أفراد العينة حسب الجنس

تشير بيانات الجدول (٤) إلى أن المستجيبات في هذه الدراسة أكثر من المستجيبين؛ إذ تقدر نسبة الإناث بـ (٥٦,٨%)، بينما قدرت نسبة الرجال بـ (٤٣,٢%) من مجموع أفراد العينة.

جدول (٤) توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري
ذكر	٢١٧	٤٣,٢	٣,٨٤٧١	٠,٣٧٣٣
أنثى	٢٨٥	٥٦,٨	٣,٧٩٥٥	٠,٤١١٩
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠	٣,٨١٧٨	٠,٣٩٦١

وقد تكون هذه النتيجة طبيعية لأن عدد الإناث في المجتمع السعودي أكثر من عدد الرجال، وقد تعود هذه النتيجة إلى أن النساء يتعاملن مع استبانات جمع المعلومات والبحث العلمي تعاملا إيجابيا؛ لأن الباحث قد طلب من مساعديه الذين قاموا بتوزيع استبانات الدراسة أن يكون عدد الاستبانات الموزعة على الرجال مساوية للعدد الموزع على النساء.

وأشار الجدول (٥) إلى تساوي الرجال والنساء في مستوى الوعي بالسلامة، إذ أظهرت نتيجة لختبار (ت) أن الفرق بينهما ليست له دلالة إحصائية لأنها أكبر من (٠,٠٥)، مما يعني أن الفرضية الصفرية "لا توجد فروق دالة إحصائيا بين مستوى وعي الرجال ومستوى وعي النساء" فرضية مقبولة.

جدول (٥) اختبار (ت) لقياس الفرق بين درجة الوعي عند الرجال والنساء

الجنس	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
ذكر	٣,٨٥	٠,٣٧٣٣	١,٤٤٨	٠,١٤٨
أنثى	٣,٨٠	٠,٤١١٩		

١. توزيع أفراد العينة حسب العمر

تدل المعلومات المعروضة في الجدول (٦) على أن أعمار أكثر من (٧٥%) من مجموع أفراد العينة أقل من (٣٥) سنة، في حين أشار الجدول إلى أن (٢٢,٣%) من أفراد العينة تزيد أعمارهم عن (٣٦) سنة، وتتفق هاتان النتيجتان مع آخر إحصاءات تعداد السكان في المملكة العربية السعودية، إذ تشير آخر الإحصاءات الرسمية (مصلحة الإحصاءات العامة،١٤١٩هـ) إلى أن نسبة السعوديين الذين تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة حوالي (٧٨,٨%) من مجموع السكان السعوديين، وهذا يعني أن المجتمع السعودي من المجتمعات الشابة التي يكون فيها عدد الشباب أكثر من عدد كبار السن.

جدول (٦) توزيع أفراد العينة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
٤٦ سنة فما فوق	٣١	٦,٢	٣,٩٥١٧	٠,٣٤٠٤	١
من ٢٦ إلى ٣٥	١٧٧	٣٥,٣	٣,٨٩٥١	٠,٣٦٠٣	٢
من ٣٦ إلى ٤٥	٨١	١٦,١	٣,٨٩٣٥	٠,٣٧٥٩	٣
٢٥ سنة فاقل	٢٠٣	٤٠,٤	٣,٧٠٤٣	٠,٤٠٨٨	٤
لم يبين	١٠	٢,٠			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
معامل الارتباط بين مستوى الوعي والفئات العمرية				٠,٢١٥**	

كشفت اختبارات معامل الارتباط بيرسون (Pearson) عن وجود علاقة إيجابية (٠,٢١٥**) ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) بين مستوى الوعي بالسلامة والفئة العمرية، ومعنى ذلك أنه كلّما زادت سنوات العمر لأفراد العينة زاد مستوى الوعي بالسلامة، وإذا قلت سنوات العمر انخفض مستوى الوعي، ويعزى ذلك إلى الخبرات التي يكتسبها الفرد من الحياة سواء بالمعايشة للأحداث، أو مشاهدتها، أو السماع عنها.

١. توزيع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي

ويمكـــن توزيع أفراد العينة إلى ثلاثة أقسام؛ القسم الأول الأميُّون غير المتعلمين وهـم (٦%) مـن مجمـوع أفراد العينة، والقسم الثاني الذين التحقوا بمراحل التعليم العام الابتدائـي والمتوسـط والثانوي، ويمثل هؤلاء (٣٨,٥%) من أفراد العينة، والقسم الثالث الذين يحملون مؤهلات علمية بعد المرحلة الثانوية، وتبلغ نسبتهم (٥٨,٨%).

لـم تظهـر معامل الارتباط جدول (٧) وجود علاقة بين مستوى الوعي والمؤهل العلمـي قـبل تحـيـيد بعض المؤهلات العلمية، بمعنى أن ارتفاع مستوى التعليم لا يعني ارتفـاع مستوى الوعي، والعكس صحيح، ولكن بعدما حيَّد الباحث الحاصلين على مؤهل التعلـيم العالي ظهرت العلاقة الارتباطية بين مستوى الوعي والمؤهل العلمي (٠,٠٩٣*) ومع أنها دالّة إحصائيا إلا أنها منخفضة جدا.

جدول (٧) توزيع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
دبلوم بعد الثانوية	٤	٠,٨	٤,١٥٦٠	٠,٣٥٤٠	١
جامعي	٢٧٠	٥٣,٨	٣,٨٥٣٨	٠,٣٣٨٣	٢
ابتدائي	١١	٢,٢	٣,٨٤٢١	٠,٤٠٠١	٣
ثانوي	١٣٢	٢٦,٣	٣,٧٩٩٢	٠,٤٤٩٥	٤
متوسط	٥٠	١٠,٠	٣,٧٨٧٩	٠,٣٩٠٧	٥
تعليم عال	٢١	٤,٢	٣,٦٠٨٧	٠,٥٥٧٠	٦
غير متعلم	٣	٠,٦	٣,٢٩٨٢	٠,٢٦٤٩	٧
لم يبين	١١	٢,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
معامل الارتباط "بعد تحييد التعليم العالي"				٠,٠٩٣*	

٥. توزيع أفراد العينة حسب عدد الأطفال في المنزل

يُعد التفريق بين أفراد العينة الذين لديهم أطفال في المنزل الذي يسكنون فيه وأفراد العينة الذين ليس لديهم أطفال أمراً مهماً للغاية، لأن هناك عناصر كثيرة في مقياس الوعي

بالسلامة ترتبط ارتباطا قويا بوجود الأطفال. فمثلا قد لا يتحرج أفراد الأسرة الذين ليس لديهم أطفال في إبقاء أعواد الثقاب قريبة من الفرن، وقد لا يضعوا السكاكين والأدوات الحادة في مكان مرتفع بعيد عن متناول الأطفال؛ لأن جميع أفراد المنزل راشدون يعرفون كيف يتعاملون مع هذه الأدوات.

جدول (٨) توزيع أفراد العينة حسب عدد الأطفال في المنزل

الأطفال	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
من ٧ إلى ٨	٢٧	٥,٤	٣,٨٦٥٣	٠,٣٣٢٦	١
من ٣ إلى ٤	١٣٩	٢٧,٧	٣,٨٥٩٠	٠,٣٧٤٤	٢
من ٥ إلى ٦	٥٩	١١,٨	٣,٨٤٢٢	٠,٤٠٢٠	٣
أكثر من ٩	١٧	٣,٤	٣,٧٩٨٤	٠,٥١٥٣	٤
لا يوجد	٨٦	١٧,١	٣,٧٥٩٩	٠,٣٨٩١	٥
من ١ إلى ٢	١٥٢	٣٠,٣	٣,٦٣٨٧	٠,٤٠٥٥	٦
لم يبين	٢٢	٤,٤			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
معامل الارتباط بين الوعي وعدد الأطفال			٠,٠٠٨		

ويظهر الجدول (٨) أن (١٧,١%) من أفراد العينة ليس لديهم أطفال في البيوت التي يسكنون فيها، وأن (٧٨,٦%) لديهم أطفال، وأكثر من نصف أفراد العينة (٥٨%) لا يزيد عدد الأطفال في منازلهم عن (٤) أطفال، وأن حوالي خمس أفراد العينة (٢٠,٦%) يزيد عدد الأطفال لديهم عن خمسة أطفال.

ومع أن مقياس الوعي بالسلامة قد تضمن عددا من الفقرات ذات الصلة بالأطفال، إلا أن عدد الأطفال في المنزل ليس له علاقة ارتباطية بمستوى الوعي لعدم وجود الدلالة الإحصائية.

ثانيا: الممارسة اليومية العادية

١. استعمال وسائل التدفئة

يشير الجدول (٩) إلى أن الدفاية التي تعمل بالكهرباء أكثر وسائل التدفئة استعمالا من قبل أفراد العينة (٤٠,٧%)، ويليها في المرتبة الثانية دفاية الزيت الكهربائية (٢٥,٤%)، ثم

أجهـزة التكيـيف التـي تعمـل بـنظام (Hot Pump) "التدفئة ذات الدورة العاكسة" (١٥,٣%)، وفـي المرتـبة الرابعة أجهزة التكييف العادية التي تتم عملية التدفئة بها عن طـريق جهـاز التسخين (Heater) المثبت داخل المكيف (١٠,٧%) وعادة ينبعث منه رائحـة عند تشغيل التدفئة في المرة الأولى بداية موسم الشتاء في كل عام نتيجة احتراق الأتـربة الموجـودة علـى جهـاز التسخين، وجاء في المرتبة الخامسة الحطب أو الفحم (٦,٤%)، وأخيرا دفاية الكيروسين "الجاز" (١,٦%).

جدول (٩) توزيع أفراد العينة حسب وسائل التدفئة المستعملة

وسائل التدفئة	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
التكييف الذي يعمل بنظام التدفئة ذات الدورة العاكسة (HP)	٧٩	١٥,٣	٣,٩٠٣١	٠,٣٧٣٠	١
دفاية الزيت الكهربائية	١٣١	٢٥,٤	٣,٨٥٦٨	٠,٣٦٧٠	٢
دفاية الكهرباء	٢١٠	٤٠,٧	٣,٨٢٣٢	٠,٣٩٦٩	٣
التكييف الحار رغم الرائحة المنبعثة منه	٥٥	١٠,٧	٣,٦٧٦٠	٠,٣٧١٥	٤
الحطب أو الفحم	٣٣	٦,٤	٣,٤٧٥٧	٠,٣٤٧٢	٥
دفاية الكيروسين "الجاز"	٨	١,٦	٣,٤٤١٦	٠,٣٩٧٢	٦

ويـتوقف اختـيار وسـيلة التدفئة – عادة – على مستوى الوعي بمميزات الوسيلة وخصائصها السلبية والإيجابية. فاستعمال الفحم والحطب مثلا قد يتسبب في إحداث حريق بسـبب تطايـر الشـرر، وقـد يحـدث حالـة اختناق بسبب الكربون المنبعث من الفحم والأخشـاب، واستعمال الدفايات الكهربائية أو تكييف الفريون في التدفئة من خلال أجهزة التسـخين (Heater) المثبـتة فـي المكيف تتسبب في نقص الأكسجين الموجود داخل الغرفة فيصاب الإنسان عندئذ بالاختناق، وهكذا.

وهنا تظهر الحاجة للإجابة عن السؤال التالي: هل هناك اختلاف في مستوى الوعي بالسلامة عند الذين يستعملون وسيلة معينة في التدفئة والذين لا يستعملونها؟

وللإجابـة عن هذا السؤال استعمل الباحث اختبار (ت) لقياس الفرق في الوعي بين مستخدمي كل وسيلة من وسائل التدفئة وغير المستخدمين لها، فظهرت النتائج المعروضة فـي الجـدول (١٠) التي كشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الوعي

بالسلامة؛ إذ بلغت قيمة (ت) (٥,٢٧) في اختبار الفرق بين متوسط وعي الأفراد الذين لا يستعملون الحطب أو الفحم في التدفئة ومتوسط الوعي عند غير المستعملين لها، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠)، ووصلت قيمة (ت) (٢,٧٢) في اختبار الفرق بين متوسط وعي الأفراد الذين لا يستعملون الدفّاية التي تعمل بالجاز "الكيروسين" ومتوسط وعي الأفراد الذين يستعملونها، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٧)، وهناك فرق أيضا ذو دلالة إحصائية بين متوسط الوعي عند الأفراد الذين يستعملون المكيفات ذات أجهزة التسخين (Heater) في التدفئة ومتوسط الوعي عند الأفراد الذين لا يستعملونها؛ فبلغت قيمة اختبار (ت) (٢,٨٣٣) بدلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٥)، ومثل ذلك الفرق (٢,٠٩٤) ذو الدلالة الإحصائية عند (٠,٠٣٧) بين مستوى الوعي عند مستخدمي أجهزة التكييف التي تعمل بنظام (Hot Pump) "التدفئة ذات الدورة العاكسة" وبين مستوى الوعي عند الأفراد الذين لا يستخدمونها.

أما مستوى الوعي عند مستخدمي دفّايات الزيت أو الكهرباء فلا يختلف عن مستوى وعي غيرهم، وقيمة اختبار (ت) ليس لها دلالة إحصائية لأنها أعلى من الحد المقبول (٠,٠٥).

جدول (١٠) اختبار (ت) لقياس الفرق بين درجة الوعي حسب وسيلة التدفئة

وسيلة التدفئة	الاستعمال	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
الحطب أو الفحم	نعم	٣٣	٣,٤٨	٠,٣٤٧٢	٥,٢٦٩-	٠,٠٠٠
	لا	٤٦٩	٣,٨٤	٠,٣٨٨٤		
دفاية الزيت	نعم	١٣١	٣,٨٦	٠,٣٦٧٠	١,٣١٣	٠,١٩٠
	لا	٣٧١	٣,٨٠	٠,٤٠٥٤		
دفاية الكهرباء	نعم	٢١٠	٣,٨٢	٠,٣٩٦٩	٠,٢٦١	٠,٧٩٤
	لا	٢٩٢	٣,٨١	٠,٣٩٦١		
دفاية الجاز	نعم	٨	٣,٤٤	٠,٣٩٧٢	٢,٧٢٥-	٠,٠٠٧
	لا	٤٩٤	٣,٨٢	٠,٣٩٣٥		
التكييف العادي	نعم	٥٥	٣,٦٨	٠,٣٧١٥	٢,٨٣٣-	٠,٠٠٥
	لا	٤٤٧	٣,٨٤	٠,٣٩٥٩		
تكييف HP	نعم	٧٩	٣,٩٠	٠,٣٧٣٠	٢,٠٩٤	٠,٠٣٧
	لا	٤٢٣	٣,٨٠	٠,٣٩٨٦		

٢. وسائل السلامة

تمثل طفاية الحريق في الجدول رقم (١١) أكثر وسائل السلامة توفرا عند أفراد عينة الدراسة (٤٣,٢%)؛ وجاء في المرتبة الثانية جهاز إنذار الحرائق (١٢,٢%)، وفي المرتبة الثالثة جهاز كشف الدخان (٧,٨%)، وفي المرتبة الرابعة السلم الخارجي للطوارئ (٧%)، وأخيرا جهاز رش الماء الآلي (١,٢%).

جدول (١١) توزيع أفراد العينة حسب أدوات السلامة

	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
جهاز كاشف الدخان	٣٩	٧,٨	٣,٩٥٢٨	٠,٤٣٦٤	١
طفاية الحريق	٢١٧	٤٣,٢	٣,٨٩٥٤	٠,٣٨٩٨	٢
سلم خارجي	٣٥	٧,٠	٣,٨٧٩٠	٠,٣٦٥٦	٣
جهاز إنذار الحريق	٦١	١٢,٢	٣,٧٦٨٢	٠,٤٨٨٨	٤
جهاز رش آلي	٦	١,٢	٣,٦٥١١	٠,٥٥٠١	٥

ويلحظ الباحث انخفاض عدد الأفراد الذين تتوفر لديهم وسائل السلامة الأخرى غير طفاية الحريق، ويعود ذلك – فيما يبدو – إلى أن هذه الوسائل تتطلب تجهيزات خاصة عند إنشاء البنايات، وهذه التجهيزات ليست شرطاً ملزماً عند إنشاء البنايات الخاصة، إضافة إلى ارتفاع تكلفتها المادية، مقارنة بتكلفة طفايات الحريق.

ولقياس الفرق بين مستوى الوعي عند الأفراد الذين لديهم وسائل للسلامة والأفراد الذين ليست عندهم تلك الوسائل استعمل الباحث اختبار (ت)، فأظهرت النتائج المعروضة في الجدول رقم (١٢) وجود فرق (٤,٦٥٩) ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠) بين مستوى الوعي للأفراد الذين لديهم طفاية حريق، ومستوى الوعي للأفراد الذين لا توجد لديهم طفايات حريق، كما ظهر فرق آخر، بلغت فيه قيمة (ت) (٢,٣٩٣)، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١٧) بين متوسط الوعي عند الأفراد الذين يوجد في منازلهم جهاز كاشف الدخان ومتوسط وعي الأفراد الذين لا يوجد هذا الجهاز في بيوتهم.

أما وسائل السلامة الأخرى "جهاز إنذار الحريق، وجهاز الرش الآلي، وسلم النجاة الخارجـــي" فـــلا توجـــد فـــروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى الوعي للذين لديهم تلك الوسائل ومستوى الوعي للذين لا توجد لديهم.

جدول (١٢) اختبار (ت) لقياس الفرق بين درجة الوعي حسب وسائل السلامة

وسيلة السلامة	الاستعمال	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
طفاية الحريق	نعم	٢١٧	٣,٨٩٥٤	٠,٣٨٩٨	٤,٦٥٩	٠,٠٠٠
	لا	٢٢٦	٣,٧٢١٨	٠,٣٩٣٩		
جهاز كاشف الدخان	نعم	٣٩	٣,٩٥٢٨	٠,٤٣٦٤	٢,٣٩٣	٠,٠١٧
	لا	٤٠٤	٣,٧٩٢٨	٠,٣٩٥١		
جهاز إنذار الحريق	نعم	٦١	٣,٧٦٨٢	٠,٤٨٨٨	-٠,٨١٠	٠,٤١٨
	لا	٣٨٢	٣,٨١٣٠	٠,٣٨٥٥		
جهاز رش آلي	نعم	٦	٣,٦٥١١	٠,٥٥٠١	-٠,٩٥٨	٠,٣٣٩
	لا	٤٣٧	٣,٨٠٩٠	٠,٣٩٩٠		
سلم نجاة خارجي	نعم	٣٥	٣,٨٧٩٠	٠,٣٦٥٦	١,١١٠	٠,٢٦٨
	لا	٤٠٨	٣,٨٠٠٧	٠,٤٠٣٧		

٣. ضبط مؤشر سخانات المياه عند الرقم (٦٠)

يوجـــد فـــي سخانات المياه – عادة – جهاز خاص لتنظيم درجة حرارة الماء، مما يمكن من ضبطها عند مستوىً معين، ويسمى هذا الجهاز ترموستات (Thermostat)، ويمكن الاستدلال على صلاحيته من خلال اللمبة التي تضيء عند تشغيل السخان، وتنطفئ بعـــد وصول درجة الحرارة إلى المستوى المحدد من خلال منظم الحرارة، و تعد العناية بسخانات المياه من حيث نظافتها، وضبط مؤشر الحرارة على الدرجة المعتدلة (٦٠) دليلا مهمـــا في الوعي بالسلامة، لأن مرحلة الغليان تبدأ عند (٧٠)؛ وقد يؤدي ذلك إلى انفجار السخان، وسقوط الجدران المجاورة، وإصابة الأشخاص القريبين منه.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن (٥٣,٢%) من أفراد العينة يحرصون على أن يكون مؤشـــر الحرارة عند الرقم (٦٠)، وفي هذا إشارة إلى أنهم يدركون خطورة ارتفاع درجة

الحرارة أكثر من ذلك. ودلت بيانات الجدول (١٣) على أن (١٠,٤%) من العينة يحرصون على أن يكون المؤشر على (٩٠)، وفي هذا مخاطرة بحياتهم وحياة من معهم في المنزل، وعلى العكس من ذلك- نتيجة الحذر الشديد- يحرص (٧,٨%) على أن يكون المؤشر عند الرقم (٣٠)، وفي هذا إشارة إلى أن سخانات الماء عند هؤلاء لا تعمل بصورة جيدة، لأن درجة حرارة مائها لا تزيد عن (٣٠). كما كشفت النتائج عن أن أكثر من ربع العينة (٢٦,١%) سلبيون لا يهتمون بمؤشر سخانات المياه، ولا يدرون هل وصل إلى مرحلة الغليان أم لا.

جدول (١٣) توزيع أفراد العينة حسب درجة حرارة سخان المياه

	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
تحرص على أن يكون مؤشر الحرارة لسخان المياه عند الرقم (٦٠)	٢٦٧	٥٣,٢	٣,٨٨٩٣	٠,٣٥٧٠	١
تحرص على أن يكون مؤشر الحرارة لسخان المياه عند الرقم (٣٠)	٣٩	٧,٨	٣,٨٦٢٢	٠,٤٤٤٠	٢
تحرص على أن يكون مؤشر الحرارة لسخان المياه عند الرقم (٩٠)	٥٢	١٠,٤	٣,٧٨٨٢	٠,٣٩٧٥	٣
لا أدري	١٣١	٢٦,١	٣,٦٦٩٠	٠,٤١٣٦	٤
لم يبين	١٣	٢,٦			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			

ودلت نتائج تحليل التباين المعروضة في الجدول (١٤) على وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠) بين مستوى الوعي عند الأفراد تبعا لضبط مؤشر سخانات المياه ؛ إذ بلغت القيمة الفائية (٩,٨٩٩)، ونظرا لأهمية معرفة الفئة التي يختلف مستوى الوعي عندها عن غيرها من الفئات استعمل الباحث اختبار شيفيه (Scheffe) المتحفظ للقيام بعملية المقارنات المتعددة؛ فتبين في الجدول (١٥) أن الاختلاف ذا الدلالة الإحصائية بين مستوى الوعي للأفراد الذين يضبطون مؤشر حرارة السخان عند الرقم (٦٠) والأفراد الذين لا يدرون عند أي رقم يكون.

جدول (١٤) تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا لضبط مؤشر سخانات المياه

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	٤,٣٩٠	٣	١,٤٦٣	٩,٨٩٩	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٧١,٦٩٠	٤٨٥	٠,١٤٨		
المجموع	٧٦,٠٧٩	٤٨٨			

جدول (١٥) نتيجة اختبار المقارنة المتعدد لشيفيه

ضبط مؤشر السخان		متوسط الاختلاف	الانحراف المعياري	الدلالة
عند الرقم ٦٠	لا أدري	*٠, ٢٢٠٣	٤,١٠١	٠,٠٠٠

ثالثا: المعلومات العامة عن الدفاع المدني

١. معرفة رقم طوارئ الدفاع المدني

أظهرت النتائج المعروضة في الجدول (١٦) أن (٧٤,٥%) من أفراد العينة يعرفون رقم الهاتف الخاص بطوارئ الدفاع المدني وهو (٩٩٨)، وأن (١٨,٤%)- وهم بقية أفراد العينة- لا يفرقون بين هاتف الدفاع المدني، وهاتف الدوريات الأمنية (٩٩٩)، والهلال الأحمر السعودي (٩٩٧)، وأمن الطرق (٩٩٦)، ومكافحة المخدرات (٩٩٥)، بالإضافة إلى أرقام أخرى غير مستعملة. ومعنى ذلك أن هؤلاء لديهم معلومات مغلوطة وغير صحيحة. كما أن هناك فئة أخرى من عينة الدراسة لم يستطع أفرادها اختيار الإجابة الصحيحة التي تدل على رقم الدفاع المدني لأنهم لا يدرون، ومعنى ذلك أن هؤلاء بحاجة إلى معلومات تزيل عنهم الجهل. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة "بيت المال وزنادة" التي أشارت إلى أن (٦٥,٢%) من أفراد عينة دراستهما هم الذين يعرفون رقم طوارئ الدفاع المدني.

جدول (١٦) رقم طوارئ الدفاع المدني حسب إجابات أفراد العينة

رقم الطوارئ	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أرقام أخرى (٩١١) (١١٩)	٢	٠,٤	٤,٠٠٠٩	٠,١٦٢٨	١
لا أدري	١٣	٢,٦	٣,٩٦٨٣	٠,٣٤١٠	٢
الدفاع المدني ٩٩٨	٣٧٤	٧٤,٥	٣,٨٤٠٦	٠,٣٨٨٢	٣
الدوريات الأمنية ٩٩٩	٢٦	٥,٢	٣,٧٢٦١	٠,٣٣٨٦	٤
الهلال الأحمر السعودي ٩٩٧	٥٧	١١,٤	٣,٦٨٩٩	٠,٤٢١٦	٥
أمن الطرق ٩٩٦	٤	٠,٨	٣,٣١٥٨	٠,٦٠١٦	٦
مكافحة المخدرات ٩٩٥	٣	٠,٦	٣,٣٠٢١	٠,٣٤٩٠	٧
لم يبين	٢٣	٤,٦			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			

وأظهــرت بــيانات الجــدول (١٧) وجــود فرق دال إحصائيا بين مستوى الوعي بالســلامة عــند الأفراد الذين يعرفون رقم طوارئ الدفاع المدني (٩٩٨) ومستوى الوعي عــند الأفــراد الذيــن أخطؤوا فيه أو لم يعرفوه، وبلغت قيمة اختبار (ت) (٢,٩٠٨) عند مستوى (٠,٠٠٤)، فالمتوسط الحسابي لمستوى الوعي بالسلامة عند من يعرف رقم الدفاع المدنـــي (٣,٨٤)، ومتوسط الوعي عند من لا يعرفونه أو أخطؤوا فيه (٣,٧١). ومع أن متوسط الوعي عند بعض الفئات التي أخطأت في رقم طوارئ الدفاع المدني كان مرتفعاً، إلا أن الفــرق بينه وبين متوسطات الوعي الأخرى ليست له دلالة إحصائية حسب نتيجة اختبار تحليل التباين الذي أجراه الباحث.

جدول (١٧) نتيجة اختبار "ت" لقياس الفرق بين درجة الوعي حسب معرفة رقم الطوارئ

رقم طوارئ الدفاع المدني	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
٩٩٨	٣٧٤	٣,٨٤٠٦	٠,٣٨٨٢	٢,٩٠٨-	٠,٠٠٤
أرقام أخرى	١٠٥	٣,٧١٤١	٠,٤١٣٣		

١. معرفة أقرب مركز للدفاع المدني

ثلث أفراد العينة– تقريبا (٣١,٣%)- لا يعرفون أقرب مركز للدفاع المدني جدول (١٨)، وتعــد هــذه نســبة مرتفعة نسبيا، وقد يعود ذلك إلى انخفاض عدد مراكز الدفاع المدنـــي أو أن مواقعهـــا غير بارزة. بمعنى أنها تكون داخل بعض الأحياء، وبالتالي فإن

سـكان الأحياء الأخرى قد لا يعرفون موقعها، وتقدر نسبة وعي هذه الفئة بحوالي (٣,٦٨). في حين تقدر نسبة وعي الفئة التي تعرف مقر أقرب مركز للدفاع المدني بـــ (٣,٨٨)، ويمثل هؤلاء (٦٧,٧%) من أفراد العينة.

جدول (١٨) توزيع أفراد العينة حسب معرفتهم لأقرب مركز للدفاع المدني

	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري
نعم	٣٤٠	٦٧,٧	٣,٨٨١٥	٠,٣٧٢٢
لا	١٥٧	٣١,٣	٣,٦٨٣٢	٠,٤١٦٠
لم يبين	٥	١,٠		
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠		

ولمعرفة قيمة الفرق بين وعي هاتين المجموعتين استعمل الباحث اختبار (ت) جدول (١٩) فتبين أن قيمة (ت) (٥,٣١٧) ذات دلالة إحصائية، مما يعني أن معرفة أقرب مركز للدفاع المدني تساعد على زيادة مستوى الوعي بالسلامة.

جدول (١٩) نتيجة اختبار "ت" لقياس الفرق بين درجة الوعي حسب معرفة أقرب مركز للدفاع المدني

معرفة خدمات الدفاع المدني	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
نعم	٣٤٠	٣,٨٨١٥	٠,٣٧٢٢	٥,٣١٧	٠,٠٠٠
لا	١٥٧	٣,٦٨٣٢	٠,٤١٦٠		

١. معرفة خدمات الدفاع المدني

ينظر (٧١,٣%) من أفراد العينة للدفاع المدني– حسب بيانات الجدول (٢٠)– على أنه الجهة التي تقدم خدمة إطفاء الحرائق، وإنقاذ المصابين، وإسعاف المرضى، وهذه هي الإجابة الصحيحة حسب ما جاء في نظام الدفاع المدني، بينما قصر (١٠,٢%) من العينة خدماتـــه على إطفاء الحرائق فقط، وأشارت نسبة قليلة (١,٦%) إلى أن الدفاع المدني ينقذ المصابين فقط، وجمـــعت فئة أخرى (١,٤%) بين إطفاء الحرائق وإنقاذ المصابين، وذكر (٠,٨%) مـــن مجموع العينة أن الدفاع المدني يتولى إسعاف المرضى فقط، ومثل هؤلاء

أولئك الذين يرون أن الدفاع المدني لا يقدم أياً من هذه الخدمات الثلاث، أما الذين يجهلون الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني فنسبتهم قليلة جدا، فهي لم تتجاوز (٠,٤%) من مجموع أفراد العينة.

جدول (٢٠) توزيع أفراد العينة حسب الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني

	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
إطفاء الحرائق، وإنقاذ المصابين، وإسعاف المرضى	٣٥٨	٧١,٣	٣,٨٤٥٨	٠,٣٨٥٦	١
لا يقومون بشيء	٤	٠,٨	٣,٧٣٦٨	٠,٣٠٠٨	٢
إطفاء الحرائق فقط	٥١	١٠,٢	٣,٦٤٩٥	٠,٤١٢٨	٣
إطفاء الحرائق وإنقاذ المصابين	٧	١,٤	٣,٦٣١٦	٠,٣٤٣٨	٤
لا أدري	٢	٠,٤	٣,٦٠٥٣	٠,٣٣٤٩	٥
إنقاذ المصابين فقط	٨	١,٦	٣,٦٠٤٢	٠,٤٥٤٣	٦
إسعاف المرضى فقط	٤	٠,٨	٣,٥٩١٤	٠,٦٨٩٠	٧
لم يبين	٦٨	١٣,٥			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			

ولمعرفة الفرق بين مستوى الوعي عند أفراد العينة أصحاب الإجابة الصحيحة عن الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني، ومستوى الوعي عند غيرهم استعمل الباحث اختبار (ت) فظهرت النتائج المعروضة في الجدول (٢١) التي تدل على وجود فرق بلغت فيه قيمة (ت) (٤,٠٧) وهي ذات دلالة إحصائية بين مستوى الوعي بالسلامة عند هاتين الفئتين.

ويشير الجدول (٢١) إلى أن الفرق لصالح الفئة التي تعرف الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني؛ إذ بلغ المتوسط الحسابي للوعي عند هذه الفئة (٣,٨) بينما وصل متوسط الوعي عند الفئة التي لا تعرف جميع الخدمات التي يقدمها الدفاع المدني أو تجهلها (٣,٦).

جدول (٢١) نتيجة اختبار "ت" لقياس الفرق بين درجة الوعي حسب معرفة خدمات الدفاع المدني

معرفة خدمات الدفاع المدني	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة
لا	٧٧	٣,٦٤٦٧	٠,٤٠٧٣	٤,٠٧٠-	٠,٠٠٠
نعم	٣٥٨	٣,٨٤٥٨	٠,٣٨٥٦		

رابعا: التصرف في الحالات الطارئة

يُعَبِّر السلوك والتصرف الذي يمارسه الإنسان – عادة – عن مستوى الوعي الذي وصل إليه، والمعرفة التي يمتلكها، وتشير الدراسات والأبحاث إلى "خمسة عوامل نفسية داخلية تتدخل بين الأحداث المشاهَدة والسلوك الملاحظ، وتلك العوامل هي: الإدراك والتعلم والشخصية والدوافع والقدرات." (سيزلاقي، ووالاس، ١٤١٢هـ :٥٤).

ولمعرفة السلوك المتوقع عند وقوع بعض الحالات الطارئة سأل الباحث أفراد العينة عن أول عمل سيقومون به إذا شعروا بتسرب الغاز في المطبخ، أو إذا اشتعلت النار في زيت القلي، أو إذا رأوا شخصا يغرق في الماء، أو إذا شب حريق في المنزل، أو إذا رأوا شخصا يصعقه التيار الكهربائي، أو إذا انسكب سائل حار على أحد الأطفال.

وفيما يلي يعرض الباحث للأفعال التي سيقوم بها أفراد العينة في كل حادثة من حوادث الحالة الطارئة

١. تسرب الغاز داخل المطبخ

تشير بيانات الجدول (٢٢) إلى أن (٩١%) من أفراد العينة سيتصرفون تصرفا صحيحا إذا شعروا بتسرب الغاز في المطبخ، إذ سيغلقون أنبوبة الغاز من أجل إيقاف تسرب الغاز، وسيفتحون النافذة من أجل طرد الغاز المتجمع داخل المطبخ واستبداله بهواء نقي، وسيبتعدون عن أي مصدر للشرر الذي قد يؤدي إلى اشتعال النار، وتعد هذه النسبة مرتفعة جدا مدللة على أن أفراد العينة لديهم مستوى عال من الوعي بخطورة الغاز، ولذلك جاءت تصرفاتهم سليمة وحذرة في الوقت ذاته. وفي نظرة أخرى للجدول نفسه يتبين أن نسبة الذين قد يُعرِّضون أنفسهم للخطر بسبب تشغيل مروحة طرد الهواء "الشفط" منخفضة جدا (٥,٢%)، ويتبين أيضا وجود فئة قليلة جدا (١,٦%) سيستنجدون بمن حولهم أو سيهربون من المواجهة، أو سيخرجون الأطفال من البيت حماية لهم من

الإصابات التي قد تقع.

جدول (٢٢) السلوك المتوقع لأفراد العينة عند تسرب الغاز في المطبخ

السلوك المتوقع عند تسرب الغاز	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أغلق أنبوبة الغاز، ثم أفتح النافذة، وأبتعد عن أي مصدر لإحداث الشرر	٤٥٧	٩١	٣,٨٣٦٥	٠,٣٨١٩	١
أخرى "أستنجد بمن حولي، أهرب لا أدري، أبعد الأطفال"	٨	١,٦	٣,٦٥٤٢	٠,٦٦٢٥	٢
أشغل مروحة الشفط ثم أغلق أنبوبة الغاز	٢٦	٥,٢	٣,٦١٠٣	٠,٤٤١٤	٣
لم يبين	١١	٢,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٧٨٩,٥٨٥		قيمة P= ٠,٠٠٠			

ومن أجل معرفة مدى وجود اختلاف في مستوى الوعي بالسلامة تبعا لنوع السلوك عند تسرب الغاز في المطبخ أجرى الباحث تحليل التباين، فبينت النتائج المعروضة في الجدول (٢٣) وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الوعي بين سلوك أفراد العينة إذا شعروا بتسرب الغاز داخل المطبخ، وقد بلغت قيمة (ف) (٤,٨٧٣) وهي دالة إحصائيا عند مستوى (٠,٠٠٨).

جدول (٢٣) تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند تسرب الغاز في المطبخ

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	١,٤٨٦	٢	٠,٧٤٣	٤,٨٧٣	٠,٠٠٨
داخل المجموعات	٧٤,٤٣٣	٤٨٨	٠,١٥٣		
المجموع	٧٥,٩٢٠	٤٩٠			

ولأهمية معرفة الأفراد الذين يختلف وعيهم اختلافا ذا دلالة عن وعي غيرهم، أجرى الباحث مقارنات متعددة عن طريق اختبار (Scheffe) المتحفظ ودلت نتائجه- في الجدول (٢٤)- على أن الاختلاف في مستوى الوعي بين الأفراد الذين سيغلقون أنبوبة الغاز ويفتحون النافذة ثم يبتعدون عن أي مصدر للشرر، ومستوى وعي الأفراد الذين سيشغلون مروحة طرد الهواء، وبلغت قيمة الاختلاف (٠,٠٢٢٦)، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١٧).

جدول (٢٤) نتيجة اختبار المقارنة المتعدد لشيفي

اشعل مروحة الشفط ثم أغلق أنبوبة الغاز	متوسط الفروق	الانحراف المعياري	الدلالة
اغلق أنبوبة الغاز، ثم افتح النافذة، وابتعد عن أي مصدر لإحداث الشرر	٠,٢٢٦٢(*)	٧,٨٧٤	٠,٠١٧

٢. اشتعال النار في زيت القلي

دل الجدول (٢٥) على أن (٧٣,٥%) من أفراد العينة سيغلقون الفرن، ويغطون زيت القلي المشتعل بأي غطاء يمنع الأكسجين عن النار المشتعلة، وأن (١٣,٥%) سيكتفون بإغلاق الفرن فقط، ويتركون النار المشتعلة في الزيت، وسيزيد (٥,٤%) من العينة اشتعال النار إذا حاولوا إطفاء النار بالماء، كما دل الجدول على وجود أفراد سلبيين - غير إيجابيين - كون نسبة (٣,٢%) سيخرجون من المطبخ، وينتظرون حتى تخمد النار.

جدول (٢٥) السلوك المتوقع لأفراد العينة عند اشتعال النار في زيت القلي

السلوك المتوقع عند اشتعال النار في زيت القلي	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أغلق الفرن وأغطي النار المشتعلة بغطاء يمنع الهواء	٣٦٩	٧٣,٥	٣,٨٨٨٢	٠,٣٦٣٣	١
أغلق الفرن	٦٨	١٣,٥	٣,٧٧٥١	٠,٣٠٤٥	٢
أخرى	٥	١,٠	٣,٦٨٧١	٠,٤١٦٢	٣
أطفئ النار بالماء	٢٧	٥,٤	٣,٤٢٢٨	٠,٤٢٣٢	٤
أخرج من المطبخ وأنتظر حتى تخمد النار	١٦	٣,٢	٣,٢٩٦١	٠,٤٧٨٥	٥
لم يبين	١٧	٣,٤			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٩٧٦,٨٠٤		قيمة P= ٠,٠٠٠			

وأظهرت نتائج تحليل التباين المعروضة في الجدول (٢٦) وجود اختلاف في الوعي بالسلامة بين الأفراد تبعا لأول فعل سيقومون به إذا اشتعلت النار في زيت القلي عندهم، وبلغت القيمة الفائية لهذا الاختلاف (١٩,٩٧٦*) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠).

جدول (٢٦) تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند اشتعال النار في زيت القلي

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	١٠,٥٨٣	٤	٢,٦٤٦	١٩,٩٧٦	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٦٣,٥٧٦	٤٨٠	٠,١٣٢		
المجموع	٧٤,١٥٩	٤٨٤			

ولأهمية معرفة الأفراد الذين يختلف مستوى الوعي بالسلامة عندهم اختلافا ذا دلالة إحصائية عن مستوى الوعي عند غيرهم، أجرى الباحث مقارنات متعددة عن طريق اختبار شيفيه (Scheffe)- المتحفظ "جدول (٢٧)"- فتبين أن الاختلاف بين وعي الأفراد الذين سيغلقون الفرن، ويغطون النار بغطاء يمنع الـهواء ووعي كل من الذين سيطـفئون النار المشتعلة في الزيـت بالماء (٠,٤٦٥*)، والذين سيخرجون من المطبخ وينتظرون حتى تخمد النار (٠,٥٩٢*). وهاتان القيمتان دالّتان إحصائيا عنـد مستـوى (٠,٠٠٠).

جدول (٢٧) نتيجة اختبار شيفيه بشأن اختلاف السلوك أثناء اشتعال النار في زيت القلي باختلاف درجة الوعي

		متوسط الفروق	الانحراف المعياري	الدلالة
أغلق الفرن وأغطي النار المشتعلة بغطاء يمنع الهواء	أطفئ النار بالماء	٠,٤٦٥٤(*)	٧,٢٥٦	٠,٠٠٠
	أخرج من المطبخ وأنتظر حتى تخمد النار	٠,٥٩٢٢(*)	٩,٢٩٤	٠,٠٠٠
أغلق الفرن	أطفئ النار بالماء	٠,٣٥٢٣(*)	٨,٢٧٨	٠,٠٠١
	أخرج من المطبخ وأنتظر حتى تخمد النار	٠,٤٧٩١(*)	٠,١٠١١	٠,٠٠٠

كما أظهرت النتائج اختلافا أيضا بين مستوى الوعي عند الأفراد الذين سيغلقون الفرن إذا اشتعلت النار في زيت القلي، ومسـتوى الوعـي عند كل من: الأفراد الذين سيطفئون النار بالماء (٠,٣٥٢*)، والأفراد الذين سيخرجون من المطبخ وينتظرون حتى تخمد النار (٠,٤٧٩*). وهاتان القيمتان دالتان إحصائيا عند مستوى (٠,٠٠١)، و (٠,٠٠٠) على التوالي.

٣. رؤية الغريق

انقسمت تصرفات أفراد العينة عند رؤية الشخص الذي يغرق في الماء إلى ستة أقسام جدول (٢٨)؛ وأفاد القسم الأول- وهو أكثرهم (٥١,٤%)- بأنهم سيرمون طوق النجاة، أو حبلا يسحبون به الغريق خارج الماء، أما القسم الثاني- وهم الأكثر إيجابية، وهم القادرون على السباحة فسينزلون في الماء لإنقاذ الغريق، وتقدر نسبة هؤلاء بحوالي (١٨,٧%) من مجموع أفراد العينة، وسيبادر (١٢,٩%)، وهم القسم الثالث بالاتصال بالدفاع المدني لينوب عنهم في إنقاذ الغريق. أما القسم الرابع فأول عمل سيقومون به (٩,٦%) هو تقديم بعض التعليمات التي قد تساعد الغريق على النجاة، في حين سيستنجد (٢,٦%) بمن حولهم من الناس. أما القسم السادس (٠,٢%) فهم أكثر أفراد العينة سلبية، وهم الذين حيّرهم الموقف ولا يدرون ما يفعلون.

جدول (٢٨) السلوك المتوقع لأفراد العينة عندما يغرق أحد الأشخاص

السلوك المتوقع إذا غرق أحد الأشخاص	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أرمي له طوق النجاة أو حبلا أسحبه به	٢٥٨	٥١,٤	٣,٨٥٠٨	٠,٣٧٣٩	١
أعطيه بعض التعليمات التي تساعده في النجاة من الغرق	٤٨	٩,٦	٣,٨٤٦٢	٠,٤٠٦٩	٢
أتصل بالدفاع المدني	٦٥	١٢,٩	٣,٧٨٧١	٠,٤٥٣٠	٣
لا أدري	١	٠,٢	٣,٧٨٧١	٠,٤٥٣٠	٤
أنزل في الماء لإنقاذه	٩٤	١٨,٧	٣,٧٢٣٠	٠,٣٧٠٤	٥
أستنجد من حولي	١٣	٢,٦	٣,٦٩٤٣	٠,٤٥٧٠	٦
لم يبين	٢٣	٤,٦			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي =٥٤٩,٣٨٠		قيمة P= ٠,٠٠٠			

وتشير هذه النتائج إلى أن عددا كبيرا من أفراد العينة لا يجيدون السباحة، وأن آخرين قد يذهبون إلى أماكن السباحة دون أن يصطحبوا معهم الأدوات المعينة على الطفو فوق الماء، مثل طوق النجاة، كما أن هناك عددا آخر لم يقدّروا الوقت الذي تستغرقه سيارات الدفاع المدني في الوصول إلى مكان الغرق، وهذه كلها مؤشرات تدل على انخفاض مستوى الوعي بالسلامة عند ارتياد أماكن السباحة.

وبينــت نتائج تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند رؤية الغريق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية (جدول ٢٩). وبناء على ذلك فإن الفرضية الصفرية "لا توجد فروق في مستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند رؤية الغريق" فرضية مقبولة.

جدول (٢٩) تحليل التباين في الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند رؤية الغريق

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	١,٤١٠	٤	٠,٣٥٢	٢,٣١١	٠,٠٥٧
داخل المجموعات	٧٢,١٢٠	٤٧٣	٠,١٥٢		
المجموع	٧٣,٥٣٠	٤٧٧			

٤. نشوب حريق في المنزل

دلت بيانات الجدول (٣٠) على أول عمل سيقوم به أفراد العينة إذا شب حريق في منازلهم؛ إذ سيُخرِج (٤٥%) منهم الأطفال والنساء من المنزل حمايةً لأرواحهم ومساهمةً فاعلــةً فـــي تقلـــيل الإصـــابات بيـــن الأفراد، وسيقطع (٢٥,٣%) من أفراد العينة التيار الكهربائـــي حتى لا يتسبب في توسيع دائرة الحريق، في حين سيستدعي (١٣,٥%) الدفاع المدنـــي ليـــتولى إطفاء الحريق، بينما انبرى (١٢%) لإطفاء الحريق، واكتفى (١%) من أفراد العينة بالهرب أو الصراخ.

جدول (٣٠) السلوك المتوقع لأفراد العينة عند نشوب حريق في المنزل

السلوك المتوقع إذا نشب حريق في المنزل	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
الاتصال بالدفاع المدني	٦٨	١٣,٥	٣,٩٨٣١	٠,٣٥٦٥	١
قطع التيار الكهربائي	١٢٧	٢٥,٣	٣,٧٨٥١	٠,٣٤٠١	٢
إخراج الأطفال والنساء من المنزل	٢٢٦	٤٥,٠	٣,٨٢٢٥	٠,٣٨٢٥	٣
محاولة إطفاء الحريق	٦٠	١٢,٠	٣,٥٣٣٢	٠,٣٤٥٨	٤
أخرى"أهرب، أصرخ"	٥	١,٠	٢,٩٠٢٣	٠,٤٧٤٢	٥
لم يبين	١٦	٣,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٢٩٠,٢٧٦		قيمة P= ٠,٠٠٠			

وكشفت نتائج تحليل التباين جدول (٣١) عن وجود اختلاف في مستوى الوعي تبعا للســلوك المتوقع عند نشوب حريق في المنزل، إذ بلغت القيمة الفائية (٢١,٢٨٥) ، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠).

جدول (٣١) تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عندما يشب حريق في المنزل

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	١١,٣٢١	٤	٢,٨٣٠	٢١,٢٨٥	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٦٣,٩٥٧	٤٨١	٠,١٣٣		
المجموع	٧٥,٢٧٧	٤٨٥			

ولأهمــية معــرفة أي الســلوك يختلف اختلافا ذا دلالة عن غيره استعمل الباحث اختــبار (Scheffe) المتحفظ للقيام بعملية المقارنات المتعددة جدول (٣٢)، فدلت النتائج - بعــد تحــيد الذيــن سيهربون أو يصرخون لقلتهم - على أن هناك اختلافا في مستوى الوعــي بيــن الأفراد الذين سيحاولون إطفاء الحريق، ومستوى الوعي عند كل من الذين ســيقطعون التــيار الكهربائي (٥,٦٩٦*)، والذين سيخرجون الأطفال والنساء من المنزل حمايــة لهم من الإصابات (٥,٢٨*)، والذين سيتصلون بالدفاع المدني (٦,٤٤*)، ودلالة هذه القيم الثلاث عند مستوى (٠,٠٠٠).

جدول (٣٢) نتيجة اختبار شيفيه بشأن اختلاف الوعي
باختلاف السلوك أثناء نشوب حريق في المنزل

		متوسط الفروق	الانحراف المعياري	الدلالة
محاولة إطفاء الحريق	قطع التيار الكهربائي	٠,٣٤١٩(*)	٥,٦٩٦	٠,٠٠٠
	إخراج الأطفال والنساء من المنزل	٠,٢٨٩٣(*)	٥,٢٨٠	٠,٠٠٠
	الاتصال بالدفاع المدني	٠,٤٤٩٩(*)	٦,٤٤٠	٠,٠٠٠
الاتصال بالدفاع المدني	إخراج الأطفال والنساء من المنزل	٠,١٦٠٦(*)	٥,٠٢٩	٠,٠١٨

كمــا دلت النتائج على وجود اختلاف بلغت قيمته (٠,١٦٠٦*) في مستوى الوعي بين الأفــراد الذيــن سيتصلون بالدفاع المدني ومستوى الوعي عند الذين سيخرجون الأطفال

والنساء من المنزل.

٥. الصعق الكهربائي

أظهرت البيانات المعروضة في الجدول (٣٣) أن أكثر من نصف العينة (٥٦,٤%) سيقطعون التيار الكهربائي إذا رأوا أحد الأشخاص يصعقه التيار، لأنهم يدركون أن التيار الكهربائي مصدر الخطر، وأن قطع التيار يُمكِّنهم من التعامل مع الشخص مباشرة دون تردد، كما أدرك (٣١,١%) أن الملامسة المباشرة لجسد الشخص الذي يصعقه التيار تؤدي إلى انتقال التيار إليهم، ولذلك سيحاولون إبعاد الشخص عن التيار عن طريق الإمساك بثوبه أو أي قطعة غير ناقلة للتيار الكهربائي، ودلت النتائج على وجود فئة اتكالية تعتمد على الآخرين في تقديم العون لهم دون أن يبادروا لنيله بأنفسهم. فقد أشار (٧%) من أفراد العينة إلى أنهم سيتصلون بالدفاع المدني لإنقاذ الشخص من الصعق الكهربائي، وكشف الجدول أيضا عن فئة قليلة غير واعية بخطورة التيار الكهربائي، ولا يعرفون الوسائل التي ينتقل عبرها التيار؛ وقد ذكر (١,٨%) أنهم سيسحبون الشخص بيده ليبعدوه عن مصدر الصعق، أما أكثرهم سلبية (١%) فهم الذين اكتفوا بالصراخ، أو الهرب من موقع الحدث، أو لا يدرون ماذا يفعلون.

جدول (٣٣) السلوك المتوقع لأفراد العينة عندما تصعق الكهرباء أحد الأشخاص

السلوك المتوقع عند الصعق الكهربائي	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أقطع التيار الكهربائي	٢٨٣	٥٦,٤	٣,٨٨٦٧	٠,٣٦٤٢	١
أسحبه بثوبه أو أي قطعة أخرى لأبعده عن مصدر التيار الكهربائي	١٥٦	٣١,١	٣,٧٧٣٦	٠,٣٧٥٥	٢
أتصل بالدفاع المدني	٣٥	٧,٠	٣,٧٠٠٨	٠,٤٠٥٨	٣
أسحبه بيده لأبعده عن مصدر التيار	٩	١,٨	٣,٢٥٠٨	٠,٥٣٢٤	٤
أخرى "لا أدري، أصرخ، أهرب"	٥	١,٠	٣,١٦٨٤	٠,٥١٧٦	٥
لم يبين	١٤	٢,٨			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٥٩٥,٥٦٦			قيمة P = ٠,٠٠٠		

وأظهرت نتائج تحليل التباين المعروضة في الجدول (٣٤) اختلافا في مستوى الوعي تبعا لاختلاف السلوك المتوقع عندما تصعق الكهرباء أحد الأشخاص؛ إذ بلغت القيمة الفائية للتباين (١٢,٦٢٤) بدلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٠٠).

جدول (٣٤) تحليل التباين في مستوى الوعي بالسلامة تبعا للسلوك المتوقع عندما تصعق الكهرباء أحد الأشخاص

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	٧,١٣٠	٤	١,٧٨٢	١٢,٦٢٤	٠,٠٠٠
داخل المجموعات	٦٨,١٩٧	٤٨٣	٠,١٤١		
المجموع	٧٥,٣٢٧	٤٨٧			

ولمعـرفة السـلوك الذي يختلف فيه مستوى الوعي عن غيره استعمل الباحث اختـبار شـيفيه (Scheffe) المتحفظ للقيام بعملية المقارنات المتعددة جدول (٣٥)، فكشـفت النـتائج عن وجود اختلاف في مستوى الوعي بين الأفراد الذين سيسحبون الشـخص – الذي تصعقه الكهرباء – بيده ومستوى الوعي عند كل من الأفراد الذين سيتصـلون بالدفاع المدني (٠,٤٥٠*)، ومن سيقطع التيار الكـهربائي (٠,٦٣٥٩*)، والذين سيسـحبونه بأي قطعة لا توصل الكـهرباء (٠,٥٢٢٨*)، كما أن هناك فرقا آخـر بين مستوى الوعي عند الأفراد الذين سيصرخون أو يهربون أو لا يدرون ماذا يفعلـون ومستوى الوعي عند كل من الذين سيقطعون التيار الكهربائي (٠,٧١٨٣*)، والذين سيبعدون الشخص عن التيار بأي قطعة لا توصل الكهرباء (٠,٦٠٥٢*).

جدول (٣٥) نتيجة اختبار شيفيه بشأن اختلاف الوعي باختلاف السلوك عندما تصعق الكهرباء أحد الأشخاص

		المتوسط	الانحراف المعياري	الدلالة
أتصل بالدفاع المدني	أسحبه بيده لأبعده عن مصدر التيار	٠,٤٥٠٠(*)	٠,١٤٠٤	٠,٠٣٨
أقطع التيار الكهربائي	أسحبه بيده لأبعده عن مصدر التيار	٠,٦٣٥٩(*)	٠,١٢٧٢	٠,٠٠٠
	أخرى "لا أدري، أصرخ، أهرب"	٠,٧١٨٣(*)	٠,١٦٩٥	٠,٠٠١
أسحبه بثوبه أو بأي قطعة قماش أخرى لأبعده عن مصدر التيار الكهرباء	أسحبه بيده لأبعده عن مصدر التيار	٠,٥٢٢٨(*)	٠,١٢٨٨	٠,٠٠٣
	أخرى "لا أدري، أصرخ، أهرب"	٠,٦٠٥٢(*)	٠,١٧٠٧	٠,٠١٤

٦. انسكاب السائل الحار على أحد الأطفال

إذا انسكب سائل حار على أحد الأطفال فإن أول عمل سيعمله أفراد العينة جدول (٣٦) هو تخفيف الألم بالماء البارد (٥٤,٢%)، أو خلع الملابس الملاصقة (١٦,٩%)، أو الذهاب به للمستشفى (١٦,٣%)، أو تخفيف الألم بوضع كمية من معجون الأسنان على موضع الألم (٤%)، أو تغطية الألم بمرهم الحروق (٢,٨%) وقد يخفف بعضهم الألم بمعجون الطماطم، أو البيض المخفوق، أو العسل الطبيعي، أو الحليب البارد (٢,٤%).

جدول (٣٦) السلوك المتوقع لأفراد العينة إذا انسكب سائل حار على أحد الأطفال

السلوك المتوقع إذا انسكب سائل حار على الطفل	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
أضع مرهم الحروق على مكان الألم	١٤	٢,٨	٣,٩١١٤	٠,٢٦٠٢	١
أذهب به للمستشفى على الفور	٨٢	١٦,٣	٣,٨٤٠٢	٠,٤٠٤٦	٢
أخفف الألم بالماء البارد	٢٧٢	٥٤,٢	٣,٨٢٢٣	٠,٤٠٦١	٣
أخلع الملابس الملاصقة للألم	٨٥	١٦,٩	٣,٨١٨٦	٠,٣٦٠١	٤
أخرى" معجون الطماطم، بيض مخفوق، عسل طبيعي، حليب بارد	١٢	٢,٤	٣,٦٨١٠	٠,٤٣٧٣	٥
أضع معجون أسنان على مكان الألم	٢٠	٤,٠	٣,٦٦١١	٠,٣٤٧٠	٦
لم يبين	١٧	٣,٤			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٦١١,٩٨٦			قيمة P = ٠,٠٠٠		

وتشير هذه البيانات إلى أن نسبة كبيرة من أفراد العينة سيخففون الألم بعدد من الوسائل المتاحة، وهذا في حد ذاته مؤشر إيجابي يدل على مستوى الوعي بسلامة الأطفال، كما أن نزع الملابس الملاصقة في حد ذاتها وسيلة من وسائل تخفيف الألم بحيث تسمح لتيار الهواء بتلطيف منطقة الألم، ولكن الغريب في هذه النتيجة هو انخفاض نسبة الأفراد الذين سيستعملون مرهم الحروق، ومعنى ذلك أن أكثر أفراد العينة لا يوجد في منازلهم صيدلية توضع بها الضمادات التي يمكن استعمالها في الحالات الطارئة مثل هذا الحادث وهو انسكاب السائل الحار على أحد الأطفال.

جدول (٣٧) تحليل التباين بين السلوك المتوقع إذا انسكب سائل حار على أحد الأطفال على مستوى الوعي بالسلامة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة
بين المجموعات	٠,٨٨٤	٥	٠,١٧٧	١,١٤٣	٠,٣٣٧
داخل المجموعات	٧٤,١٢٨	٤٧٩	٠,١٥٥		
المجموع	٧٥,٠١٣	٤٨٤			

وبينت نتائج تحليل التباين لمستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند انسكاب السائل الحــار على أحد الأطفال في الجدول (٣٧) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وبناء علــى ذلك فإن الفرضية الصفرية "لا توجد فروق في مستوى الوعي تبعا للسلوك المتوقع عند انسكاب السائل الحار على أحد الأطفال" فرضية مقبولة.

لقــد أنعكــس مستوى الوعي على السلوك المتوقع في الحالات الطارئة، إذ أشارت نــتائج اختبار مربع كاي (الجدول ٣٨) إلى وجود علاقة متوسطة حسب مقياس كرامرز فــي (Cramer's V) وذات دلالة إحصائية مهمة بين مستوى الوعي والسلوك المتوقع عــند تســرب الغــاز، واشــتعال النار في زيت القلي، ونشوب نار في البيت، والصعق الكهربائي، انسكاب السائل الحار على أحد الأطفال.

جدول (٣٨) نتائج اختبار مربع كاي "العلاقة بين مستوى الوعي والسلوك المتوقع في الحالات الطارئة

العلاقة بين مستوى الوعي وكل من:	مربع كاي	الدلالة	قوة العلاقة (Cramer's V)	الدلالة
السلوك عند تسرب الغاز	٢٦٩,٦	٠,٠٠	٠,٥٢٤	٠,٠٠
السلوك عند اشتعال النار في زيت القلي	٤٦٩,٠٥	٠,٠٠	٠,٤٩٢	٠,٠٠
السلوك عند رؤية الغريق	٣٣٧,٦	٠,١١٨	ليس له دلالة	
السلوك عند نشوب حريق في المنزل	٥٣٢,٤	٠,٠٠	٠,٥٢٣	٠,٠٠
السلوك عند الصعق الكهربائي	٥٧٨,٠٤	٠,٠٠	٠,٥٤٤	٠,٠٠
السلوك عند انسكاب السائل الحار	٥٠٥,٥	٠,٠٠	٠,٤٥٧	٠,٠٠

خامسا: التعرض لوسائل الإعلام

١. قراءة الصحف السعودية

انقسم أفراد العينة من حيث متابعة الصحف السعودية إلى قسمين؛ جدول (٣٩) القسم الأول: غير المنتظمين، أو الذين لم يواظبوا على قراءتها وهم الذين يمكن أن يَمُرّ عليهم أكثر من أسبوع دون أن يقرؤوا الصحف، وتقدر نسبة هؤلاء بحوالي (٣٨%) من مجموع أفراد العينة، والقسم الثاني المنتظمون أو المداومون على قراءة الصحف بحيث لا يمر أكثر من أسبوع دون أن يقرؤوها، ويمثل هؤلاء حوالي (٦٠%).

جدول (٣٩) مستوى تعرض أفراد العينة للصحف السعودية

القراءة	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
يوميا	١٧٤	٣٤,٧	٣,٨٧٧٢	٠,٣٥٤٨	١
يومان في الأسبوع	٢٤	٤,٨	٣,٨٧٥٢	٠,٤٢٠١	٢
ستة أيام في الأسبوع	٨	١,٦	٣,٨٦٦٠	٠,٣٥٩٠	٣
أربعة أيام في الأسبوع	٢٨	٥,٦	٣,٨٤٩٩	٠,٤٣١٧	٤
ثلاثة أيام في الأسبوع	٢١	٤,٢	٣,٨٢٥٥	٠,٣٩٢٨	٥
خمسة أيام في الأسبوع	٢١	٤,٢	٣,٨٢١٢	٠,٤٨١٧	٦
يوم واحد في الأسبوع	٢٤	٤,٨	٣,٧٨٨١	٠,٣٨٧٠	٧
أحيانا	١٩١	٣٨,٠	٣,٧٦٣٤	٠,٤٠٦٦	٨
لم يبين	١١	٢,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٦٤٣,٦٤٨			قيمة P = ٠,٠٠٠		

حتى مع ارتفاع نسبة المواظبين على قراءة الصحف السعودية إلا أن مستوى هذه المواظبة ليس واحداً؛ فأكثر الفئات مواظبة أولئك الذين يحرصون على قراءتها يوميا (٣٤,٧%)، ويأتي بعدهم الذين يقرؤون الصحف أربعة أيام في الأسبوع (٥,٦%)، ثم الذين يقرؤونها يوما واحدا أو يومين في الأسبوع (٤,٨%) لكل منهما، ثم الذين يقرؤونها خمسة أيام أو ثلاثة أيام في الأسبوع (٤,٢%) لكل منهما، وأخيرا من يقرأ الصحف السعودية ستة أيام في الأسبوع (١,٦%).

وفي نظرة أخرى للجدول (٣٩) يتبين أن (٦٣,٢%) من أفراد العينة لم يصلوا إلى مرحلة الارتباط الوثيق بالصحف السعودية، أو مرحلة الانتماء العاطفي الذي يدفعهم

لقراءتها يوميا، وتظهر هذه النتيجة الحاجة إلى تحديد أيام الأسبوع التي يقرأ فيها الجمهور السعودي الصحف أكثر من غيرها، حتى توظّف تلك الأيام في تقديم رسائل اتصالية تهدف إلى زيادة مستوى الوعي بالسلامة .

٢. مشاهدة التلفزيون السعودي

يبين الجدول (٤٠) انخفاض مستوى مشاهدة أفراد العينة للتلفزيون السعودي؛ إذ أشار (٧٧,٣%) إلى أن مشاهدتهم للتلفزيون نادرة (٢٦,٥%) أو قليلة (٢٤,٧) وفي أحسن الأحوال يمكن وصفها بأنها متوسطة (٢٦,١%)، أما الذين توصف مشاهدتهم للتلفزيون السعودي بأنها كثيرة أو كثيرة جدا فقد بلغت نسبتهم (٢٠,٥%) من مجموع أفراد العينة.

جدول (٤٠) مستوى تعرض أفراد العينة للتلفزيون السعودي

المشاهدة	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
كثيرا	٦٧	١٣,٣	٣,٩٣٦٨	٠,٤١٧٦	١
كثيرا جدا	٣٦	٧,٢	٣,٩٠٦٣	٠,٤١٠٩	٢
بدرجة متوسطة	١٣١	٢٦,١	٣,٨٩٧٧	٠,٣٥٤٢	٣
قليلا	١٢٤	٢٤,٧	٣,٧٧٧٢	٠,٣٧٠٨	٤
نادرا	١٣٣	٢٦,٥	٣,٧٠٤٤	٠,٤٠٦٧	٥
لم يبين	١١	٢,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٧٩,٣٧٧			قيمة P = ٠,٠٠٠		

٣. الاستماع للإذاعة السعودية

ليست الإذاعة السعودية بأحسن حظاً من التلفزيون السعودي؛ فقد ذكر (٨٤%) من مجموع أفراد العينة أن استماعهم للإذاعة السعودية نادر (٤١,٨%)، أو قليل (٢٢,١%)، أو ذو درجة متوسطة (٢٠,١%)، ودلت البيانات في الجدول (٤٠) على أن نسبة قليلة (١٣,٨%) يستمعون الإذاعة السعودية كثيرا (٨,٦%) أو كثيرا جدا (٥,٢%).

جدول (٤١) مستوى تعرض أفراد العينة للإذاعة السعودية

الاستماع	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
كثيرا جدا	٢٦	٥,٢	٣,٩٥٥٦	٠,٤٩٤٢	١
بدرجة متوسطة	١٠١	٢٠,١	٣,٨٩٢٩	٠,٣٥٠١	٢
كثيرا	٤٣	٨,٦	٣,٨٦٦٧	٠,٤٣٧٦	٣
قليلا	١١١	٢٢,١	٣,٨١٩٩	٠,٣٧٨٣	٤
نادرا	٢١٠	٤١,٨	٣,٧٥٧٦	٠,٣٩٤٤	٥
لم يبين	١١	٢,٢			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ٢١٣,١٤٥			قيمة P = ٠,٠٠٠		

٤. قراءة نشرات السلامة

سبقت الإشارة في الجانب النظري للدراسة إلى أن إدارة الشؤون العامة بالدفاع المدني قد طبعت عددا من الكتيبات والنشرات لتوزيعها على المواطنين والمقيمين، بهدف زيادة مستوى الوعي عندهم وتثقيفهم بالقضايا المتعلقة بالسلامة، وعند النظر في الجدول (٤٢) يبين انخفاض مستوى قراءة أفراد العينة لمطبوعات الدفاع المدني، فقد أشار أكثر من نصف أفراد العينة (٥٨,٨%) إلى أن قراءتهم لنشرات السلامة نادرة أو قليلة، وأفاد ربع المبحوثين (٢٤,٥%) أن قراءتهم لتلك النشرات ذات درجة متوسطة، أما الأفراد الذين وصفوا درجة قراءتهم لنشرات الدفاع المدني بأنها كثيرة أو كثيرة جدا فلم تتجاوز نسبتهم (١٤,٤%).

جدول (٤٢) مستوى قراءة أفراد العينة لنشرات السلامة التي يصدرها الدفاع المدني

قراءة نشرات السلامة	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
كثيرا جدا	٣٠	٦,٠	٤,٠٧٩٢	٠,٤٠٧٦	١
كثيرا	٤٢	٨,٤	٣,٨٩٥٦	٠,٣٨٧٠	٢
بدرجة متوسطة	١٢٣	٢٤,٥	٣,٨٨٩١	٠,٣٨١٠	٣
قليلا	١٢٩	٢٥,٧	٣,٨١٣١	٠,٣٤٨٩	٤
نادرا	١٦٦	٣٣,١	٣,٧١٣٦	٠,٤٠٤٢	٥
لم يبين	١٢	٢,٤			٦
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ١٤٢,٥٥١			قيمة P = ٠,٠٠٠		

وقد يعود انخفاض مستوى قراءة نشرات السلامة إلى محدودية انتشارها وتوزيعها وقلة عدد نسخها، فمع أن الإرشادات التي طبعت على جداول رحلات القطار كثيرة نسبيا "مليون نسخة" إلا أنه لن يطلع عليها إلا فئة محدودة وهم مستخدمو القطار في التنقل بين الرياض والشرقية، وإذا نظرنا إلى نسبة نسخ جميع المطبوعات على اختلاف مضمونها إلى عدد السكان في المملكة العربية السعودية فسيكون نسخة واحدة لكل عشرين شخص (١:٢٠) تقريبا.

١. مشاهدة برامج التوعية التلفزيونية

يبدو أن المديرية العامة للدفاع المدني شعرت بأن نشرات السلامة ومطبوعاتها غير كافية لتوعية الناس وزيادة مستوى معرفتهم بالسلامة المنزلية أو حتى السلامة الصناعية، فلجأت إلى إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية الخاصة من خلال الاستديو الإذاعي والتلفزيوني الذي أنشأته لهذا الخصوص، ونظرا لانخفاض مستوى مشاهدة أفراد العينة للتلفزيون السعودي؛ فإن ذلك سينعكس ضمنا على مستوى مشاهدة برامج التوعية التي يقدمها الدفاع المدني في التلفزيون؛ فيشير الجدول (٤٣) إلى أن أكثر من نصف العينة (٥١,٦%) يرون أن مشاهدتهم لبرامج التوعية في التلفزيون نادرة أو قليلة، وأن (٢١,٧%) يشاهدونها بدرجة متوسطة، وأن مشاهدة (١٤,٨%) من أفراد العينة لبرامج التوعية كثيرة أو كثيرة جدا.

جدول (٤٣) مستوى تعرض أفراد العينة لبرامج التوعية التي يقدمها الدفاع المدني في التلفزيون

مشاهدة برامج التوعية	التكرار	النسبة	متوسط الوعي	الانحراف المعياري	الترتيب
كثيرا	٤٧	٩,٤	٣,٩٣٥٣	٠,٤٠٨٥	١
كثيرا جدا	٢٧	٥,٤	٣,٩٠٦٣	٠,٤٦٦١	٢
بدرجة متوسطة	١٠٩	٢١,٧	٣,٩٠٣٧	٠,٣٦٦٢	٣
قليلا	١١١	٢٢,١	٣,٨٣٢٣	٠,٣٥٢٥	٤
نادرا	١٤٨	٢٩,٥	٣,٦٦١٧	٠,٤٠٠٢	٥
لم يبين	٦٠	١٢,٠			
المجموع	٥٠٢	١٠٠,٠			
مربع كاي = ١١٢,٧٩٦			قيمة P = ٠,٠٠٠		

ولمعــرفة تأثــير الــتعرض لوسائل الإعلام على مستوى الوعي بالسلامة أجرى الباحــث سلســلة من اختبارات معامل الارتباط، فأظهرت النتائج المعروضة في الجدول (٤٤) وجــود علاقة طردية إيجابية ذات دلالة إحصائية عالية (٠,٠١) بين مستوى الوعي بالســلامة وكل من قراءة الصحف السعودية (٠,١٢٣**)، ومشاهدة التلفزيون السعودي (٠,٢١٢**)، والاســتماع للإذاعة السعودية (٠,١٥٠**)، ومتابعة نشرات السلامة التي يصــدرها الدفــاع المدني (٠,٢٤٣**)، ومتابعة برامج التوعية التي يقدمها الدفاع المدني في التلفزيون (٠,٢٤٤**).

جدول (٤٤) معامل الارتباط بين مستوى الوعي والتعرض للوسائل الإعلامية

قراءة الصحف السعودية	مشاهدة التلفزيون	الاستماع للإذاعة	متابعة نشرات السلامة	متابعة برامج التوعية التلفزيونية
٠,١٢٣**	٠,٢١٢**	٠,١٥٠ **	٠,٢٤٣**	٠,٢٤٤**

ومعــنى هــذا أنــه كلَّما زادت درجة التعرض لهذه الوسائل، زاد مستوى الوعي بالســلامة، والعكــس أيضــا صــحيح، وتُفَسَّر هذه النتيجة بأن الذين يتعرضون للرسائل الاتصــالية التــي تبــثها وسائل الإعلام وبرامج الدفاع المدني ونشراته التوعوية يتعلمون معلومات مهمة ذات صلة بالوعي بالسلامة، وقد انعكست تلك المعلومات والمعارف على أنماط السلوك الذي يمارسونه.

استنتاجات

أوضــحت هــذه الدراســة معالم السلامة التي تشكل الوعي لدى مجتمع الدراسة، ويمكــن القــول: إن ما تضمنته هذه الدراسة يمثل مؤشرا متقدما لطبيعة ثقافة السلامة في المملكة العربية السعودية، وتتلخص معالم الدراسة في النقاط التالية:

١. لدى أفراد العينة وعي وجداني قوي (٤,٧٣) ويقدر هذا المتوسط بحوالي (٩٤,٧%)، ويتلخص هذا الوعي في الإيمان بأهمية وجود حقيبة للإسعافات الأولية، وطفاية حريق

في المنزل، ولكن الواقع العملي والتطبيقي يختلف اختلافا كبيرا؛ إذ لا توجد طفايات الحريق إلا عند (٤٣,٢%) من أفراد العينة، وما لم تتحول المعرفة أو الوعي الوجداني إلى سلوك عملي وممارسة يومية فإنه لا قيمة لهما.

وقـد طالـب عدد كبير من أفراد العينة بعقد دورات تدريبية لطلبة المدارس وطالباتها في الإسـعافات الأولـية واستعمال طفايات الحريق، وهو ما يشير إلى أن لدى الناس استعدادا نفسـيا لتقبّل هذه الدورات التدريبية، ورغبة ملحة للمشاركة فيها، ويمثل هذا الاتجاه عاملا قويـا مـن عوامل نجاح مثل هذه البرامج التدريبية التي تهدف إلى إكساب المتدربين مهارات عملية.

٢. يجهل (٣١,٣%) من أفراد العينة الموقع الجغرافي لمراكز الدفاع المدني القريبة إليهم، وقـد لا يـرجع السـبب في ذلك إلى أفراد العينة وحدهم، ولكنه قد يعود إلى تقصير مديـرية الدفاع المدني في تحقيق الانتشار الجغرافي في جميع الأحياء أو في المنطقة الواحـدة، وبناءً على هذه النتيجة يدعو الباحث إلى إيجاد مراكز صغيرة للدفاع المدني داخـل كل حي، للقيام بالدوريات الميدانية، وتهتم بتوعية الناس وتدريبهم وبناء العلاقة معهـم، و تـتولى في الوقت نفسه مباشرة حوادث الحريق الصغيرة وحالات الإنقاذ أو الإسـعاف، وإذا تطلب الحادث تعزيزات وآليات كبيرة يمكن الاستعانة بمراكز الدفاع المدنـي الكبـيرة، وبهذا الاقتراح نعالج قضيتين؛ القضية الأولى: الاقتراب من الناس وتحقـيق التفاعل معهم، والقضية الثانية: معالجة شكوى أفراد العينة من تأخر سيارات الدفاع المدني، خاصة أن معظم الحوادث تبدأ صغيرة ويمكن احتواؤها في بداياتها.

٣. مـع أن الأسـئلة المتعلقة بقياس المعلومات عن الدفاع المدني "رقم الطوارئ، وأقرب مركـز، والخدمـات التي يقدمها" جاءت سهلة، إلا أن نسبة أفراد العينة الذين أجاوبوا عـنها إجابـة صـحيحة منخفضة نسبياً، وقد يعود ذلك إلى انخفاض مستوى الجهود الإعلامـية التـي بذلها الدفاع المدني في التعريف بنفسه، كما قد تعود أيضاً إلى تدني التفاعل بين مراكز الدفاع المدني والمواطنين.

٤. تعكـس ممارسة الحياة العادية مستوى الوعي؛ فالذين يستعملون "الحطب أو الفحم" أو "دفايـة الجـاز" أو "التكيف العادي الذي يدفئ عن طريق جهاز التسخين (Heater)"

أقـل وعياً من الأفراد الذين لا يستعملونها، وعلى العكس من ذلك فإن الذين يستعملون التكييـف الـذي يعمل بنظام الدورة العاكسة (HP) في التدفئة أكثر وعياً من غيرهم، والذيـن توجـد فـي منازلهم "طفايات حريق" أو "جهاز كاشف الدخان" أكثر وعياً من غيرهم، والذين يضبطون مؤشر سخانات المياه عند الرقم (٦٠) أكثر وعيا من الذين لا يدرون عند أي رقم يكون المؤشر.

٥. انعكـس مستوى الوعي على السلوك المتوقع في الحالات الطارئة، وتؤكد هذه النتيجة أهمية رفع مستوى الناس وتوعيتهم بقواعد السلامة وإجراءاتها لأن لها مردوداً إيجابياً - حتى - في الظروف الطارئة.

٦. حـتى مـع محدودية تعرض أفراد العينة لوسائل الإعلام السعودية وإصدارات الدفاع المدنـي للتوعـية بالسلامة، إلا أن لها تأثيراً إيجابياً في زيادة مستوى الوعي، وهو ما يؤكـد الحاجة إلى تكثيف الرسائل الاتصالية ذات المضمون التوعوي بالسلامة، ويؤكد فـي الوقـت نفسه على ضرورة العناية بإعداد تلك الرسائل في شكل جذاب وأسلوب يستقطب الجمهور ويشده لمتابعة مضمونه، ويتوقع الباحث أن تحقق حملة التوعية التي يـنفذها الدفـاع المدني إنجازا مهما في مجال رفع مستوى الوعي وتعزيز الاتجاهات الإيجابية وتحويل السلوك السلبي إلى سلوك إيجابي بإذن الله.

٧. اعـتمدت الدراسة على شريحة المواطنين فقط دون المقيمين، ولعل الدراسات القادمة تشـمل العيـنات الأخرى الوافدة، وخاصة مكة والمدينة، وذلك لوجود عينات مختلفة ومتنوعة من جميع أنحاء العالم، ويستحسن دراسة تلك الحالات لمعرفة مستوى وعيها بالسـلامة، وللاستفادة من نتائج الدراسة المقترحة عند إعداد برامج التوعية في موسم الحج والعمرة.

وأخـيرا آمل أن تساعد نتائج هذه الدراسة في خدمة وطننا الغالي، وأن تساعد في التخطـيط لـبرامج التنمية ومشروعاتها، وأتمنى أن تستفيد المديرية العامة للدفاع المدني منها، وأن تبنى على هذه النتائج دراسات وأبحاث علمية أخرى.

المراجع

١. ابن لأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ب. ت). النهاية في غريب الحديث والأثر. الجزء الخامس المكتبة الإسلامية. تحقيق محمود محمد الطناجي.

٢. ابـن مـنظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (١٤١٤هـ ١٩٩٤م). لسان العرب. دار صادر. بيروت. الطبعة الثالثة.

٣. أبـو زنـادة، زامـل، و بيت المال، حمزة (١٤٢٢هـ). الدراسات التأسيسية لحملة التوعية العامـة "الدراسـة الأولى" تحليل مضمون سجلات حوادث الدفاع المدني لعام ١٤٢٠. غير منشور.

٤. أحمد، سلام سيد (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). تنمية الوعي العلمي لدى طلاب المرحلة الثانوية في دول الخليج العربية. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض.

٥. الأحمري، عبدالله بن حامد (١٤١٢هـ). أثر توعية الجمهور بمهام وأعمال الدفاع المدن في التقليل من الخسائر: دراسة تطبيقية على مدينة الرياض. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير. أكاديمية نايف العربية للعوم الأمنية. غير منشور.

٦. بيت المال، حمزة، وأبو زنادة، زامل (١٤٢٢هـ). الدراسات التأسيسية لحملة التوعية العامة "الدراسة الثانية" دراسة الجمهور. غير منشور.

٧. الحارثـي، ساعد خضر العرابي (١٤١٤هـ). "دور الاتصال في تكوين الوعي المروري". مجلة كلية الآداب ١٠. جامعة الإمارات العربية المتحدة.

٨. الحملـة الإعلامـية الشاملة للدفاع المدني (شوال ١٤٢١هـ). اللجنة الإعلامية في المديرية العامة للدفاع المدني.

٩. الدفاع المدني ومسيرة ٧٤ عاما (١٤١٨هـ). المديرية العامة للدفاع المدني.

١٠. سـيزلاقي، انـدرو دي، و والاس، مـارك جي (١٤١٢هـ). السلوك التنظيمي والأداء. ترجمة جعفر أبو القاسم أحمد. معهد الإدارة العامة. الرياض.

١١. الشلاش، إبراهيم بن عبدالله (١٤١٨هـ). إدراك الأسرة السعودية لمخاطر حوادث الحرائق المنزلية: دراسة مسحية على محافظتي بريدة وعنيزة في منطقة القصيم. بحث تكميلي لنيل

درجة الماجستير. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. غير منشور.

١٢. العقيلـي، صـالح ارشيد، والشايب، سامر محمد (١٤١٩هـ). التحليل الإحصائي باستخدام البرنامج SPSS.دار الشروق للنشر والتوزيع. عمّان.

١٣. القحطاني، سالم بن سعيد، والعامري، أحمد بن سالم، وآل مذهب، معدي بن محمد، والعمر، بـدران بـن عبدالرحمن (١٤٢١هـ). منهج البحث في العلوم السلوكية. الرياض. المطابع الوطنية الحديثة.

١٤. الكتاب الإحصائي السنوي (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). مصلحة الإحصاءات العامة.

الثقافات الفرعية إطار لتفسير السلوك الجانح

إعداد

الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالمعبود مرسي

أستاذ الأنثروبولوجيا - جامعة قناة السويس

جمهورية مصر العربية

ملخص الدراسة

يناقش هذا البحث أحد الأطر النظرية في تفسير السلوك المنحرف بين صغار السن والمراهقين خاصة "الأحداث أقل من ثمانية عشر عاما". ويمثل هذا الإطار النظري أحد المنطلقات العلمية الاجتماعية في تحليل وتفسير قضية جناح الأحداث، وذلك بالتركيز على أشكال الفعل التي يأتيها الصغير وهو بصحبة الآخرين، ومن خلال سياق مرجعي محدد هو "الثقافات الفرعية" أو "الثقافات الخاصة" التي ترجح الميل إلى انسياق الصغار، واندماجهم سويا عن طريق مجموعة من "القيم" و"الأفكار" و"المعتقدات" و"التقاليد" والممارسات، وطائفة من "الكلمات" و"الرموز" و"الإشارات" وغيرها من العناصر الثقافية الفرعية التي تبرر العدوان على الأشخاص والممتلكات وغيرها.

ويعالج الباحث هذا الموضوع في ضوء الإسهامات النظرية التي طرحها عدد من الباحثين المتخصصين، مع إثبات بعض نتائج البحوث الميدانية التي تؤيد أو تنفي كل أو بعض الفروض والقضايا التي أثارها بعض علماء الاجتماع، ولكل من هؤلاء العلماء موقف نظري محدد في تفسير السلوك الجانح، ولكنهم يتفقون على وجود إطار مرجعي ثقافي يدعم الفعل المنحرف، ويبرر تكراره داخل جماعات لها سماتها الثقافية، خاصة بين الذكور.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

مقدمة

يتناول هذا البحث بالوصف والتحليل والنقد أحد المداخل النظرية في تفسير السلوك الجانح؛ وهو المدخل الثقافي. ويرتكز ذلك النوع من تحليل المشكلات السلوكية إلى ما يعرف "بالثقافات الفرعية للجانحين". .Delinquent Sub- Cultures. وهو اتجاه في البحث ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصةوبدأ في الازدهار اعتبارا من عقد الستينيات على يد عدد من المنظرين للسلوك الإجرامي، ابتداء بالذين قدموا إسهامات رائدة في هذا المضمار، ثم ظهرت مجموعة من البحوث المباشرة في عدد من المجتمعات الأوربية، ومجتمعات العالم الثالث، وذلك لاختبار الفروض والقضايا التي أثارتها نظريات الثقافات الفرعية للجانحين. وانقسم الباحثون بشأن دلالتها التفسيرية إلى مذاهب مختلفة. وفي مجتمعنا العربي عامة ومصر خاصة تضاعف حجم البحوث التي تناولت مشكلة الانحراف بين صغار السن والمراهقين. بيد أن قليلا منها اهتم بدراسة الثقافات الفرعية للجانحين. الأمر الذي دفعني إلى طرح الفروض والوقائع التي أثيرت في هذا الصدد مع اختبار مدى صحتها في المجتمع المصري.

هدف البحث

يهدف هذا البحث النظري إلى وضع الحقائق العلمية المتصلة بنظريات الثقافة الفرعية للأحداث الجانحين قيد المناقشة والتحليل، واستقراء مختلف الشواهد، بغرض الوصول إلى عدد من النتائج التي تمكن من تقويم دلالة المدخل الثقافي في تفسير السلوك المنحرف. لا سيما أن هذا المدخل ينطلق من فرض أساسي عام هو أن السلوك الجانح الذي يأتيه الفرد يرتكز في الأصل إلى الإطار المرجعي الذي يوجهه، قبل أن يكون فعلا ينسب إلى شخص الفاعل.

تساؤلات البحث

رغم أن المقولات والقضايا والفروض التي تشكل المدخل الثقافي في تفسير جناح الأحداث وسلوك عصابات الأطفال خاصة تعود إلى عقد الستينات من القرن العشرين؛ إلا أن مضمون الثقافات الفرعية للجانحين ما زال يستأثر بمزيد من الدراسة والبحث على مستوى دول العالم. وقد تعددت أشكال هذه الثقافات، وحققت انتشارها وأدى ذلك إلى تنوع البحوث الميدانية مع وجود أطر نظرية جديدة في القرن الواحد والعشرين، ومن هنا كان طرح التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالثقافات الفرعية للجانحين في ضوء الفهم الخاص للثقافة بمعناها الاجتماعي العلمي، وهل تعددت المفاهيم مع اتساع نطاق الثقافات الجزئية ذات المكونات المتباينة؟.
- كيف نشأت هذه الثقافات، وما مقومات وجودها، وخصائص كل نوع منها، وإلى أي مدى كان نموها وتطورها خلال العقود الثلاثة الأخيرة التي تلت عقد الستينات؟.
- هل تستقل هذه الثقافات عن ثقافة المجتمع ككل، وإلى أي مدى يكون ذلك الاستقلال؟

- كيف يمكن اختبار القضايا المتصلة بالثقافات الفرعية للجانحين على المستوى التطبيقي.
- ما هي القيمة العلمية والعملية لمدخل الثقافة الفرعية للجانحين.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على استقراء التراث النظري من خلال استقصاء الآراء المختلفة لعدد من الباحثين الذين قدموا إسهامات بارزة في صياغة القضايا والمقولات النظرية، ويصبح المنهج الوصفي الاستقرائي أكثر المناهج ملاءمة لجمع الحقائق وتصنيفها، ويأتي الوصف هنا مشفوعا بالمقارنة بين الآراء والأفكار، مع بيان أوجه الاتفاق وصور الاختلاف. وعلى الجانب الأخر يثبت الباحث نتائج البحوث الميدانية ذات العلاقة بالموضوع، سواء تلك التي تتصل بتقرير النظرية، أو تنفي بعض أو كل مرتكزاتها.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث يتناول الأول منها الإطار المنهجي، ويختص الثاني بتحديد مفهوم الثقافات الفرعية للجانحين في ضوء المعنى العام للثقافة، ويتناول المبحث الثالث تصنيف الثقافات الفرعية للجانحين، مع استعراض النماذج والاتجاهات الأساسية المختلفة، ثم نختتم البحث بمناقشة وتعقيب يتضمن إسهامات الباحث الجزئية في اختبار بعض قضايا وفروض الثقافات الفرعية للجانحين من خلال البحث الميداني.

المبحث الثاني: مفهوم الثقافات الفرعية للجانحين

تعتبر الثقافات الفرعية للجانحين بمثابة إطار من المكونات والعناصر الثقافية، التي تتميز بوجود مستقل نسبيا عن ثقافة المجتمع ككل، وينطوي ذلك على إفراد طائفة من

السمات والخصائص السلوكية، ومجموعة من "القيم" "والمعايير" "والمعتقدات" وبعض المؤشرات الرمزية، التي تشكل في جملتها إطارا مرجعيا، يحكم تصرفات صغار المجرمين بصفتهم جماعة. وعلى ذلك فإن مقومات تلك الثقافة الخاصة لا تعود إلى الفرد بقدر ما تتشكل عن طريق الكل الاجتماعي. فإذا سلك صغير السن أو الحدث سلوكا منحرفا من نوع ما، فإن تفسير هذا السلوك يكون بالبحث عن مكونات الإطار الثقافي الخاص الذي ينتمي إليه، والذي تمثله عادة "الشلّة" أو "العصابة"، ويصبح البحث عن دوافع السلوك مرتبطا بتفاعل الحدث مع جماعته الخاصة، تلك الجماعة التي تحقق لأعضائها نوعا من الحماية والدفاع، كما تدفع عنهم المسئولية إبان التحقيق والمحاكمة قدر المستطاع، ويشعر الفرد نحوها بقدر من الانتماء، الذي يقترن أيضا بدرجة من الولاء لمبادئها، والإخلاص لقواعدها والترابط الجمعي. (Vetter and Silverman, 1986: 64-215).

ويذهب البعض إلى أن مفهوم الثقافات الفرعية للجانحين ينصرف بالدرجة الأولى إلى النظر لأساليب الاتصال والتفاهم والتبادل المشترك بين شلل التمرد، وجماعات العصيان، وزمر الشغب وغيرها، كوحدات منظمة إلى حد ما، ولها وجودها العيني المشخص، وتأثيرها في سلوك المنتسبين إليها. وفي ضوء هذا الفهم يصبح السلوك الجانح مرتبطا بأعراف الجماعة مع أنه ينسب إلى الفاعل الفرد، الذي تتحدد مسئوليته على أساس شخصي. ومن هنا فإن الثقافات الفرعية للجانحين تعد بمثابة أطر للاتصال وتنظيم السلوك داخل جماعات المنحرفين، وتقرير الأداء الذي يأخذ صيغة توزيع الأدوار والمسؤوليات بين المشاركين في الفعل، عبر حيز زمني معين، فضلا عن أنها مواقع للعمل تحكمها شروط متعددة يسميها البعض "ظروف الموقف الإجرامي". (Floyed, 1972: 629, Davis, 1991; 72 Felson, 1994: 159).

وفي حدود هذا التصور تبقى الثقافات الفرعية للجانحين متصلة بعناصر الثقافة في مفهومها العام، من حيث أن هذه الأخيرة تعني نماذج التصرف، وأساليب الحياة، والطرق التي توجه الأفعال في شتى المواقف. ولا يبدأ الوجود الثقافي الفرعي من حيث ينتهي الكل الثقافي أو النموذج المميز لثقافة شعب من الشعوب، وإنما بينهما وحدة والتئام، ومن ناحية المعنى فقد تشترك الثقافات الفرعية نسبيا مع الثقافات الأم. بيد أن عناصر كل ثقافة فرعية تختلف عن نظائرها من الثقافات الأخرى، بل إن الثقافات الفرعية للجانحين الصغار والمجرمين الكبار تتباين فيما بينها وتتعدد وتقبل الانقسام على ما سوف نرى. ولذلك لا يستقل المعيار أو القيمة الثقافية الخاصة عن بنية الثقافات ككل حتى مع إمكانية التمييز بينهما. (أبو زيد، ١٩٨٢م: ١٤ , Novy, 1992: Fave, 1974: 69, Murata, 1989-33, Fried man, 1976: 529).

ومن هنا فإن رواد الاتجاه الثقافي في تفسير السلوك الجانح، تقيدوا إلى حد كبير بالمعنى العام للثقافة كما حدده رالف لنتون، وإدوارد سابير، وألفرد كروبر وغيرهم؛ وفي نفس الوقت استوعب بعضهم الأطر الجديدة في فهم الثقافة على النحو الذي بينه مارفن هاريس Marvin Harris ضمن مدخله المعروف بالأيكولوجيا الثقافية، وأيضا جون بودلي J. Bodley عن رأيه في الثقافة كإطار للتكيف مع معطيات الواقع الاجتماعي. وبصفة عامة يمكن الانتهاء إلى نتيجة مؤداها أن الباحثين في الثقافات الفرعية للجانحين على اختلاف آرائهم فهموا تلك الثقافات على الوجه الصحيح، أي من حيث أنها أطر مرجعية خاصة تتشكل أساسا من "القواعد" و "الأصول" التي توجه السلوك، وتعين الفرد على التكيف مع أوساط الاتصال التي يتعرض لها، بما تشتمل عليه تلك الأوساط من أدوات، وما تضمه من قيم ومعايير، فضلا عن الرموز الثقافية بشتى مكوناتها، وفي مقدمتها لهجة الكلام الخاص، والأنساق اللغوية المغلقة التي تنتشر بين الجانحين كجماعة، وتكتسب خصوصية وتفردا. (Harris, 1969: 268, Rainwater, 1969: 230, Murdock, 1972: 75-78)

وترجع نشأة الثقافات الفرعية للجانحين إلى الضغوط الاجتماعية التي تواجه صغار السن، خاصة من أبناء الشرائح الاجتماعية الفقيرة، ولا يعتبر الفقر في حد ذاته عاملاً سببياً بقدر ما هو إطار أكثر ملاءمة لنمو تلك الثقافات، وهنا يتصل التفسير بأنواع الاستجابات، وطرق التكيف مع ظروف الحرمان الاقتصادى النسبي. وقد يصبح التفاوت الشديد بين الطبقات الاجتماعية- مع قسوة الضغوط الاجتماعية على بعضها دون الآخر، ثم إحساس الأفراد بذلك التفاوت- من العوامل المؤثرة في نشأة الثقافات الفرعية كرد فعل للحرمان، وكنوع من المقاومة السلبية للثقافة (Heimer, 1997: 803). ولذلك فإن الثقافات الفرعية للجانحين تبرز بشكل واضح في مجتمعات الوفرة الاقتصادية مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والسويد وبريطانيا، حيث تتشكل زمر العصيان، وجماعات التمرد بين صغار السن والمراهقين، ويشتد تماسكها، وتحقق وجودها النوعي والخاص، بينما تتسم تلك الزمر بالضعف وتتعرض للتمزق من حين لأخر، أو تؤلف بناء هشا يسهل تفككه في مجتمعات فقيرة كالهند. (أبو زيد ١٩٩٠: ٩٨).

وقد كشفت معظم البحوث أنه كلما كان هناك إطار ثقافي فرعي له محتواه الضمني أو الصريح من القواعد والرموز ذات الدلالة الاتصالية والتعبيرية بين المشاركين في الزمر الجانحة؛ زاد التحام الجماعة واشتد تأثيرها. وهذا هو واقع الحال في المجتمعات الرأسمالية، لا سيما بين الذكور، حيث تفتقر تجمعات الجانحين من الإناث إلى إطار واضح من القيم والمعايير ونماذج السلوك. وأضيف بأن توافر عناصر المخاطرة والإقدام والجسارة، فضلا عن الخشونة والصلافة والمداورة والمناورة التي تتفق وطبيعة الأداء بين الذكور تدفع صغار السن والمراهقين إلى الالتقاء والتجمع في شكل "شلل" تتخذ من نواصي الشوارع والأزقة أماكن ملائمة. وتعمل الشروط الطاردة في المنزل، وساعات الفراغ الطويلة على تكرار اللقاءات وتواترها، ثم تتبلور عنها مناشط متعددة، تنمي الميول المرجحة للشغب والتمرد، وتكون مصحوبة عادة بلهجة من الألفاظ القاسية والجارحة. (Nagan, 1997: 121, Gibson, 1963: 53).

وقد تعددت الثقافات الفرعية للجانحين على المستويين الجغرافي والاجتماعي وتباينت في كل المجتمعات المعاصرة، وأصبحت تمثل وحدات متضائلة داخل تكوينات أكبر، كما جمعت بين أشكال شتى من مظاهر السلوك التي يصح نعت بعضها بصفة الانحراف والجريمة، وبعضها الآخر بصفة السلبية والإعاقة، بينما يبقى بعضها الثالث في حيز النشاط الزائد، ويعبر عن النزعات الكامنة للحاجات التي ينبغي أن تلبى. وتندرج تحت هذه المجموعات الثلاث مظاهر كثيرة للفعل تدعمها أطر ثقافية مرجعية يصعب الإحاطة بكل ضروبها. وعلى سبيل المثال فإن جماعات" الهوليجانز" وهي نوع واحد من زمر المشجعين لفرق كرة القدم ترتاد الملاعب وتمارس أنماطا متعددة من السلوك داخل الملاعب وخارجها، ويمكن وصف سلوكها ومواقفها الجماعية أحيانا بالإيجابية، وتارة أخرى بالشغب والتمرد. (More House, 1991: 499 Caplan, 1992: 456.)

بينما يوصف سلوك جماعة "الهيبز" بالتطرف داخل سياقات ثقافية معينة، يعتبره البعض نوعا من التعبير عن الحاجة للتغيير والخروج على المألوف. ويصدق نفس القياس على كثير من الجماعات التي تمارس ألوانا معينة من الموسيقى والغناء والعروض الجسمية، بل إن أنماطا معينة من الشذوذ الجنسي تجد مسوّغات لها على المستويين العرفي والقانوني، الأمر الذي يفيد ضرورة الحكم على الثقافات، الفرعية للجانحين والمراهقين في ضوء ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه هذه الوحدات الفرعية، وعلى ذلك فإن التساؤل المطروح بشأن مفهوم الثقافات صحيح وتنوعها يزداد بمرور الزمن. (Welzer, 1997: 243).

المبحث الثالث: تصنيف الثقافات الفرعية للجانحين

يذهب عدد من الباحثين إلى تقسيم الثقافات الفرعية إلى ثلاثة نماذج هي: "النموذج الإجرامي" Criminal sub cultures ويضم كل مظاهر السلوك التي تتصل بالاعتداء على الأموال والممتلكات وما يناظرها، و"النموذج العدواني"

Aggressive sub cultures ويشتمل على ضروب متعددة من الاعتداء على الأشخاص بما في ذلك الإصابات التي تلحق بالفاعل نفسه، و"النموذج الثالث" هو النمط "الانسحابي أو الهروبي" With drawing sub-cultures غير أن ذلك التقسيم تبسيط مخل لقضية متشابكة، لأنه يكشف تنوع الأراء وتعددها عن ضرورة البحث عن إطار تصنيفي ملائم يجمع معظم الأشكال قدر المستطاع، ولا يمنع من وجود بعض مظاهر القصور في إحصاء مختلف الجوانب.

وهذه محاولة متواضعة أقسّم فيها الثقافات الفرعية للجانحين على النحو التالي:

أولا: تصنيف الثقافات الفرعية للجانحين في ضوء البنية الطبقية للشرائح الاجتماعية الدنيا

من رواد هذا الاتجاه البنيوى ألبرت كوهن عالم الاجتماع الأمريكي والأستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، ويشاركه في الرأي وولتر ميلر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى؛ فكلاهما يتفقان في المنطلقات الفكرية من حيث علاقة الثقافات الفرعية للجانحين بالبناء الطبقي للمجتمع، ولكنهما يختلفان في بعض طرق التحليل، مع تباين نسبي في التفسير أيضا، (Cohen, 1968: 152, Miller 1958: 18.) وقد ذهب ألبرت كوهن إلى أن الجانح الفرد استثناء، بينما القاعدة هي الثقافة الخاصة التي تتبناها عادة زمرة الجانحين التي يطلق عليها "العصابة"، حيث تأتي الاستجابة من جانب الفرد بسبب التفاعل مع المتشابهين معه وجدانيا وعقليا، وعن طريق هذا التفاعل تنمو القيم والمعايير المضادة، وتحقق انسجامها الداخلي على نحو يؤدي في النهاية إلى قبول المعيار الجمعي، على حساب المقومات الشخصية التي يضمحل دورها، ويصبح البعد النفسي الذاتى خاضعا لتوجيه الوسط الثقافي. ذلك الوسط الذي يتألف–في رأيه– من عناصر منظمة وليست عشوائية، تضم معايير ومعتقدات وقيماً خاصة تدعمها الرموز ذات الدلالة التعبيرية، وفي مقدمتها لهجة الحديث والألفاظ والعبارات والإشارات والأصوات ذات المضمون الفني بين ممارسي للنشاط الجانح.

بيد أن تكوين تلك الثقافات يرتكز في البداية على التقسيم الطبقي للمجتمع، ويكمن بشدة في توزيع المعايير بين الطبقتين المتوسطة والدنيا، وهو توزيع غير متجانس وغير معتدل. فبينما يسمح البناء الطبقي للشرائح الاجتماعية المتوسطة بتنشئة أبنائها بأسلوب ملائم، يلتقى أبناء الشرائح المتوسطة والدنيا أمام نسق واحد لتحقيق المكانة الاجتماعية وسلم الصعود والارتقاء، الذي تحدده معايير وقيم الطبقة المتوسطة، ويصبح البحث عن المكانة مطلبا ملحا من جانب الكل. غير أن الطبقة المتوسطة تمتلك الوسائل اللازمة لإعداد أبنائها، بما يحقق لهم بلوغ الغايات المنشودة، وتوفر لهم الفرص المناسبة بحكم طريقتها في العيش، وتحقيق أسباب المنافسة بما يؤدي في النهاية إلى التكيف الصحيح، وتجنب المشكلات الصعبة. وعلى العكس من ذلك يواجه أبناء الشرائح الدنيا موانع تتصل بتوزيع الفرص، كما يستند أسلوب التنشئة بينهم إلى الصراع وتعدد صور المتناقضات، على مستوى توزيع الأدوار بين الأبوين، فضلا عن التفاوت بين أساليب المعاملة الأسرية، بالإضافة إلى إحساس الأبوين بالإحباط، وضعف الإمكانيات. وكلما اشتدت المتناقضات وعوامل الصراع في بنية الطبقة وانعكست على الوحدة الصغيرة "الأسرة" نمت العواطف والمفاهيم المشتركة ذات المردود السلبي. وحيال إدراك أبناء الطبقات الدنيا لمواقف التعارض والتضاد الذي ينطوي عليه سلوكهم مقارنا بالمعايير العامة التي هي من صنع الطبقات المتوسطة، يميل هؤلاء الفقراء نحو المشاركة الاضطرارية بشدة في نسق القيم، الذي تحدده الطبقة المتوسطة، مع محاولة تغييره في نفس الوقت، وهنا تتكرر ثنائية التضاد مرة أخرى. (Rumbaut,1999: 163).

ولشرح ثنائية التناقض في القيم والمعايير بين الطبقتين، يذكر كوهن أن مكانة الأنثى في الشرائح الدنيا تعتمد على الاقتران بالذكر عن طريق الزواج، وتحقق أقصى مستويات طموحها بنجاحها في إدارة الشئون المنزلية، وتبقى محور الرعاية والتوجيه، ويقل دور الأب تبعا لذلك. وعلى العكس من ذلك يتحقق التوزيع المتكافيء للأدوار بين

الأبوين داخل الطبقات المتوسطة والعليا. ومن جانب أخر يتعرض "حق التملك" وحيازة الأشياء بين أبناء الشرائح الدنيا للتجاوز والتعدي بشكل فوضوي Anarchic. من ذلك تبدد الفواصل التي تعين ممتلكات الصغار وحاجاتهم من الأدوات ووسائل اللعب. ومثل هذه التجاوزات وغيرها تنمي "المُعتقدات" الخاطئة التي تسوّغ العدوان على حقوق الغير في مراحل تالية من حياة المراهق. (Cohen, 1967: 22).

من جانب ثالث يزداد الميل إلى الأسلوب التسامحي المفرط في تنشئة الصغار، لا سيما بين الشرائح السفلى من الطبقة الدنيا. وهذا النموذج في التنشئة مسئول عن انتشار أساليب المراوغة والتملق والخداع بين الصغار، ويختلف إطار القيم الثقافية بين الطبقات الأخرى فينطوي أسلوب المعاملة الأسرية على نسق متوازن من الجزاءات، ولا يأخذ بأسلوب العقاب المادي الشديد والقاسي الذي يُفقِد الحب ويولّد الكراهية.

تلك أمثلة قليلة من مظاهر كثيرة أحصاها كوهن للتفرقة بين محتوى القيم والمعايير والمعتقدات بين الطبقتين. (Felson, 1994: 167). فألبرت كوهن لم يتناول الأسرة كوحدة نمطية لتنمية الثقافات الفرعية للجانحين، ولكنه تناولها في ضوء المتغير العام للطبقة. فقد لاحظ مغالاة علماء النفس فيما يسمونه "بالعلاقات الوالدية" وهي – حسب رأيه– إطار للصلات المباشرة بين الطفل وأبويه. وأيقن أن ذلك الإطار المحدود يعجز عن استيعاب المتغيرات الثقافية ذات الارتباط بجماعات الأسر ككل، لا سيما أنه يرى في الخلفية الأسرية وحدة بنائية يتجاوز وجودها الحيز المباشر للعلاقات الآنية، ويمتد عبر فترات زمنية ملائمة يحددها تعاقب الأجيال خلال عمق تاريخى مناسب، وهنا تصبح خبرات الصغير داخل أسرته مرتبطة بعلاقاته خارجها، ويكون الالتقاء بين من ينتمون إلى أنساق أسرية متقاربة في التكوين والوظائف من مصادر نشأة ونمو الثقافات الفرعية. (نعيم، ١٩٦٤: ٨١) وتفسير ذلك أن هناك مناظرة تتم تلقائيا بين المراهقين الذي يشتركون في أوضاع أسرية متشابهة، ويأتي تعاملهم مع اعتبارات المكانة الأسرية منسوبة إلى

وضع الطبقة الاجتماعية، ذلك أن الأسرة تحدد فئات الناس الذين يتصل بهم الصغير، كما تعين صور المواقف التي يواجهها، ومن خلال صور المقارنات والمناظرات يتحقق انتماء الصغير للشلل. وهنا تلتقي أساليب التنشئة التي تتبناها الأسرة مع البناء الخارجي للطبقة الاجتماعية، ويعتقد كوهن أن المراهق لا يستجيب لزمرة الأشقياء كفرد، بل كعضو في أسرة تواجه ضغوطا محددة، دفعته للالتحام بالمتشابهين معه في الأطر المرجعية الثقافية، ويكون انغماسه في النشاط الجانح مرهونا بشروط التقارب بينه وبين المناظرين له في عدد من سمات السلوك والقيم والدوافع أيضا. (Shoemaker, 1984: 43) (Sherer, 1991: 268, Dallos 1985: 379, Zieman, 1983: 490)

على أن العلاقة بين جماعتي الأسرة والرفاق في نهاية فترة المراهقة المبكرة على جانب كبير من الأهمية في تشكيل القيم الخاصة بجماعات الناصية، ويخضع ذلك التشكيل لمتغيرات كثيرة من بينها السن والجنس، ودرجة التباعد والتقارب في الحي والجيرة، ومستوى التبادل في القيم والمعايير، فضلا عن نمو أساليب التعبير عن الذات وإثبات البراعة والتفوق، إلى غير ذلك مما يتصل بسلوك عصابات التمرد وزمر العدوان. ويضيف كوهن: إن تعدد الجماعات الثانوية، كالجمعيات والنوادي والروابط بين أبناء الشرائح المتوسطة والعليا، وميل الآباء نحو تحقيق انتماء أبنائهم إليها يحول دون التوجيه الهامشي للسلوك، ويقلل من فرص الانطلاق العشوائي للنشاط، ويوفر الإطار المناسب للضبط الذاتي، وهي في الوقت نفسه استثمار مفيد للفراغ، وعامل إقصاء لمشاعر الملل والسأم. وقد تضمنت المقارنات بين أنواع القيم ونماذج السلوك في الطبقتين جوانب شتى يصعب إحصاؤها. فهي تكشف عن التباين الكبير في مستويات الحياة، وأساليب العيش، وطرق التعامل فضلا عن القيم الثقافية على اختلاف رتبها. ومن ثم فإن الأسلوب المقارن الذي اتبعه هذا الباحث يدل على الاختلاف الملموس في بناء القيم والنماذج والمثل، بل ومكونات الشخصية أيضا على مستوى الفرد والأسرة والجيرة، وجماعة الرفاق والطبقة الاجتماعية ككل. (Kaplan, 1983: 122).

وفي أي من هذه المكونات تبقى الثقافات الفرعية للجانحين مرتبطة أساسا بالكيان الكلي للشرائح الدنيا، وترتكز تلك الثقافات إلى مقومات غير اقتصادية في أغلب الأحوال، الأمر الذي يرجح أهمية السمات الثقافية في توجيه الفعل، ولا يعني ذلك التقليل من أهمية عنصر الدخل ومستوى الرفاهية المادية في التفسير السببي للسلوك الجانح، إنما يتعلق الأمر بطبيعة التحليل الثقافي كمبحث مستقل. ويمكن القول إن نظرية أوسكار لويس في فهم "ثقافة الفقر" تساعد في شرح بعض النتائج التي انتهى إليها ألبرت كوهن. فقد تبين أن كثيرا من الأسر التي تنتمي للطبقة الدنيا وطبقة العمال خاصة في ضوء مقياس "الدخل والمهنة" يمكن تصنيفها ضمن الطبقات المتوسطة، استنادا إلى المعايير الثقافية. وبنفس الكيفية يوجد عدد كبير من الأسر التي تعتبر من الطبقات المتوسطة من المنظور الاقتصادي والموقع الحضري والجيرة، ولكنها تنتمي إلى الشرائح الدنيا بالنظر إلى نوع الخبرات التي تقدمها لأبنائها، وأنماط القيم الأكثر اتصالا بالثقافات الفرعية للجانحين. .(Oscar Lewis, 1968: 24)

وفي تقديري أن موقف كوهن الفكري ينطوي على مبالغات في إثبات القيمة التفسيرية للعناصر والمتغيرات الثقافية. لا سيما أن هذا النوع من البحث يرتبط بتعليل كل صور الجناح من حيث الكم والكيف. ومن جانب أخر يلاحظ تراجع من قبل كوهن حيال موقف الفصل التعسفي بين المكونات الثقافية للشرائح الاجتماعية، فقد اعترف صراحة بإمكانية التبادل بين المعايير وانتقال القيم بين الطبقات، أي الحراك الثقافي، وهو شكل من أشكال التغير في العناصر الثقافية، وعدم تمركزها في شريحة دون لخرى، على ما سوف نراه تباعا. وأخيرا فإن السمات الست التي قال بأنها تميز الثقافات الفرعية للجانحين "الصفة غير النفعية للسلوك، والاهتمام بالمتع سريعة الزوال، وتعدد أنماط الجناح، وسيادة خلق الرفض والإنكار، ثم التمرد بالإضافة إلى الطابع الذكري"؛ إنما هي مظاهر أو سمات لبعض صور السلوك الجانح دون أن تنسحب على كل النماذج السلوكية.

في نفس الاتجاه النظري قدّم وولتر ملير نظريته حول **التمركز المحوري للثقافات الفرعية**. وتمثل ذلك التمركز في المواقف المشتركة في المعتقدات والأفكار ونماذج السلوك التي تنمو في محيط الأسرة، وتزدهر مع حركات الهجرة وعمليات الصراع، وطرق التكيف مع متغيرات الحياة الحضرية. ويميل وولتر ملير إلى إثبات الدور الذي تؤديه العوامل الأيكولوجية في التأثير على نوع العلاقات وأنواع القيم التي تتصل سببا أو نتيجة بسلوك عصابات الناصية. تلك الزمر التي درسها بنفسه في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب عدد آخر من البحوث الجزئية المناظرة، وهو مثل كوهن يركز على مجتمع الطبقة الدنيا، ولكنه يخص شريحة العمال باهتمام أكبر. (Kevin, 1999: 759)

وفي حدود هذا التصوّر يرى ملير أن الثقافة الفرعية للجانحين لا تعود إلى الإطار الخاص لزمر النواصي، قدر ارتباطها بثقافة الشريحة الاجتماعية الأدنى. فإذا كانت تلك الشريحة تختلف ثقافيا عن الشرائح المتوسطة والعليا، فإن ذلك التباين الملموس في النماذج والمثل وموجهات السلوك ينعكس على سلوك الصغار بشدة، وقد تأثر ميلر بأوسكار لويس زميله في ذات التخصص، ولذلك يصف شريحة العمال بأنها من ذوي الأصول العرقية الجافة، يتوطنون في مناطق متخلفة في المدن، وتسيطر الأم على الشئون المنزلية، بل إن الأمر يتجاوز حدود السلطة التقليدية للأب، بحيث تصبح الأم مصدر الكسب، بل والإنفاق على الأب في عدد كبير من الحالات. وأمام مظاهر شتى للتنافر والتناقض في توزيع الأدوار، ومكونات القيم بين أسر العمال، يفتقر الصغار إلى النموذج الصحيح للتوجيه. وتعمل الضغوط المختلفة مثل ضيق المكان، وفاقة السكان، ونقص مناشط شغل وقت الفراغ وغيرها، على التقاء أبناء هذه الشريحة سويا، وتجمّعهم عشوائيا حول النواصي. وخلال صور التجمع المذكور يجد الصغار فرصهم في الإشباع الوجداني، وفي الإحساس بالمكانة والتعبير عن الذات. ويكون ذلك التعبير على أشكال متعددة من أفعال الشغب والتمرد. (ليلة ١٩٧٤م: ٧٥).

لقد عدد ميلر السمات الثقافية المحورية المميزة لشريحة العمال، وهي ست: "الشغب"، و"الخشونة"، و"التملق"، و"الاستقلال الذاتي"، والاعتقاد الشديد في قيمة الحظ أو القسمة"، و"الإثارة". وتعتبر كل سمة من هذه السمات التي تخص أفراد الشريحة أساسا؛ مسئولة عن ظهور نمط أو أكثر من أنماط السلوك الجانح لدى الأبناء عن طريق الانتقال الثقافي، وعلى سبيل المثال تنتقل الخشونة من الآباء إلى الأبناء، وتظهر في القسوة مع الغير أحيانا، أو العدوان الجنسي والشذوذ، أو اللامبالاة بما يثير عادة انفعال الناس. وتعد تلك السمة التي تنقسم بدورها إلى بنود ثقافية، مسئولة عن سيادة الطابع الذكوري وسيطرته على السلوك، حيث يتميز "دور الذكر" Male Role بالقهر في مقابل تمركز "دور الأنثى" Female Role حول عواطف الرقة والوداعة، باعتبارها مخلوقا ضعيفا، مما يضطرها للبقاء بالمنزل، وحين ترتكب الأنثى سلوكا خشنا، إنما يكون ذلك من قبيل التشبه بالذكور، دون أن يمكنها من مجاراتهم. (Marcela, 2000: 431) . ومن جانب آخر تقترن سمة الاعتقاد الشديد في قيمة الحظ بالمراهنات، والمقامرات، واحتراف السرقة. أما الإثارة فتبدو في المغامرات، وارتياد أوساط محرمة على الصغار، بينما يرتكز الاعتماد على عوامل الحظ والقسمة إلى معتقدات وأفكار معتلة، ترجّح الميل إلى الهوى، والتكهنات غير الصحيحة حول ظواهر المستقبل، كما تتصل بالتفسير الجزافي وغير المنطقي للحوادث. لذلك فإن هذه السمة تفسر الأفعال الخارقة للصغار، على نحو ما يظهر في الاحتيال والنصب وغير ذلك، فضلا عن ألوان العبث والاندفاع والتهور. وأخيرا فإن صفة الاستقلال تعني التحلل من الضوابط الاجتماعية ومن كل صور الرقابة، في مقابل التأكيد على الكيان الذاتي للشريحة، ومن مظاهر انعكاسات هذه السمة على سلوك صغار السن تكرار ظواهر الهروب من المدرسة، وتدمير الممتلكات العامة، ومقاومة أجهزة الضبط الاجتماعي ذات الشكل الرسمي.

تلك هي السمات الأصلية المميزة للطبقة، تجاورها طائفة أخرى من الخصائص المكملة التي تنصرف لوصف جماعات المراهقين الذين ينتمون إلى عصابات النواصي، وهي:

(أ) ميل المراهقين– باستمرار– للاستجابة لضغوط الأمهات اللائي يتطلعن إلى الأداء الوظيفي المزدوج، بحيث تأخذ الأمهات أدوار الآباء في الرقابة والضبط، بجانب الرعاية المنزلية. ولتلك الازدواجية انعكاسات متعددة، من بين إفرازاتها دفع الأبناء الذكور لتمثيل دور الأب، الذي يكثر غيابه عن المنزل بسبب ساعات العمل الطويلة، وحيث يكون الوجود داخل المنزل غير ملائم مع متطلبات ذلك الدور، ينشط الصغير للبحث عن ذاته خارج المنزل.

(ب) تفوق الانتماء لجماعات الرفاق وغيرها على علاقات الانتساب الأصلي للأسرة. وبما أن الأولى تلبي حاجات الصغير، وتعجز الثانية عن ذلك لأسباب متعددة، يصبح الولاء للرفاق أشد عمقا، وأكثر استمراراً. ويذكر ملير أن الحاجات التي تلبيها جماعات الرفاق اجتماعية وثقافية بالدرجة الأولى، ومنها الاندماج، والإحساس بالهوية، والتعبير الصريح عن الأفكار والمعتقدات.

(ج) بروز مجموعة من المعايير والقيم الملائمة ونسق محدد من الجزاءات "الثواب والعقاب" خارج الأسرة. وغالبا ما يرتكز ذلك النسق على قواعد تناهض قيم المجتمع، أو تدل على التمرد ورفض المعايير العامة. ويذكر ملير أن العضو الأكثر خداعا والأوسع مناورة، يحظى بتقدير أكبر، وجزاء أوفى، بينما يتعرض الساذج وضعيف الحيلة للازدراء وللعقاب أحيانا.

والواقع أن رأي ملير يفصح عن عدة نتائج تفسر العلاقة بين الشريحة الاجتماعية والسلوك الجانح بعامة، وسلوك عصابات النواصي بصفة خاصة، يمكن وضعها على النحو التالي:

١- يشتمل نسق القيم والمعايير وسائر الموجهّات الثقافية لدى شرائح العمال على عناصر تسوّغ التعدي على حقوق الغير، أو تجعله مقبولا ومبررا، وتصبح الأفعال التي تمثل تعديا على القانون أو العرف العام محل عدم اكتراث من قبل الأسر والآباء على وجه التحديد. فالمعايير مخالفة لمعايير التنشئة السليمة في الأصل، ومعوقة للأداء الصحيح.

٢- إن مظاهر التعدي والعدوان وسائر المناشط الجانحة لدى الصغار بمثابة وسائل غير ملائمة لتحقيق الأهداف، أو هي استثمار بسيط وسهل للطاقة، حيث يتعلق معظم الصغار بالأعمال الهامشية، ويقنعون بالعائد المحدود، سواء كان ذلك عائدا ماديا "كالنقود" ، أو معنويا مثل ارتباط المكانة بالتغلب على الغير.

٣- هناك علاقة مستمرة بين مواقف الآباء والضغوط الاجتماعية التي تلاحق الطبقات الفقيرة، وبين استجابات الأبناء لما يشعر به الآباء من ضغوط ومظاهر للإحباط والصد. ولذلك فإن السلوك الجانح يواجه بعدم الاكتراث من جانب الآباء في أكثر الحالات، أو بالقبول في بعض الحالات، أو بالمعاضدة، والتدعيم في أقل الحالات، حين يدافع الآباء بشدة عن سلوك أبنائهم، بل ويشجعونهم على الانتماء لعصابات النواصي. وطبقا لأي من هذه الاستجابات تكون درجة عمق الانحراف وشدة خطورته. فهناك الجناح العرضي والمحدود الأثر، كما توجد جماعات إثارة الشغب والتمرد على القواعد والآداب العامة، بجانب العصابات المنظمة ذات التكوين الخاص. (غباري، ١٩٨٧م: ٩٢).

٤- تعتبر "الشلل" والجماعات المنحرفة- على اختلاف صورها- تعبيراً عن الشروط الحياتية التي تعيشها الشرائح الدنيا بعامة، وشريحة العمال بخاصة، فضلا عن أنها تجسيد للمشكلات النوعية التي تواجه المراهقين. (Miller, 1958: 18, Downes, 1969: 88, Mccord, 1991: 397, Johnson, 1991: 73).

وترى الدراسة الراهنة أن هناك علاقة بين بنية السمات التي ذكرها ملير، وبين استجابة الفرد أو الجماعة لها، ثم تصرفه وفقا لما تدل عليه أو تدفع إليه. ويتحقق هذا على مستوى السمات الأصلية والفرعية. وتفسير ذلك أن اختزان العناصر والبنود الثقافية عبر عملية التنشئة الاجتماعية والاكتساب لا يتم بدرجة واحدة، وبالتالي يختلف تأثير هذه البنود طبقا لدرجة الاختزان، وتمسك الفرد أو الجماعة بالقيمة أو المعيار أو المعتقد الذي اختزنه، ويترتب على ذلك تعدد النماذج الانحرافية وتباينها، فتارة تنتشر مظاهر الشغب بشكل خطير، وتارة أخرى يصبح الاعتداء على الممتلكات طابعا شائعا بين المراهقين، وتارة يصبح العدوان على الأشخاص هو الشكل السائد. وفي هذا الصدد يختلف ملير عن كوهن، فقد اعتبر هذا الأخير الثقافة الفرعية للجانحين وسطا لنقل السلوك بين صغار السن والمراهقين كجماعة لها وحدتها المستقلة نسبيا عن الطبقة، بينما مال ملير بشدة نحو ربط القضية الكلية "الطبقة أو الشريحة" بالقضية الجزئية "جماعة الناصية أو العصابة"؛ فقال بقاعدة التكافؤ بين قيم وسلوك الشريحة من ناحية، وقيم وسلوك الجانحين من ناحية أخرى، بيد أنهما اتفقا معا على رد السلوك الجانح ونشأة الزمر المنحرفة إلى طبقة اجتماعية معينة، وهذا ما أحسبه تجاوزا لشروط النسبية الثقافية، التي تقضي بتوزيع القيم على اختلاف صورها بين الشرائح والطبقات بشكل معتدل نسبيا، لا سيما بعد تعاظم دور أساليب الاتصال وسرعة انتشارها.

ثانيا- الأراء التي تفسر السلوك الجانح في ضوء الثقافات المشتركة بين كل شرائح المجتمع

لم يقبل بعض الباحثين في موضوع الثقافات الفرعية للجانحين المقولات والقضايا التي تنظر للقيم والمعايير المرجحة للسلوك المنحرف على أنها عناصر ثقافية تخص الشرائح الاجتماعية الدنيا وحدها، بل إن ذلك تبسيط مخل لقضية معقدة، وتعسف في الحكم، فضلا عن التحيز في أساليب القياس الإحصائي، وكلها عوامل جنحت بالباحثين

إلى تعميمات غير صحيحة. ويؤكد هؤلاء أن السلوك الجانح- شأن كل صور الانحراف الاجتماعي- يعود إلى عوامل متعددة، وينتشر بين كل الطبقات الاجتماعية، بيد أن ذلك الانتشار لا يتوزع توزيعا متشابها بين الشرائح الاجتماعية جميعا، بل وحتى داخل الشريحة الاجتماعية الواحدة لأسباب كثيرة. (Bernburg, 1999: 457)

ومن رواد ذلك الاتجاه في التفسير **جرشهام سايكس ودافيد ماتزا، وريتشارد كلوارد وللويد أوهلن** إلى جانب عدد أخر غيرهم. ويتفق هؤلاء فيما بينهم على وجود أكثر من إطار فرعي يوجه سلوك الجانحين، ويميزهم عن كبار المجرمين، ولكنهم يختلفون في تحديد طبيعة تلك الثقافات الفرعية، ومحتواها من العناصر والمكونات، ودرجة تأثيرها في سلوك المنتسبين إليها. الأمر الذي تعين معه تقسيم أرائهم إلى أكثر من إطار نظري.

فقد ذهب سايكس وماتزا إلى ما يسمونه بنظرية: "**الالتقاء والتقارب المستتر تحت تأثير الانسياق والغواية**"، التي يمكن تلخيص أفكارها فيما يلي:

١- هناك ظروف خاصة، ومواقف صعبة، تواجه المراهقين وتدفعهم للتقارب فيما بينهم بحيث تتحد استجاباتهم، ويحدث بينهم نوع من التآلف والتناغم في المشاعر والقيم.

٢- من بين شروط ذلك التآلف التجانس في أساليب الحياة والعيش، وحدة مظاهر التبرم والسأم، والملل في المنزل، والمدرسة، ومكان العمل، وأيضا في الحي، والجيرة، والمدينة ككل.

٣- تؤدي الشروط المذكورة إلى آثار ونتائج سلبية، تظهر في شكل أفعال تعبيرية وعفوية تمثل صورا من الجناح الكامن أو المستتر، وهو بمثابة استثمار غير ملائم للطاقة ونشاط الصغار في وقت الفراغ الطويل. (إسماعيل ١٩٨٤م:١٢٢).

٤- يتعرض المتجانسون في الشروط السابقة للانسياق والاندفاع تحت تأثير ما يسميه

ماتزا التسليم بالقدر Mood of fatalism ومن بين نتائج سيادة ذلك الطابع الجسارة، واللامبالاة بالأخطار.

٥- كلما تكررت فرص الانسياق، ودعمتها وحدة "السن"، و"الجنس"، و"المستوى الاجتماعي"، وشروط المكان المناسب، و"الوقت الكافي"؛ كان الالتحام بين المشاركين فعلا ومؤثرا.

٦- ينتج عن الالتحام بين زمر المراهقين تنظيم للجماعة، وتوزيع للأدوار والمسئوليات بداخلها، ويأخذ ذلك التوزيع غالبا مراتب للقيادة والتبعية. وهذا ما يبدو جليا في عصابات الأطفال.

٧- حيث يتشكل الكيان الجمعي تنمو وسائل الدفاع عن ذات الجماعة، وإزاحة المسئولية عنها، وإلحاق التهم بالغير. وهذا ما يسميه "سايكس وماتزا " فنون تحييد الذنب. Techniques of guilt neutralization. وهذه الفنون هي التبريرات Justifications المنطقية أو الملفقة أحيانا، يقدمها الأحداث الجانحون عادة لإكساب الفعل صيغة ملائمة، أو للتخفيف من مشاعر الذنب، أو دفع الخوف والخجل في مواقع المسئولية وإبان الاتهام، وغالبا ما تأتي تلك التبريرات تالية للفعل، ولكنها تعبر أيضا عن الاتفاقات الضمنية أو الصريحة السابقة على الفعل.

٨- وأخيرا- وعلى غرار الآراء السابقة- تتألف فنون تحييد الذنب من عناصر خمسة، هي: التنصل من المسئولية، وإنكار وقوع الضرر، وتجاهل وجود الضحية، وإلحاق التهم بالغير، والتظاهر بالولاء الشديد. ويشتمل كل عنصر من هذه العناصر على شروح مطولة لا سبيل إلى إحصائها الآن. غير أن هذه الفنون أو التبريرات تجمع بين الجوانب الثقافية والسلوكية والنفسية ضمن منظومة واحدة، تفسر مختلف أنماط سلوك الجانح في شكليه الفردي

والجمعي. (Matza & Sykes, 1967: 665)

إن محتوى الثقافة الفرعية للجانحين في رأي سايكس وماتزا، يتشكل في غالبه من الأساليب والطرق التي يبتدعها الصغار للتحرر من القيود الأخلاقية، أو تبرير الاعتداء على قواعد العرف والقانون. بحيث تجعل السلوك صحيحا مادام يحظى بقبول المشاركين. ومن بين التبريرات التي يدلل بها الجانح على انتفاء المسئولية، عدم توافر القصد والنية إبان وقوع الفعل، وبأن الخطأ يعود إلى سلوك الآخرين لا إلى ذاته، وأنه في موقف الضحية لا المذنب، إلى غير ذلك من العلل والمسوغات. وأضيف بأن تلك التبريرات – على حد قول ماتزا- لا تستقل عن البناء الأساسي لثقافة المجتمع، بما في ذلك ما تنقله وسائل الاتصال العامة من صور انتهاك القانون، والآراء والأفكار السائدة عن العدالة والمساواة، وأيضا المعتقدات التي تتصل بالتفاوت في تقدير الخطأ والصواب، وما ينتج عن ذلك التفاوت من صراع وتناقض في الفهم والتقدير. (Schwendinger, 1997: 73.

وتأسيسا على ذلك فإن السلوك الجانح ليس رد فعل عكسياً حيال المشكلات التي تواجه المراهقين من أبناء الشرائح الدنيا، بل يرجع إلى عملية إعادة صياغة المبادئ والقواعد والمعايير التي تحكم السلوك عن طريق الأساليب الفنية لدفع المسئولية وتحييد الذنب وغيرها من التبريرات. ولا يرفض الجانح المعايير التقليدية والعامة التي تقررها الطبقات المتوسطة أو غيرها على فرض انتمائه للشرائح الدنيا، كما يكون على بينة بشرعية القانون والنظام أو العرف العام، ومدركا لصوابه الأخلاقي. بيد أنه يشق لنفسه طريقا متلائما- إلى حد ما- مع طبيعة الضغوط المفروضة عليه، فيستعين بالتبريرات المذكورة، تلك التبريرات التي تجعله في موقف محايد. .(Matza & Sykes, 1957: 667) على أن الأساليب المذكورة مشتقة من السياق الثقافي ككل، لا سيما ما تعلق منها بحدود المسئولية الجنائية، وحقوق الدفاع، ومواطن الضعف في الإجراءات الخاصة بالتحقيق والمحاكمة، فضلا عما تنقله وسائل الإعلام من مواد ثقافية، تؤثر سلبيا على الصغار

والمراهقين بصفة خاصة. لا سيما أن كثيراً من الأفعال الجانحة تنطوي على تشييد لغوي، ينظم الأفعال المضادة، ويحدد طريقة تعلّمها، أو كيفية انتقالها بين الجانحين الصغار، أو بينهم وبين المجرمين الكبار. (Bayer, 1981: 190, Downes, 1969: 74).

ويرى الباحث أن نظرية الانسياق ركزت على عوامل الإغراء والإثارة، من ناحية تأثيرها في كل فئات المراهقين، بغض النظر عن نوع الانتماء الطبقي، كما كشفت عن دور وسائل الاتصال في نقل الخبرة الإجرامية. كذلك بينت أثر الضغوط الاجتماعية التي تواجه الصغار، ومن بين نتائجها الاستثمار غير الملائم لوقت الفراغ الطويل. هذا بالإضافة إلى إثبات علاقة الميول الكامنة للجناح بالانتماء للجماعات الإجرامية والتقاء المتشابهين في كثير من الصفات سويا، ضمن نطاق للتفاعل الاجتماعي المتصل، خلال فسحة مناسبة للمكان والزمان بجانب وحدة الهدف والمصير. (الشناوي ١٩٧٢م، ١٦٠).

إلى جانب نظرية الالتقاء المستتر والانسياق توجد نظرية **"بناء الفرص المتفاوتة وتعدد الثقافات الفرعية للجانحين"** ومن أبرز روادها ريتشارد كلوارد Richard Cloward ، ولويد أوهلن Lioyed Ohlin، وتتفق تلك النظرية مع سابقتها في عدد من المحاور، كما تختلف عنها في بعض الأفكار. فالصراع بين نماذج السلوك المشروع، والسلوك غير المشروع متصل. ومع أننا نضع فوارق أحيانا بين الممنوع والمباح أو السوي والمتناغم من ناحية، وغير السوي والمرفوض واللاتوافقي من ناحية أخرى؛ فإن التداخل بين نوعي الفعل متكرر. وكثيرا ما تمتزج الأساليب المشروعة بالأساليب غير المشروعة، لاسيما بين صغار السن والمراهقين داخل كل الطبقات الاجتماعية. ولا شك أن صغار السن في كل طبقة يعيشون ظروفا اجتماعية متباينة نسبيا. (Lowand & Ohlin,1960: 111)

من جانب آخر قد تتداخل أنساق القيم الثقافية مع الأشكال المتعددة للعلاقات الاجتماعية

لتشكل وحدة لا تقبل الانقسام في بناء الفرص المشروعة وغير المشروعة، ويعبر ذلك الخلط – في رأي كلوارد وأهلن – عن أسلوب جديد في تحديد الموقف الإجرامي. وكلما زاد التداخل كانت فرص الانحراف أوسع، وكلما كان ذلك التداخل قاصرا على حدود التماس فقط دون أن ينطوي على الخلط والتشويه قلّت فرص الانحراف. وتفسير ذلك أن الوفرة النسبية في الوسائل المشروعة وتعدد أنواعها وبدائلها في الأسرة والحي– فضلا عن الطبقة الاجتماعية تؤدي إلى تحقيق مجال أفضل من المطامح، وترتبط بالحركة الاجتماعية الصاعدة. بيد أن ذلك لا يتوافر بالنسبة لكل شرائح المجتمع، لأن الموانع والضغوط الاجتماعية مثل "الأمية"، و"التفكك الأسري"، و"نقص الحاجات الضرورية" تحول دون إتاحة الأساليب المشروعة لبلوغ النجاح في الحياة الاجتماعية، فيكون البديل هو الانحراف. (جابر ١٩٨٨ :٢٠٩).

ويضيف كلوارد وأوهلن أن القيم التي توجه السلوك الجانح وتدعم استمراره تشكل وحدات للبناء الفرعي للثقافة. ثم تنمو هذه الوحدات كلما توافرت لها الظروف الملائمة. ومنها عدم اكتراث الكبار بسلوك الصغار، خاصة أعمال الشغب والإثارة، والتستر حيال بعض صور النشاط غير المشروع، وضعف الإجراءات الجنائية، وسهولة الإفلات من العقاب، وتقديم التسهيلات أمام أعمال المراهنات وغيرها من المناشط الهامشية. .(Cloward, 1969: 115)

وفي ضوء ما سبق نرى أن بناء الفرص المتفاوتة بين السلوك السوي والسلوك الجانح يتأثر بما يلي:

أولا: بالمكان والموقع: وهذا ما يشير إلى تأثير الحي والجيرة في سلوك السكان عامة والمراهقين وصغار السن بصفة خاصة.

ثانيا: كما يتأثر بناء الفرص المتفاوتة بوسائل الضبط الاجتماعي، التي تبدو باهتة وغير فعالة لدى بعض الأسر والشرائح الطبقية.

ومن جانب آخر يتأثر تباين "الفرص الموضوعية" تبعا للتناقضات الاجتماعية السائدة، والأيدولوجيات المسيطرة، وغيرها من العوامل التي تتصل بتوزيع الموارد بالمدلول الاقتصادي، وتوفير الخدمات وتوفير الخيارات والبدائل بالمفهوم الاجتماعي الثقافي، والتكيف مع الضغوط والتوترات النفسية على اختلاف أنواعها. وينعكس ذلك البناء التفاضلي على صغار السن بدرجة أعمق لأن اختزان النعوت السيئة وتراكمها يتم على نحو معين، خلال فترة المراهقة المتوسطة بصفة خاصة. وكلما زادت كمية الصفات المختزنة زاد ميل الصغار نحو من يشبهونهم في تلك الصفات، ويزداد ذلك الميل بسبب ما يشعر به هؤلاء من عوامل الجذب المختلفة، وفي مقدمة هذه العوامل الإحساس بالولاء والإخلاص فيما بين المتآلفين، وتبادل مشاعر الإعجاب والتباهي، وتشابه المواقف المتعلقة بإثبات الذات.

وحسبما تقضي به شروط التوحد والاندماج بين المتشابهين، يتجه هؤلاء إلى إعادة صياغة المناشط بما يتلاءم ونوع الضغوط والمشكلات التي تواجههم، وتصبح جماعة الرفاق وسطاً لتسهيل مرور الخبرات وتراكمها على نحو يرجح بواعث الرفض والمقاومة لكل ما يناهض قواعد تلك الجماعة أو ينال من أعضائها. ولذلك فإن الجانحين الذين ينتهكون قواعد العرف والقانون العام لا يرفضون شرعية هذه القواعد، ويقبلون التبريرات الأخلاقية التي ترتكز عليها؛ غير أن الالتزام بها لا يحقق مطامحهم، ولا يتفق مع الشروط الصعبة التي تكتنف حياتهم. من أجل ذلك يكون الانتماء للجماعات والشلل المضادة بمثابة تشكيل من نوع جديد للعلاقات والقيم، يعبر عن رأي المنتسبين ويحقق أهدافهم. (عارف، ١٩٨٦: ١٥٧).

واستنادا إلى هذا التصور لا ينسب السلوك الجانح إلى طبقة معينة، على النحو الذي ذهب إليه كوهن وملير، وسايكس وماتزا، بل إلى الصراع بين قيم الطبقتين الدنيا والمتوسطة في ضوء متغيرات عدة هي:

١- خصوصية بناء القيم بين الشرائح الطبقية الدنيا لأسباب وضغوط معينة.
٢- وجود تباين نسبي بين القيم والمعايير على مستوى كل الشرائح الاجتماعية، مع اتجاه مستمر نحو تدعيم أنساق القيم في الطبقتين المتوسطة والعليا، باعتبار أن هذه الأنساق تجسد كل ما هو عام وشائع وصحيح.
٣- هناك تطابق بين بنية القيم في الشرائح الدنيا وبين سلوك الأبناء. ويتم ذلك التطابق بشكل تلقائي عبر عملية التنشئة الاجتماعية.
٤- يذكي مواقف الصراع تفوق بعض الطبقات على بعضها فيما يتصل بمحكات تحديد المكانة الاجتماعية، ومنها معيار "مستوى الدخل"، و"المهنة". وحيث تزداد السيولة النقدية لدى الشرائح العليا والمتوسطة، وتميل المهن إلى الصعود والارتقاء؛ تتسع المسافة الاجتماعية بين هذه الشرائح والشريحة الدنيا، مما يضاعف فرص التجاوز والتعدي على الأموال والأشخاص.
٥- تزداد نسب الجناح بين الشرائح الطبقية الدنيا بسبب التباين في بناء الفرص، وفي نوع القيم، مع إمكانية وجود أكثر من ثقافة فرعية تدعم أنماطا من الجناح، يمكن التمييز بينها على مستوى التدرج الطبقي كله. (cloward, 1959: 165).

ينتهي كلوارد وأهلن من هذا التحليل إلى تقسيم الثقافات الفرعية للجانحين إلى ثلاثة أنواع متميزة، ويتفاوت انتساب كل منها إلى الشرائح الطبقية بسبب عوامل ونتائج متعددة. وهذه الأنواع هي:

النموذج الأول: الثقافة الفرعية ذات الشكل الإجرامي

وتشتمل على مجموعة القيم والمعايير، وأنماط السلوك، وأساليب الحياة والعيش التي يرتكز إليها السلوك اللصوصي المنظم. ويعتمد هذا السلوك- في مختلف صوره- على "خُلُق" الخداع والاحتيال، والمراوغة والدهاء، وغالبا ما تقع الممارسة ضمن جماعات محترفة، تتلمذ عادة على يد غيرها من الكبار نسبيا في العمر، وذوي الخبرات

والتجارب الإجرامية السابقة، وتزدهر هذه الجماعات في المدن الكبرى بصفة خاصة. وفي حدود هذا السياق يشتمل التمرين على قواعد وأصول ومظاهر للتعبير تأخذ طابعا مستترا(Uchiyama, 1993: 114) .

وتظهر "القيم" المرتبطة بالطراز الإجرامي في المهارات اليدوية، وفي تبرير وتمرير فنون خداع الغير، ومن "المعتقدات" ما يقرر أن العالم بأسره ينطوي على الخداع والتضليل. وكثيرا ما يرى هؤلاء الجانحون في أنفسهم المهارات والقدرات ذات التكوين المميز، وبالتالى فإن مظاهر "القوة"، و"المناعة" تكمن في ذواتهم في مقابل مظاهر "الضعف" و"السذاجة" التي توجد في الخصم أو الضحية. يؤكد هذه المعتقدات نمو العوامل الدافعية داخل إطار الجماعة، وفي مقدمتها الإحساس بالانتماء، والقدرة على التغلّب، والتفوق في المهارات اليدوية.

النموذج الثانى: الثقافة الفرعية ذات الخصائص الصراعية

وينطوي ذلك الطراز على كل العناصر التي تتصل بتبرير العنف والعدوان، ويتجه العنف تاره نحو الأشخاص، وتاره أخرى نحو الممتلكات، وينتشر ذلك النوع من السلوك في مناطق معينة لها سمات سكانية، وجغرافية، واجتماعية معينة. وتتميز جماعات العنف بالتشتت والتعدد طبقا للقواعد والمبادئ التي تبرر العنف والعنف المضاد، كما تظهر فكرة الدفاع عن حدود المكان والموقع، بالإضافة إلى نمو المعتقدات المتصلة بالعرق أو السلالة والدين. ومن الملامح البارزة لفصائل العنف نشوب المعارك من حين لآخر. وتساق إلى نشوب تلك المعارك تبريرات متباينة. كما يصبح الانتقام لذات الجماعة، أو بسبب الاعتداء على أحد أفرادها هدفا قائما بذاته. ومن أكثر صور العنف بين الأحداث التمرد والمروق، والعصيان ضد الأبوين أو المدرسين، أو أي من جماعات المجتمع ومؤسساته، وذلك بالنسبة للاعتداء على الأشخاص. أما عن العنف الموجه نحو الأشياء فإن من أشكاله تدمير الأثاث، والاعتداء على المرافق العامة. وغالبا ما ترتكز هذه الأفعال

على مبررات وأهداف غير واضحة. (Kennedy, 1993: 89)؛ وقد يتخذ العنف لدى الأحداث مظاهر استعراضية تتمثل في أعمال الشغب لإثارة اهتمام الغير، وأحيانا يقع الفعل لهدف التندر، ولا يتجاوز حد المزاح وجلب الضحك. ومن عوامل انتشار أنماط العنف بين الصغار صراع القيم بين الكبار والصغار، وتداعي وسائل الضبط الاجتماعي، وسرعة التحولات في عناصر السكان بسبب عمليات الإحلال والتجديد في العمران، وزيادة موجات الهجرة إلى المدن الكبرى. (Zhou, 1998: 335).

النموذج الثالث: الثقافة الفرعية ذات الخصائص الانسحابية

تتميز حياة بعض الجانحين بالتقهقر والانسحاب والعزلة، ويتجلى ذلك بين الشاذين جنسيا، كذلك يدخل في هذا السياق كل مظاهر التشبه بالإناث في السلوك والعادات، وفي استعمال الأدوات والملابس وغيرها. ويذكر كلوارد وأهلن أن السلوك الانسحابي يظهر بشدة لدى المتعاطين للمخدرات والمسكرات. لأنه تنمو لدى هؤلاء طائفة من "المعتقدات"، و"الأفكار"، و"القيم" الهامشية. وتشكل هذه الفئة لهذا السبب جماعات صغيرة نسبيا. فالممارسون للواط أو السكر يؤثرون الانزواء والتمركز في جيوب ومناطق خاصة، وتضعف بينهم مقاييس الولاء والإخلاص، وكثيرا ما تعبر زمر المدمنين المراهقين عن أكثر الجماعات تنكرا لمبادئها الخاصة. ففي حالات الملاحقة والمواجهة تتفكك الجماعة وينفرط عقدها. (Byqvist, 1998: 57).

إن الثقافة الفرعية الهشة من هذا النوع ترجح مشاعر التيه والانتشاء، وسط قيم وعقائد تبرر الشراب والسكر طبقا لطقوس وشعائر، تجعل الأداء مشبعا للغاية تحت شروط معينة؛ منها خلوة المكان، وتظهر خلال ذلك ألوان من التعبير الرمزي بالحركة والكلمة والصوت، وتشكل هذه المكونات الثقافية ما يعرف "بلغة الشراب"، تلك اللغة التي تدعمها الاستجابات المشتركة ذات الطابع التهكمي "الساخر". (خالد ١٩٩٤: ٨٧).

مناقشة وتعقيب

أثار تفسير السلوك الجانح في ضوء الثقافات الخاصة قضايا ومشكلات جديرة بالنظر والاعتبار من الناحيتين الفكرية التصورية، وعلى مستوى التطبيق والبحوث المباشرة. وتكفي الإشارة إلى أن المشكلات التي طرحها الباحثون مازالت مثار جدل حتى يومنا هذا. ويكاد يتمركز الرد على التساؤلات المطروحة في صدر هذا البحث حول مسألتين أساسيتين:

أولاهما: الإطار الفكري والتصوري للثقافات الخاصة.

الأخرى: اختبار القضايا على ضوء البحوث المباشرة.

فيما يتصل بالقضية الأولى، تعرض المنظرون للثقافات الفرعية للجانحين إلى عدد من المشكلات النظرية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية. وأصبح من المؤكد أن تفسير السلوك– استنادا إلى التمايز بين الطبقات الاجتماعية– لا يعتمد على مقاييس مثل "الدخل"، والمهنة"، و"الموقع" فحسب، بل إن هناك ركائز ثقافية تتمتع بقدر من القوة التفسيرية، ويستطيع الباحث من خلالها تحديد درجة انتشار السلوك المنحرف، وعمق تأثيره، مع تقدير أسبابه، عن طريق دراسة محتوى "القيم"، و"المعايير"، و"المعتقدات"، و"الأفكار"، و"الرموز" وغيرها من موجهات الفعل.

من هنا جاءت التفسيرات النظرية المطولة لمقومات الثقافات الفرعية ومضمونها على قدر من دقة الصياغة وقوة البرهان. واستعان العلماء بأساليب الاستقراء الجيد للظواهر، فجاءت الأحكام الاستنباطية والتعميمات ملائمة لتحليل المشكلات الاجتماعية في دائرة النظريات الاجتماعية الصغرى، أو النظريات محدودة المدى. هذا في الوقت الذي استوعب فيه الباحثون ما كتبه علماء الجريمة من قبل. وقد صادف المدخل الثقافي في تفسير السلوك الجانح قبولا في الأوساط العلمية. ويمكن إيضاح ذلك على النحو التالي:

١) أثبت العلماء أن الثقافات الخاصة بالجانحين تتكون من عناصر منظمة وليست عشوائية، تتحكم في سلوك صغار السن والمراهقين. ويكتسب السلوك عن

طريقها طابعه الجمعي المغاير نسبيا للجناح الفردي، كما تزداد الثقافات الفرعية انتشارا.(Hoshino,1992:130)

٢) تتألف الثقافات الخاصة بالجانحين من طائفة من العناصر والسمات المشتركة بين الممارسين، تشكل في نهاية الأمر أهم طرق الاتصال والتفاهم والتبادل بين الصغار، فضلا عن المصطلحات الإجرامية ولهجة الكلام والأساليب الفنية وغيرها.

٣) تتصل السمات الثقافية السائدة بين الجانحين بجنس الذكور، وإذا كان للإناث الجانحات ثقافة خاصة فإنها محدودة النطاق ضعيفة الأثر، وللتمايز بين الجنسين في هذا الصدد أسباب تفسره تناولها الباحثون. (Banks, 1996: 49)

٤) استوعب التفسير الثقافي متغيرات أخرى هامة في تحليل السلوك مثل تأثير الحي والجيرة، والرفاق، والمهنة، والمكانة الاقتصادية الاجتماعية، وهي من المكونات البنائية. وذلك واضح عند ألبرت كوهن أكثر من غيره.

٥) يصلح التفسير الثقافي لتحليل مشكلة الجناح في كثير من المجتمعات، دون أن تقتصر حدوده النظرية على المجتمعات ذات التدرج الطبقي المميز كالولايات المتحدة الأمريكية. (سويف، ١٩٩٠م: ٨٣)

بيد أن هذا النوع من التفسير تعرض لمآخذ متعددة على مستوى الصياغة النظرية التي يمكن إيجازها فيما يلي:

١) اتصل بناء النظريات الثقافية بالشرائح الطبقية الدنيا غالبا، الأمر الذي جعلها متحيزة معرفيا من عدة وجوه.

٢) إن المعايير والقيم والمعتقدات وسائر المكونات الثقافية ليست من العناصر التي يمكن التمييز بينها داخل الشرائح الاجتماعية، وإن إمكانية الاتصال فيما بينها على مستوى التدرج الاجتماعي كله أكبر من حيز التفرقة فيما بينها. وكثيرا ما يتخذ توزيع هذه المكونات طابعا انتشاريا بين كل فئات المجتمع، لا سيما بعدما اتسعت وسائل الاتصال وتعاظم تأثيرها.

٣) يرتبط تكوين الثقافات الفرعية للجانحين بعوامل كثيرة ومتغيرات عدة، وتعتبر الشريحة الاجتماعية عاملا واحدا في تكوينها. وينصرف هذا المأخذ لبعض الباحثين وليس كلهم.

٤) استعان منظرو الثقافات الفرعية للجانحين بمفاهيم نفسية مثل: "رد الفعل العكسي"، و"الإحباط"، و"الكبت"، و"التعويض"، و"التناقض الوجداني" وغيرها؛ مما يمثل انحرافا عن المكونات الثقافية (Farrington, 1987: 37, Moro, 1987: 37) .

أما على مستوى اختبار الفروض في ضوء البحوث المباشرة فقد تعددت البحوث التي تناولت بعض متغيرات الثقافة الفرعية للجانحين، وتراوحت نتائجها بين الإثبات والنفي. فقد أفادت بحوث دافيد دوانز، وولف جانج في بريطانيا أنه من الصعب –على المستوى العملي– الفصل بين المعايير والقيم العامة، وبين تلك التي توجه سلوك الجانحين الصغار. وإذا أمكن الفصل بين نوعي المعايير، فإن ذلك لا يساعد على تفسير العمليات المركبة والصور المتباينة للجماعات الجانحة. وعلى ذلك فإن الثقافات الفرعية للجانحين تشكل متصلا مع الثقافة الكلية أو "الثقافة الأم". ومن جانب آخر أثبتت بعض البحوث أن هناك تباينا بين النماذج التلقائية والعابرة والعفوية للشلل والجماعات الجانحة، وبين الأشكال المنظمة ذات النشاط الإجرامي المحترف، فهذه الأخيرة هي التي ينتظمها بنيان ثقافي يصح أن نطلق عليه اصطلاح الثقافات الخاصة. (Powers, 1991: 230)

من جانب ثالث كشفت بحوث كل من سبرجل وجوردن عن وجوب إعادة النظر في تباين الأطر الثقافية الفرعية بين فئات الجانحين على النحو الذي أوضحه كلوارد وأهلن. ذلك أن هناك تداخلا بين العناصر والبنود الثقافية التي توجه سلوك الممارسين للسرقة والنشل، وبين تلك التي تحكم أفعال المدمنين ومحترفي الجنسية المثلية، ممن يتصف نشاطهم بالانسحاب والعزلة. ولا ينفصل سلوك العدوان ثقافيا عن مظاهر السكر التي تتصل به أحيانا سببا أو نتيجة. من ناحية رابعة دلت بحوث كل من جيمس شورت

وسبرجل أيضا على أن "القواعد" التي تخضع لها أفعال الغش والتحايل والخداع تختلف من مجال لآخر، مما يعنى إمكانية انقسام الثقافات الفرعية لعدد أكبر، يتجاوز نطاق التقسيم الثلاثي المشار إليه آنفا. من ذلك تباين "المعايير" التي تخضع لها المراهنات والمقامرات، عن تلك التي يستند إليها التزييف وتزوير المستندات مثلا، وكذلك أعمال المراوغة والتحايل التي تميز سلوك النشل. وجميعها يحقق عائدا ماديا، أو يرتبط "بالنقود" كوعاء للقيم الاقتصادية وأسلوب لتبادل المنافع. (Philipson, 1971: 137, Spergel, 1961: 32, Tojanwics, 1978: 46, Kersten, 1993: 277)

ورغم أن معظم البحوث التي حاولت اختبار عناصر الثقافات الفرعية ومكوناتها للجانحين تمت غالبا في مجتمعات غربية، إلا ان البحوث العربية لها حظها من التقدير أيضا. ففي دراسة بعنوان "مناقشة لنظرية البرت كوهن في ضوء دراسة ميدانية عن الجناح والطبقة العاملة" بمدينة القاهرة توصل الباحث في الشق المتصل بالثقافة الفرعية – إلى أن تلك الثقافة الخاصة ليست مجرد استقطاب سلبي لقيم ومعاييره المجتمع السائدة. ولا يتمثل الأحداث الجانحون القيم المضادة للمجتمع إلا إذا فشلوا في تحقيق أهدافهم عن طريق القيم المقبولة والسائدة. ومع إثبات الباحث للصفة النفعية للسلوك الجانح، باعتباره يحقق عائدا ماديا، إلا أن تأكيده على إدراك الفاعل لنتائج سلوكه مقدما، وارتباطه بخطط وأهداف، إنما يعني وجود "شكل من أشكال التنظيم الذي يرتكز على طائفة من المعايير والقيم الخاصة. (السمري ١٩٨٤م: ٤٥٥).

وفي تقديري أن الثقافات الخاصة بالجانحين تتباين على مستوى التطبيق – من مجتمع لآخر، ولا ترتبط بالتقسيم التقليدى للطبقات الاجتماعية على النحو الذي قال به كوهن وغيره والذي يصدق على مجتمع مثل الولايات المتحدة الأمريكية، بينما لا يصح ذلك التصنيف بالنسبة لعدد كبير من المجتمعات الغربية. وأضيف أن الثقافات الفرعية للجانحين تزدهر في مناطق حضرية معينة، وتنتشر بين أبناء الشرائح الفقيرة أكثر من غيرها وذلك لأسباب مطولة، وضغوط اجتماعية لا سبيل إلى إحصائها الآن.

وفي دراستين للباحث تناولت الأولى العصابات الجانحة (١٩٨١م)، والثانية "الجانحين المحترفين" (١٩٩١) دلت نتائجهما على وجود إطار ثقافي خاص يميز تلك الفئة، وينطوي ذلك الإطار على طائفة من "السمات المشتركة"، ومجموعة من "القيم والمعايير"، فضلا عن أساليب الاتصال والتفاهم"، و"الوسائل الفنية" في ممارسة السلوك، وجميعها يؤكد المحتوى النوعي لثقافة الجانحين الصغار دون الثامنة عشرة، وتتألف تلك الثقافة خاصة بالنسبة للمحترفين لسلوك "النشل" من بنود وعناصر كثيرة، يتصل بعضها "بالقيم" الانحرافية الموجهة للفعل، كما يختص بعضها الآخر بلهجة "الكلام" التي أمكن تصنيفها ضمن منظومة من الرموز والكلمات والإشارات التي تتصل بكل ضروب الممارسة وتوزيع الأدوار والمسئوليات، وأساليب التصرف حيال الجمهور وأجهزة الضبط وغيرها، وبصفة عامة ترتكز جماعات النشل إلى إطار ثقافي فرعي مفصل يناهض بشدة المعايير والقيم ولغة الكلام لدى أفراد المجتمع والثقافة السائدة من حيث الشكل والمضمون والوظائف، وينطوي ذلك على تفاصيل لا سبيل إلى إثباتها الآن.

غير أن تلك الثقافة ليست على درجة من التماسك بين العناصر والمكونات إلى الحد الذي يحقق استمرارها. فهي تتعرض – بفعل عوامل وضغوط خاصة – للتفكك والتشرذم من حين لآخر، ويمكنها أن تفسر جانبا من سلوك الأحداث الجانحين. وتبقى جوانب أخرى مرجعها البناء الاجتماعي للمجتمع، وطبيعة النظم الاجتماعية، واتجاهات التغير الاجتماعي، فيما قبل، وأثناء، وبعد ما يسمى فترة الانفتاح الاقتصادي.

ولا تزال البحوث التطبيقية تتناول بالإثبات والنفي والتعديل كثيرا من القضايا التي أثارتها "نظرية الثقافة الفرعية للجانحين"، خاصة فيما يتعلق بالثقافات الخاصة بمدمني المخدرات من صغار السن والمراهقين، ومن شرائح طلاب المدارس بصفة خاصة، وقد تناولها بالتفصيل عدد من الباحثين المصريين، أذكر منهم مصطفي سويف الذي أثبت في عدد من البحوث أهمية المحتوى الثقافي الخاص بالإدمان في تدعيم سلوك الشراب

والسكر بين طلاب المدارس، والذي يبدأ عادة بتجربة المواد المنشطة والمنومة، ثم ينتهي بالاعتياد على أكثر المخدرات ضررا وهو الهروين. وينتشر الآن بشكل واسع تعاطى (البانجو) بين المراهقين والشباب، خاصة بين من يسمون "بأولاد الناصية"، أو "أطفال الشوارع". ويمكن القول بأن الثقافات الهامشية مسؤولة عن انتشار "القيم"، و"المعايير"، و"الأفكار"، وأنماط السلوك التي تبرر وتدعم الانفصال عن القيم المشتركة والعامة. (Grewe, 1997: 968)

وعلى ذلك فإن النظريات المشار إليها ذات كفاءة تفسيرية في المجتمعات العربية التي شاهدت الآن نموا وتزايدا في أنواع الثقافات المضادة، دون ان يتعلق التحليل بالتقسيم الطبقي التقليدي على النحو الذي فصلته هذه النظريات في صيغتها الغربية، الأمر الذي يعني إمكانية بلوغ إطار نظري عربي يفسر سلوك الجانحين في المجتمعات العربية والإسلامية التي تعددت بها الأطر الفرعية الثقافية تحت التأثير السلبي لشبكات الاتصال والإعلام الدولي. (Le-Peter, 1994: 3)

أخلص من العرض السابق إلى أن الثقافات الفرعية للجانحين في فترة العمر التي تنتهي عند سن الثامنة عشرة أو العشرين غالبا، وعلى النحو الذي تم تحديده في المبحث الثاني تحقق وجودها باستمرار كما تزداد أنماطها في العالم المعاصر حتى مع وجود العولمة الثقافية وسرعة انتشارها. ولا تستقل هذه الثقافات عن ثقافة المجتمع ككل، وإنما تأخذ منها وتضيف إليها او تؤثر فيها وتتأثر بها. وهذا على المستويين المحلي والإقليمي. أما على المستوى العالمي فقد تأثرت الثقافات الفرعية في كل دول العالم ببعضها الآخر، وبشكل نسبي، وأصبح عدد من هذه الثقافات يجمع بين المحلية والإقليمية والدولية. أما عن اختبار القضايا والمقولات التي أثارها العلماء فقد دلت البحوث الميدانية والمباشرة على صدق عدد كبير من الفروض والوقائع، وتأكدت عن هذا الطريق القيمة العلمية والعملية للمدخل الثقافي في تفسير السلوك الجانح بكل صوره. وتعتبر هذه النتائج إجابة على التساؤلات التي سبق طرحها.

مصادر البحث

أولا:المصادر العربية

- أبو زيد أحمد، مايو ١٩٩٠، البناء والبنائية، دراسة في المفهومات"، المجلة الجنائية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد السابع والعشرون، العدد الثاني. ص ص ٩٧-١٢٥.
- إسماعيل عزت وآخرون، ١٩٨٤، جنوح الأحداث، وكالة المطبوعات الحديثة، الإسكندرية.
- السمري عدلي، ١٩٨٤، جناح الأحداث والطبقة العاملة، دراسة ميدانية عن الجناح والطبقة العاملة بمدينة القاهرة على ضوء نظرية ألبرت كوهن، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد السادس، أبريل، ص ص٤٥٣-٤٦٦.
- الشناوي سمير، مارس ١٩٧٢، نقد البحوث التي أجريت بشأن نظريتي المخالطة الفارقة والاحتواء" المجلة الجنائية القومية، المجلد الخامس عشر، العدد الأول. ص ص ١٣٥-١٦٢.
- جابر سامية محمد، ١٩٨٨، الانحراف والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- سويف مصطفى، ١٩٩٠، علاج الإدمان، الخبرة المصرية في إطارها الحضاري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلة الجنائية القومية، العدد القاهرة. ص ص٨٣-٩٣.
- عارف محمد عثمان، ١٩٨٦، طريق الانحراف، بحث ميداني عن احتراف البغاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. ص ص ١١-١٦١.
- غبارى محمد سلامة، ١٩٨٧، أسباب جنوح الأحداث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية
- ليلة علي محمد، يولية ١٩٧٣، العنف في المجتمعات النامية من وجهة نظر التحليل الوظيفي، المجلة الجنائية القومية، المجلد السابع، العدد الثاني، ص ص٧٣-٢٩٢.
- نعيم سمير أحمد، مارس ١٩٦٤، بناء الأسرة وتكوين الجناح، لجورج دني فوس، المجلة الجنائية القويمة، المجلد السابع، العدد الأول. ص ص ٧٩-٩٨.

ثانيا: المصادر الأجنبية

- Banks Terry, 1996, "Salivary Testosterone and cartisol in Delinquent and violent urban subculture", Journal of social psychology, vol. 136, No. 1, PP. 49-56.
- Bayer, R., 1986, Crime punishment and Decline of liberal optimism, Rinhant and Winston, New York.
- Bernbung Curnnar, 1999, Adolescent violence, social control and the subculture of Delinquency: Factors Related to violent Behavior and Nonviolent Delinquency", youth and Society, vol. 30, No. 4, pp. 445-460.
- Byqvist Siv and Olsson Boerye, 1998, Criminality and subcultural affiliation in a Career perspective, Jounal of psychoactive – Drugs, vol. 30, No.1, pp. 53-68.
- Caplan Choy, 1992, "Indochinese refugee Families and Academic Achievement",Scientific American, Vol. 266, No.2, Pp. 36-42.
- Cloward Richard and Lloyd Ohlin, 1960, Delinquency and opportunity: Theory of Delinquent Gang, Glencoe 111: the free press, 1960
- Cloard Richard, 1959, "Illegitimate means, Anomie and Deniant Behavior", American sociological Review, Vol. 24. Pp. 164-176.
- Cohen Albert, 1968, Deviant Behavior, In international Encyclopedia of social sciences, Vol. 4.
- Cohen Albert, 1970, Deviance and Control, Prentice-Hall of India, New Delhi.
- Cohen Albert, 1967, Delinquent Boys: The culture of Gang, Mcmillian, London.
- Davis Marvin, 1991,Another look at the relationship between Delinquency, Prentice-Hall London.
- Downes David, 1969, The Delinquent Solution; Astudy in sub-

culture
o theory, Rout ledge and Kegan Paul, London.
- Fraaington D. and Berkowitz, 1982, "Differences Between Individual and Group Fights", British Journal of Psychology, Vol. 27, PP. 323-333.
- Fave Richard, 1974, "The culture of Poverty: Astrategy for Research, Social problems, vol. 21, PP. 609-621.
- Felson Richard and Liska Allen, 1994, "The subculture of violence and Delinquency: Individual Vs. School", Social forces, Vol. 73, No.1, PP. 155- 173.
- Floyed Herbert, 1972, "Dilemma of Youth: the choice of parents or peers as a frame of Reference for Behavior", Journal of Marriage and Family, Vol. 34, PP. 627-634.
- Friedman Charles and Mannard Adel, 1976, "Juvenile street Gangs: the Victimization of youth". Adolescence Vol. 44, N.11 PP. 527-533.
- Gibson H., 1963, "Aslang Vocabulary Test as An Indication of Delinquent Association, British Journal of Social and Clinic Psychology, Vol.2 PP. 50-55.
- Greve M., 1997, "How Marginal is a marginalized group", Social science and medicine, Vol. 45, N.6, PP. 967-970.
- Harris Marvin, 1969; The Rise of Anthropological Theory, Rout ledge and Kegan Paul, London.
- Heimer Karen, 1997, "Socioeconomic status, sub cultural Definitions and Violent Delinquency" Vol. 75, No. 3 PP. 799-833.
- Hoshino Kanehiro and Harada yutaka, 1992, "A study on the Influence of organized criminal Gangs upon Juveniles, conforming to the Boryokudan subculture" , Reports of National Research Institute of police science, Vol. 33, No. 2 PP. 128-143

- Johnson V., 1991, "Effects of the family Environment on Adolescent substance use: Delinquency and Copying Styles", Vol. 17, No.1, PP 71-88.

- Kaplan H. and Robbins C., 1983, " Testing General theory of Deviant Behavior in longitudinal Perspective" In K. van Dusen and S. Mednick (eds) perspective studies in Delinquent and criminal Behavior, Boston, Kluwer – NiJh off, PP. 117-146.

- Kennedy Leslie and Baron Stephen, 1993, "Routine Activities and subculture of violence: A study of violence on the street", Journal of Research in Crime and Delinquency, Vol. 30, No.1, PP. 88-112.

- Kersten Joachim, 1993, "Street Youths, Bosozku and Yekaza formation and Societal Reactions in Japan", Crime and Delinquency Vol. 39 No. 3, PP. 277-295.

- Kevin Lalor, 1999 "Street children: A comparative perspective", Child Abuse and Neglect Vol. 23, No. 18, P. 759.

- Li-Peter S., 1994, "A word part: The multi cultural world of visible minorities and the art world of Canada", The Canadian Review of sociology and Anthropology, Vol. 31 PP. 365-391.

- Matza David and Sykes, 1957, "Techniques of Neutralization: A theory of Delinquency", American Sociological Review, 20, P. 37-49.

- Matza David and Sykes, 1968, Delinquency and subterranean values", American sociological Review, Vol. 20, No. 5 PP. 211-231.

- McCord Joan, 1991, "Family Relationships, Juvenile Delinquency and Adult Criminality", Criminology, Vol. 29, No. 3, PP. 397-417.

- Miller John, 1995, "Gender and Power on the street: Street prostitution in the Era of Crack Cocaine", Journal of Comparative Ethnology, Vol. 25, No.4, PP. 427-442.

- More house Fillip, 1991, "Football hooligans: old Bottle and New wires", The Sociological Review, Vol. 39, PP. 489-502.

- Moro Charles, 1987, "Violence against and by youth: Forms of Intervention and Control", Tut-togiovant Notizie, Vol. 2, PP. 36-42.

- Murata James, 1989, "Family values, Delinquency and The Mexican family in U.S.A", American sociological Review, Vol. 17, P. 5431.

- Nagan John, 1997, "defiance and Despair: sub cultural and structural linkages Between. Delinquency and Despair in the life course, social Forces, Vol. 76, No. 11, PP. 119-134.

- Novy D. and Gaa J., 1992, "The Association Between paterns of Family functioning and Ego Development of the Juvenile offender", Adolescence, Vol. 27, No. 105, PP. 25-35.

- Oscar Lewis, 1968, The study of slum cultures: Background for Lavida, Random House, New York.

- Powers Karel, 1991, "Resilent Lords and Indian Vagabonds: Walth Migration and The Reproductive transformation", Ethnohistory, Vol. 38, PP. 225-249.

- Rainwater Lewis, 1969, "The problem of lower class culture and poverty- war strategy", In Daniel Moynihan, on understanding porerty, Basic Books, PP. 229-259.

- Rumbaut, 1997, "Ties and Bind: Immigration and Immigrant families in the united states" In A Booth A.C. Crouter , New York, PP. 390-405.

- Schwendinger Herman, 1997, "Chart in subcultures at a frontier of knowledge", British Journal of Sociology, Vol. 48, No.1, PP.

71-94
- Shoemaker D., 1984, Theories of Delinquency, Oxford university press, New York.
- Spergel Lorence, 1961, "An Exploratory Research in Delinquent sub-cultures", American Sociological Review, Vol. 53, PP. 33.
- Trojanowicz charles, 1978, Juvenile Delinquency, Concepts and Control, Englwood cliff, New jersey, prentice – Hall.
- Uchiyma Ayako and Hoshino Kanebiro, 1993, " A study on the conformity of Boryokudan Members to the Boryokudan subculture", Reports of National Research Institute of police science, Vol. 34, No.2, PP. 113-121.
- Vetter harold and Silver man Ira, 1968, Criminology and crime, Harper and Row, New York.
- Welzer Odette and Lilian M., 1997, "Prostitution", Journal of Contemporary, Ethnology, Vol. 17, PP. 241-245.
- Yinger M., 1965, Toward field study of Behavior, MCGraw-Hill Company, New York.
- Zhou Bankston, 1998, Growing up American: How Vietnamese children adapt to the life in the united states, New York, Roussell sage foundation.
- Zhou Bakston, 2000, The Biculturation of the Vietnamese student, unban Education, New York.

ثانيا: تقارير اللقاءات العلمية وعرض الكتب والرسائل الجامعية

عرض كتاب

القيادة الإدارية: التحول نحو نموذج القيادي العالمي

تأليف الدكتور/ سالم بن سعيد القحطاني

أستاذ الإدارة العامة المشارك في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

إعداد

العميد الدكتور / سعيد بن محمد الغامدي

مدير المعهد العالي للدراسات الأمنية / كلية الملك فهد الأمنية

مقدمة

هـذا الكـتاب الـذي سوف نبحر عبر صفحاته هو (القيادة الإدارية: التحول نحو نمـوذج القـيادي العالمـي) تأليف (الدكتور/سالم بن سعيد القحطاني) أستاذ الإدارة العامة المشـارك في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود، وهو غني عن التعريف لحضوره المـتكرر خلال الندوات والمؤتمرات العلمية، ولكتاباته المستمرة في المجلات المتخصصة في حقل الإدارة، ويقع الكتاب في (٢٥٩) صفحة توزعت على تسعة فصول، تناولت القيادة مـن حيـث الأسـس، والمـناهج، والـتطور التاريخي، والأساليب والأشكال. ومن خلال الصفحات التالية سوف نتناول أبرز محاور هذا الكتاب، ونختم برأينا الشخصي.

بيَّـن المؤلف في المقدمة أن القيادة هي المحرك الرئيس للعملية الإدارية الناجحة ، وهـي التـي تساعد المنظمة على تحقيق أهدافها بتميز ، ثم أشار إلى أن أحد دوافع تأليف هـذا الكـتاب هو ما لاحظه من اهتمام التنظيمات الإدارية والمتخصصين في حقل الإدارة بالمديريـن وإهمالهم للقادة الإداريين، لأن عمل المدير يقوم على ما يرسمه له القائد، فالقائد فـي نظر المؤلف هو مهندس العملية الإدارية ، ثم بيَّن أن فكرة الكتاب أتت في ظل عدم توافـر الكتاب الجامعي المناسب الذي يعالج جوانب القيادة الإدارية المعالجة الصحيحة ، ثم بين أهم المحاور التي احتواها الكتاب، مختتماً بنموذج توضيحي لتقسيمات الكتاب .

الفصـل الأول بعـنوان: (مدخل إلى القيادة الإدارية الأسس والمناهج): وقد قسمه المؤلف إلى خمسة أقسام على النحو التالي :

القسـم الأول: مقدمة وتحدث فيها عن أهمية القيادة، وأنها وجدت حيث وجد الإنسان على اليابسة، وذهب إلى أنها ليست خاصة بالإنسان، بل إن القيادة توجد في بعض الممالك غير إنسـانية. وأشار إلى أن القيادة برزت في كل التجمعات الإنسانية الرسمية، وغير الرسمية مـنذ القـدم، وضـرب أمثلة برب الأسرة ، وشيخ القبيلة في إفريقيا، وفي آسيا، وأمريكا اللاتينية.

القســم الثانــي: مفهــوم وتعريف القيادة: تحدث المؤلف هنا عن مفهوم القيادة، ثم أورد بعــض تعــار يــف القيادة في اللغة والاصطلاح ، ومنها تعريف ابن دريد الذي يرى أن القيادة في اللغة ما خوذه من الفعل (قاد)، كما في قاد الرجل بعيرة ، فهو يقوده قوداً ..... كمــا أورد بعض التعاريف الاصطلاحية للقيادة نذكر منها :- تعريف (توماس جور دن) الــذي يعــرف القــيادة بأنهــا (الوظــيفة التي يستخدم فيها الشخص ما يملكه من سمات وخصائص اكتسبها بالخبرة والتعلم) ، وقد أوضح المؤلف أن هناك خلافاً بين العلماء حول تعريف القيادة في الاصطلاح. ففي العصر الماضي كانت القيادة ترمز إلى بعض السمات الشخصية، والقدرات الخاصة التي منحها الله سبحانه لبعض الأشخاص، سواء كانت عقلية أو جســدية أو أخلاقية ، أما في العصر الحديث فقد اختلف معنى القيادة وتغير لتتوافق مع متطلــبات العصر ومكوناته ،ومع التنظيمات ذات النشاط النوعي والتخصصي المختلف ، حيــث لم يعد بالإمكان الاعتماد على السمات الشخصية بل أصبحت هناك حاجة ماسة إلى بعض المهارات التي تتطلبها المنظمات المختلفة حسب النشاط الذي تمارسه.

ويخلــص المؤلــف بــتعريف مختصر للقيادة، فيرى أنها: (قدرة القائد على إقناع الأفراد والتأثــير عليهم لحملهم على أداء واجباتهم ومهامهم التي تُسهم في تحقيق الهدف المشترك للجماعــة). بعد ذلك حاول المؤلف أن يركز على القيادة الإدارية، فأورد بعض التعاريف التي منها تعريف وايت (White) الذي يرى أن القيادة الإدارية هي: (قيام القائد بتوجيه وتنســيق ورقابــة أعمــال الآخريــن في الإدارة) . وتعريف هنت لارسون (Hunt Larson) الــذي يــرى أن القيادة الإدارية (هي الوسيلة المناسبة التي يتمكن بواسطتها المديــر من بث روح التآلف والتعاون المثمر بين الموظفين في المنظمة من أجل تحقيق الأهــداف المشــروعة). ثــم يخلــص إلى أن القيادة الإدارية في نظره هي: (الدور الذي يتقمصه الشخص المكلف بإدارة المنظمة .. عندما يقوم بالتأثير على المرؤوسين – أفرادًا وجماعات – ودفعهم لتحقيق أهداف المنظمة بجهودهم المشتركة). ثم ذكر المؤلف مداخل دراسة القيادة الإدارية الثلاثة وهي :

١- المدخـــل الفــردي: وهو مدخل علماء النفس في دراسة القيادة. وقد ركز هذا المدخل على الفرد باعتبار الركيزة الأساسية للقيادة بما يتمتع به من صفات.
٢- المدخــل الاجتماعي :- وهو مدخل علماء الاجتماع، ويسمى أيضا المدخل الموقفي، ويـــرى هــؤلاء أن دراسة القيادة ينبغي أن تنطلق من البيئة الاجتماعية التي يمارس فـــيها القـــائد مهامه ومسئولياته، ويعنون بذلك بيئة المنظمة والمجتمع الذي يمارس سلطاته من خلاله .
٣- المدخــل التوفيقـــي : ويقوم هذا المدخل بالجمع بين المدخلين السابقين لدراسة القيادة، وهـــو المدخل المفضل لدى علماء الإدارة ، ويرى أنصار هذا المدخل أن القيادة هي عملـــية تفـــاعل اجتماعي، ويرون أنه لا يكفي لنجاح القائد تفاعل سماته مع متطلبات الموقـــف بل بالإضافة لذلك يجب أن يكون هناك تفاعل بين شخصية القائد وحيثيات الموقف بشكل كلي.

القســـم الثالث: أوضح فيه المؤلف عناصر القيادة الإدارية وهي: وجود الجماعة، وجود هـــدف مشـــترك والتناسق واللإنسجام ، والقدرة على التأثير مثل التأثير القسري ،والتأثير بالمكافآت ،والتأثـــير الشرعـــي، والتأثير المعـــرفي ، والتأثير بالمرجعية ،وتأثير السمات ،وتأثير القرينة .

القسم الرابع : تحدث فيه المؤلف عن دور القيادة الإدارية في المنظمات، مبيناً فيه أهمية القـــيادة الإداريـــة للمـــنظمة وعلاقـــتها بالعملية الإدارية ككل من حيث التخطيط والتنظيم، والتوجيه والتنسيق، والرقابة والمتابعة، واتخاذ القرارات .

القسم الخامس : بّين فيه المؤلف مبادئ القيادة الإدارية وهي : الإيمان بالهدف، الإنطلاق إلـــى الأمام، حب العمل مع الآخرين، التقدير السليم للموقف، تحمل المسؤولية، التصرف على المستوى القيادي، حسن التصرف، والقيادة نحو الإصلاح.

الفصل الثاني بعنوان (تطور الفكر القيادي الإداري). وقد قسمه المؤلف إلى خمسة أقسام على النحو التالي:

القسم الأول: مقدمة وهي سرد تاريخي للفكر القيادي عبر العصور.

القسم الثاني : تحدث المؤلف فيه عن الفكر القيادي الإداري في العصور القديمة، ابتداء من الحضارة السومرية، مبيناً أن السومريين قد عرفوا بعض ألوان القيادة الإدارية. فقد وجد في بعض الوثائق أنه كان لكهنة معابدهم نظامٌ ضريبي محكمٌ ،ثم تحدث عن الحضارة المصرية، موضحاً أن هذه الحضارة تميزّت بفن العمارة والنحت والنقش والكتابة، وتعتبر الأهرامات أهم الشواهد على قدرات المصريين القدامى التنظيمية والإدارية. ثم عرج المؤلف على الحضارة البابلية قائلاً إن أبرز ما أسهمت به حضارة بابل في مجال الفكر الإداري عامة والقيادي خاصة هو قانون حمورابي.

بعد ذلك تحدث المؤلف عن حضارة الصينيين، موضحاً أن الصينيين بحكمتهم وفلسفتهم عرفوا بعض المبادئ الإدارية في مجالات القيادة والتخطيط، والتنظيم والرقابة. وأشار إلى إن دستور الإمبراطور(شاو) يعتبر أقدم دليل إداري يضعه قائد لموظفي الخدمة المدنية من أدناهم إلى أعلاهم مرتبة، كما قال المؤلف عن الحضارة الإغريقية إنها أولى الحضارات التي عملت على تكوين دولة ديمقراطية، وإن الإغريق عرفوا ما يسمى بروح الخدمة العامة، والتي تتمثل في التأكيد على أن المصلحة العامة تسمو على المصلحة الخاصة. أما الرومان فبين المؤلف أن أهم ما ميز حضارتهم هو منصب الرقيب، أو المدعي العام، ويتمتع شاغله بسلطات أهمها الإشراف على سجلات المواطنين وممتلكاتهم أو الرقابة على الأخلاق والآداب العامة .

القسم الثالث : خصصه المؤلف للحديث عن الفكر القيادي الإداري في العصور الوسطى، وبين أن هذا العصر تميزّ بسيطرة الإقطاع، حينما كان الملوك والنبلاء يملكون جميع موارد الدولة ، كما تميزّ هذا العصر البسيط بسيطرة الكنيسة على جميع شؤون الحياة، ومن إسهامات هذا العصر رسالة (لوقا باكيولي) في عام ١٤٩٤م التي وصف

فـيها مسـك الدفاتر بطريقة القيد المزدوج ، وأشار المؤلف الى أن القرن السادس عشر عرف بالمفاهيم الإدارية اتضح ذلك من كتابات (سير توماس)، و (نيقولو ماكيفللي) .

القسم الرابع : تحدث فيه المؤلف عن الفكر القيادي الإداري في العصر الإسلامي، مبتدئاً بعهـد الرسول ﷺ ، وبين أن الرسول ﷺ يمثل القائد الأول في الإسلام. فقد أسس الدولة، وأوجـد الأرض، وحـرر الشـعب ، وكـون السلطة، وبنى النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعـي على ضوء التشريعات الربانية. ثم ذكر المؤلف أهم المبادئ القيادية الهامة مـثل مـبدأ الشـورى، ومـبدأ العدالة والمساواة، ومبدأ طاعة ولاة الامر ، ومبدأ العمل الجماعي (العمل بروح الفريق) ، ومبدأ القوة وومبدأ الأمانة، ومبدأ الجدارة .

ثم تطرق المؤلف الى إسهامات خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- في تطوير الفكر القيادي، موضحاً استمرارية اتباعه- رضي الله عنه- لما وضعه رسول الله ﷺ من تشريعات وأنظمة، كما استمر في تطبيق المبادئ التي تعلمها من رسول الله ﷺ، كـالعدل، والشـورى، والمساواة، والرفق بالآخرين ،كما سمح بحرية الرأي الآخر، ودلل علـى ذلـك بسـماحه لعمـر بـن الخطاب- رضي الله عنه- في معارضته له في قتال المرتديـن، بعد ذلك تحدث المؤلف عن الفاروق- رضي الله عنه- وكيف أنه أرسى عدداً مـن المـبادئ منها محاسبة موظفيه عن أموالهم من أين اكتسبوها ، وانتهج عمر المؤتمر السـنوي الـذي كـان يعقده أثناء موسم الحج ليناقش فيه ولاة الأقاليم، ويتابع من خلاله أحوال الدولة والرعية. وأقر عمر مبدأ الرقابة الشعبية حتى على نفسه كقائد للأمة، إذ كان يقول للناس (اتقوا الله عباد الله ، أعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم). كما طور عمر النظام الإداري للدولة، فأسس- رضي الله عنه- عدداً من الدواوين التي بلغت خمسـة دواويـن كـان أهمها ديوان الخراج ، وديوان الرسائل ، وديوان الجند. ثم عرج المؤلـف علـى عهد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- مشيراً إلى أنه سار على ما سار

علـيه عمـر بـن الخطاب- رضي الله عنه- إلا انه زاد باهتمامه بالقرآن الكريم، وأمر بجمعه خوفاً من ضياعه نتيجة استشهاد العديد من حفظته، كما زاد في عدد الدواوين حتى أصبحت سبعة دوواين .

ثـم تحدث عن قيادة على بن أبى طالب- رضي الله عنه- وأنه سار على النهج النبوي، واتبع نهج أسلافه من الخلفاء الراشدين في التعامل مع القادة والقيادة ، ثم ذكر المؤلف ان في كتاب على بن أبي طالب- رضي الله عنه- إلى (الاشتر النخعي) بيانا لملامح نهجه القـيادي، وتوجيهات منهجية سديدة في القيادة أهمها : أن يكون القائد طائعا لله ، ومتقيا لـه، ومتسـلحاً بسـلاح العمـل الصـالح. وأن يكون القائد رحيماً ومحباً لمن تحته من المرؤوسين، وقادراً على العفو والصفح، والبعد عن الكبر والغطرسة ... إلخ.

ثـم أورد المؤلف بعض الممارسات القيادية في العهد الأموي مبتدئا بعهد معاوية- رضي الله عـنه- مبيِّـناً أنـه أول من ابتدع نظام الحكم الوراثي في الإسلام ، وبين طريقته في الـتعامل مـع رعيته من خلال قوله (إن بيني وبين الناس شعرة لن تنقطع أبدا فإن هم شـدوها أرخيتها وإن هم أرخوها شددتها). وبين المؤلف أن حكم بني أمية امتد لسنوات عديـدة، شهدت العديد من التطورات التي ساهمت في إثراء الفكر القيادي كان من أهمها زيـادة عـدد الدواويـن ، واتساع الدولة الإسلامية، مما جعل الخليفة يفوض أمور إدارة الولايـات إلى ولاة الأقاليم، بمنحهم سلطات شبه مطلقة في إدارة شؤون ولاياتهم ، كما أن دخول العديد من الأمم في الدولة الإسلامية ساهم في تطوير وظائف الدولة .

ثـم تحدث المؤلف عن العهد العباسي، مشيراً الى أن هذا العهد قد أثرى الفكر الإسلامي عامـة ، والفكـر الإداري والقيادي خاصة بكثير من آراء الكتاب المسلمين النيرة ، مثل الفارابـي الذي كتب (المدينة الفاضلة)، وأبي الحسن الماوردي الذي كتب (الوزارة)، وأبـي يعلـى محمد الحنبلي الذي كتب (الأحكام السلطانية) وأبي محمد عبدالله بن قتيبة الذي كتب (الإمامة والسياسة).

القســم الخــامس : وتحدث فيه المؤلف عن الفكر القيادي الإداري في العصر الحديث، موضحــاً ان أهم ما يميزّ الفكر الإداري الحديث هو الثورة الصناعية التي مهدت الطريق أمــام التطوير الإداري، إلا أن القفزة الصناعية لم تسايرها قفزة بنفس المستوى في الفكر الإداري ، ثم تحدث المؤلف عن المدارس الإدارية المختلفة على النحو التالي:

١- المدرسة التقليدية : قامت هذه المدرسة على الأفكار التي ظهرت في الغرب في أول القرن التاسع عشر، وقد رسخت بعض المفاهيم غير الديموقراطية مثل الأمر ، والرقابة ، والتوجية ، والسلطة . ثم أورد المؤلف أهم نظريات المدرسة التقلادية مثل:

- نظــرية البيروقراطية لــ(ماكس فيبر) (١٨٦٤م- ١٩٢٠م). وقد ركزت هذه النظرية علــى وصــف النموذج الإداري المثالي للمنظمة الذي يقوم على أساس تقسيم العمل ، وهرمية الرقابة ، والعمل المكتبي.
- نظرية الإدارة العلمية ركزت هذه النظرية على وضع الأسس والأساليب العلمية للعمل الإداري، ومــن كــتاب هــذه النظرية (هنري جانت)، و(فرانك جلبرت)، وزوجته (ليليان)، و (فرد ريك تايلر).
- نظرية التقسيم الإداري وأهم كتابها (أوليفر شليدون) الذي وضع كتاب (فلسفة الادارة) عام ١٩٢٣م ، وقام (هنري فايول) بوضع عدد من المبادئ الإدارية وردت في كتابة (الإدارة الصــناعية العامــة)، و(جمــس موني)، و(ألن رايلي) قاما بأول محاولة منهجــية لدراســة التنظيم، فحددا مهام القائد، ووضعا مبادئ شاملة للتنظيم في كتابهما (الصــناعة إلــى الأمام) الذي صدر عام ١٩٣١م. وذكر المؤلف أن مساهمة (لوثر جولــيك) في هذه النظرية تتمثل في وظائف المدير التي أطلق عليها البوسد كــورب (POSDCORB) . أمــا مساهمة (ليندل إيرويك) فتكاد تنحصر في تأليفه عدداً من الكتب أهما: (عناصر الإدارة العامة) الذي صدر عام ١٩٤٣م، الذي جمع فيه العديد مــن أفكار رواد الإدارة وفلاسفتها أمثال (فايول)، و(تايلور)، و(موني)، و(رايلي)، وحللها وشرحها بلغة بسيطة.

٢- مدرسة العلاقات الإنسانية : يقول المؤلف تسمى المدرسة الكلاسيكية الحديثة لتمسكها ببعض مبادئ النظريات الكلاسيكية ،وحيناً تسمى مدرسة العلاقات الإنسانية لاهتمامها بجوانب العلاقات الإنسانية والاجتماعية في المنظمة، ثم أورد المؤلف أهم دراسات هذه المدرسة ونظرياتها على النحو التالي :

- تجارب هوثورن: وتقوم على الدراسات التي أجراها الباحث الأمريكي (التون مايو) بين عامي ١٩٢٤- ١٩٣٢م، وهدفت إلى معرفة تغيّر الإنتاجية بتغير الظروف المحيطة بالعمل. ونتيجة لهذه الدراسة تم التوصل إلى تأثير السلوك الإنساني في التنظيم البشري. فقد أسهمت هذه التجارب في نشر الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في مجال العمل.
- نظريتا ماكر يجر (x . y) الذي صنف البشر في المنظمة إلى صنفين صنف وضعه تحت نظرية (x) ويرى أن الإنسان العادي يكره العمل. وأغلب الناس يجب أن يجبروا على العمل، ويراقبوا ويوجهوا ويهددوا بالعقاب من أجل الحصول على الإنتاج اللازم ، والإنسان العادي خامل وغير طموح ، وليست لديه مبادأة أو مبادرة، ولا يحبذ المخاطرة . أما الصنف الآخر فوضعه تحت نظرية (y) ويرى أن الإنسان يحب العمل، ويسعى إليه بمحض إرادته تحت الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة ، ويتعلم تحمل المسئولية تحت الظروف المناسبة ، والإنسان طموح بطبيعته وهو قادر على استخدام الفكر البناء والخيال في حل المشكلات التنظيمية ، والإنسان قادر على الإبداع والابتكار والإقدام على الأخطار.

٣- المدرسة السلوكية : هذه المدرسة- كما ذكر المؤلف- لها خصائصها وسماتها التي تتميز بها عن غيرها من المدارس، ولها روادها من أمثال (تشيستر برنارد)، و(هربرت سايموت) ،و(ماري فوليت)، و(ماسلو). وفيما يلي نورد بعض مساهمات هؤلاء الرواد.

- التنظيم والسلطة لبرنارد : يرى (برنارد) أن أفضل أنواع التنظيم هو التنظيم الرئاسي الذي يخضع فيه كل شخص لرئيس معين ، والرئيس لرئيس أعلى منه، ويخضع

الجميع لسلطة مركزية في نهاية الأمر ، ويرى برنارد أن التنظيم يقوم على ثلاثة عناصر هي: التعاون ، والتنسيق والإدارة.

- العلاقات التنظيمية لسايمون : يري (سايمون) أن التنظيم: (هيكل مركب من الاتصالات والعلاقات بين مجموعة من الأفراد ومن هذه العلاقات يستمد كل فرد جانباً كبيراً من المعلومات والقيم ، والاتجاهات التي تحكم عملية اتخاذ القرارات). فالمدير- في رأي سايمون- لايعني باتخاذ القرار فقط ، وإنما ينظر الى ردود الفعل الناتجة عنه.
- الهدف لماري فوليت: حيث قامت (ماري فوليت)- كما يقول المؤلف- بعدد من الرسائل اعتمدت فيها على أساس دراسة الإدارة من وجهة نظر علم النفس. فهي ترى أن هناك قائداً واتباعاً، وكلاهما يسير خلف قائد غير منظور هو الهدف المشترك للجميع.
- هرمية ماسلو للحاجات:يرى (أبراهام ماسلو)-كما يقول المؤلف- أن الحاجات الإنسانية من أهم محددات السلوك الإنساني، وأنه يمكن ترتيب الحاجات على شكل هرم تمثل قاعدته الحاجات الفسيولوجية الأساسية ثم تتدرج الحاجات ارتفاعاً حتى تصل إلى قمة الهرم حيث الحاجة إلى تحقيق الذات ، فالعامل يؤدي عمله بالطريقة التي يحقق من خلالها حاجاته.

٤- مدرسة الإدارة الحديثة: يقول المؤلف- بعد استعراض المدارس الإدارية السابقة: اتضح أن هناك شبه اتفاق- علمي- بين كتاب النظريات والمدارس، يتمثل في تفسير ظاهرة السلوك التنظيمي حيث اتضح أنها تتشكل من نظام متكامل ، ثم تحدث عن نظرية النظام المفتوح، مبيناً أنها تقوم على التأكيد على العلاقات الوثيقة بين التنظيم والبيئة المحيطة بالمنظمة، وذلك لأن عمل التنظيم وفاعليته يتوقفان على استمرار توافر الموارد لها من البيئة، كالمواد الخام ، والقوى العاملة ، ورؤوس الأموال، ومعلومات بأشكالها المختلفة، حيث يقوم التنظيم بتحويل هذه الموارد ومزجها بالكميات والمقادير الاقتصادية من خلال أنشطة مختلفة لانتاج سلع أو خدمات يقدمها للبيئة. فالنظام المفتوح يتصف بعناصره الثلاثة مدخلات، وعمليات، ومخرجات .

الفصــل الثالث: بعنوان (أساليب وأشكال القيادة الإدارية ونظرياتها) اشتمل على أربعة أقسام على النحو التالي :

القسم الأول : المقدمة؛ وذكر فيها المؤلف أن القيادة تتخذ عدداً من الأساليب أوالأنماط .

القسم الثاني : أساليب القيادة الإدارية وتحدث فيه المؤلف عن عدد من الأساليب هي :

١- أسـلوب الشدة : وقد ساد هذا الأسلوب نتيجة للظروف التي كانت سائدة في العصور القديـمة، والوسطى، وبداية العصر الحديث .

٢- أسـلوب الليـن: وحول هذا الأسلوب يقول المؤلف بعد ظهور العديد من المآخذ على أسـلوب الشـدة، وظهور الاتجاه الحديث في الإدارة المتمثل في المدرسة السلوكية ونظـرياتها، كـنظرية العلاقـات الانسانية، والنظرية السلوكية، ونظرية التنظيم ، ونتـيجة لحدوث كثير من التغيرات والتطورات في الأعمال بدأ القادة يتجهون نحو تغيير أسلوبهم في التعامل مع أتباعهم إلى الأسلوب النقيض وهو أسلوب اللين .

٣- أسـلوب الحزم: وعنه يقول المؤلف: تبين للقادة الإداريين بعد تطبيق أسلوب اللين أنه لا يمكـن أن يحل مشكلة جميع العاملين لأن بعضهم لاينفع معه إلا أسلوب الشدة. لذلـك رأى الباحـثون أنه يمكن اللجوء الى أسلوب وسط بين الشدة واللين ، وهو الأسـلوب الحـازم. ومـن أبـرز مـن نادى به (ماكر يجر) ، و(ماكموري) ، و(ليكرت).

القسم الثالث : أشكال القيادة الإدارية : تحدث المؤلف عن أهم أشكال القيادة مثل:

١- القـيادة الاسـتبدادية (التسـلطية)، وتسـمى- أحيانا- بالقيادة التسلطية، أو القيادة الأوتوقراطـية، وتقوم فلسفة هذا الشكل على مبدأ أن القادة المتسلطين يرون أن عليهم إجـبار العامليـن على أداء الأعمال، انطلاقاً من سلطتهم الرسمية التي تخولهم إياها اللوائح والقوانين التنظيمية .

٢- القـيادة المتسـاهلة : وتسمى أحيانا- كما يقول المؤلف- بالقيادة المتحررة، أو الفوضوية، أو غير الموجهة، أوقيادة عدم التدخل؛ وتقوم على النقيض من القيادة التسلطية.

٣- القــيادة المشــاركة (التعاونــية) ، وتسمى أيضا القيادة الديمقراطية ، وجاءت هذه القيادة- كما يقول المؤلف- نتيجة لحل إشكالية تشدد القيادة الاستبدادية، وتساهل القيادة المتســاهلة وانفلاتهــا بحيث يقوم القائد في القيادة التعاونية بإيجاد قنوات اتصال بينه وبين العاملين، ويمنحهم الثقة ويشركهم في اتخاذ القرار، ويشجعهم على إبداء الرأي .

القســم الربع : نظريات القيادة الإدارية : وفي هذا القسم تحدث المؤلف عن أهم نظريات القيادة من خلال المدارس الإدارية التقليدية والسلوكية على النحو التالي:

١- نظريات القيادة الإدارية التقليدية : ذكر المؤلف النظريات التالية :

أ- نظــرية الســمات : يقــول المؤلف تسمى أيضا نظرية الرجل العظيم حيث تقوم على مفهوم أن القائد رجل عظيم منحه الله عدداً من الصفات والخصائص التي لا تتوافر الا في الرجال العظماء.

ب- نظــرية الموقــف: ظهرت هذه النظرية كرد فعل لنظرية السمات التي ركزت على القــائد وأهملــت الأتباع والموقف، وترى هذه النظرية- كما ذكر المؤلف- أن القيادة الــناجحة هــي التي تتوافر فيها الخصائص اللازمة للتعامل مع الموقف حسب طبيعة العناصر المكونة له ، وحسب متطلبات ذلك الموقف المكانية والزمانية ،ونوع الجماعة المقــودة واتجاهاتها ،ومشاكلها واحتياجاتها؛ وهكذا فإنه لا يظهر القائد إلا إذا تهيأت له الظــروف لاستخدام مهاراته وتحقيق طموحاته . ومن رواد هذه النظرية (تاننباوم) الــذي حدد عناصر الموقف في :شخصية القائد ،ومدى مشاركة المرؤوسين ، والقوى الكامــنة فــي الموقــف. ومن رواد هذه النظرية أيضاً (فيدلر) الذي رأى أن عناصر الموقــف تكمــن فــي الثقة القائمة بين القائد والمرؤوسين ،وطبيعة العلاقات التبادلية، والــتحديد الواضح لأهداف ومهام التنظيم ،وحجم وطبيعة الصلاحيات الممنوحة للقائد لمواجهــة الموقف. ومنهم أيضا (ردن)الذي يقول إن عناصر الموقف تكون في وسائل وطــرق تنفيذ العمل، وغايات الجهاز التنظيمي ، والعنصر الإنساني في التنظيم كالقائد والمرؤوسين .

ج- الـــنظرية التفاعلية : جاءت هذه النظرية لتكون وسطاً بين نظرية السمات التي ركزت على القائد، ونظرية الموقف التي ركزت على عناصر الموقف؛ وتقوم هذه النظرية- كمـــا يقـــول المؤلـــف- علـــى التفاعل الكلي بين عناصر العملية القيادية المتمثلة في شخصية القائد، واتجاهات وحاجات ومشاكل الأتباع ، وعناصر الموقف.

٢- نظريات القيادة الإدارية السلوكية، نورد أهمها فيما يلي:

أ) نظريـــتا ماكريجر (س) ، و (ص) (x. y) حيث صنف المرؤوسين الذين يتعامل معهم القائد إلى صنفين تقدم الحديث عنهما .

ب- نظـــرية الشبكة الإدارية : جاءت هذه النظرية نتيجة للأبحاث التي قام بها (بليك) ، و(موتـــون) عام ١٩٧٦م، وتأثرت بدراسة جامعة أوهايو، وتقوم هذه النظرية على أن هـــناك بعدين للقيادة: بعد الاهتمام بالعمل، وبعد الاهتمام بالعاملين، ويتم قياس كل بعد علـــى مقياس من (٩) درجات حسب درجات الاهتمام، يبدأ بصفر أي انعدام الاهتمام، وينتهي بالرقم (٩) قمة الاهتمام بهذا البعد ،وأحد البعدين عمودي، والآخر أفقي.

ج- نظـــرية الأبعاد الثلاثة لـــ(وليم ردن) قامت أيضا على نتائج دراسات جامعة أوهايو، ويرى (ردن)- كما ذكر المؤلف- أن هذه النظرية تميِّز بين أنماط القيادة الناتجة عن أبعـــاد ثلاثة هي درجة كفاءة القيادة في الاهتمام بالعمل ، والاهتمام بالعاملين، وكفاءة القيادة في إحداث التأثير الإداري أو عدمه.

د- نظـــرية المسار إلى الهدف : هذه النظرية قامت أولا- كما يقول المؤلف- على أفكار (مارتـــن إيفـــان) عام ١٩٧٠م، ثم طورها (روبرت هاوس) في العام التالي. وتقوم هـــذه النظرية على فكرة أن القائد يوضح للعاملين معه الطرق التي يمكن أن توصلهم إلـــى أهدافهم ،والمسارات والأساليب المؤدية إلى ذلك، وتتوقف فعالية القائد على ما يحدثه سلوكه، ونمط قيادته من أثر على رضاء العاملين وتحفيزهم.

هـــــ- نظرية نضج الأتباع : قام (هرسي) ، و (بلانشارد) بوضع وصف للوضع الذي يكـــون عليه المرؤوس من حيث علاقته بالآخرين ، ورغبته في الإنجاز والتحصيل

وتحمل المسئولية ، ومستوى الخبرات والقدرات في مراحل معينة من عمله بالمنظمة . ووفقاً لهذه النظرية فإن هناك حاجة لزيادة درجة نضج الأتباع الوظيفي.

و- نظرية سلسلة نظم الإدارة:وفقا لهذه النظرية- كما يرى (ليكرت) ، ينتقل القائد الإداري بين أربعة نظم حسب الحاجة والموقف الذي يواجهه في الواقع. فالقائد تارة لا يثق في أتباعه مما يولد لديهم الخوف نتيجة التهديد والعقاب، وتارة يجد لديه بعض الثقة في مرؤوسيه، مع الاحتفاظ بصلاحيات اتخاذ القرارات ومراقبتها، مع أنه يعطى تفويضًا بسيطًا في التنفيذ، وتارة يعطى القائد قدرًا كبيراً من الثقة، فيفوض عملية اتخاذ القرارات التنفيذية، ويحتفظ لنفسه باتخاذ قرارات السياسة العامة للمنظمة، وتارة لا يشك القائد في المرؤوسين، ويشعر بالثقة العالية فيهم، ولذلك فهو يتوزع معهم صلاحية اتخاذ القرارات في كل المستويات الإدارية كل حسب اختصاصه .

ز- نظرية أنماط القيادة : وفقاً لهذه النظرية التي ظهرت على يد كل من (تننباوم) و(شمدت) عام ١٩٥٨م، فإن هناك سبعة أنماط قيادية يتحرك خلالها القائد الإداري؛ لكن هذه الأنماط القيادية تتأثر ببعض العوامل مثل: العوامل الشخصية للقائد، كالمعرفة، والخبرة، والقيم، والمعتقدات، العوامل المتعلقة بالمرؤوسين كالاستقلالية، والتحمل، والمسؤولية، والخبرة، والمعرفة، والعوامل المتعلقة بالظرف أو الموقف التنظيمي كالمناخ التنظيمي، وتكوين جماعات العمل، والتكوين البيئي والاقتصادي والاجتماعي السائد في المنظمة . والأنماط القيادية التي جاءت بها هذه النظرية هي : نمط يكون القائد هو المسيطر على الأمور؛ فهو يتخذ القرارات. ونمط يتخذ فيه القرارات ويحاول شرحها للمرؤوسين وإقناعهم بها . ونمط يقدم القائد أفكاره للمرؤوسين ويناقشهم، ويطلب منهم الأسئلة. ونمط يتخذ القائد فيه قرارات مبدأيه قابلة للتغيير عند مناقشتها مع المرؤوسين . ونمط يتولى القائد فيه عرض المشكلة على

المرؤوسين، ويطلب منهم إبداء آرائهم واقتراحاتهم عليها، ومساعدته في اتخاذ قراره. ونمط يحدد فيه القائد للمرؤوسين الحدود العامة للقرار الواجب اتخاذه، ويترك لهم مهمة دراسة المشكلة، واتخاذ القرار المناسب . ونمط يترك فيه القائد للعاملين الحرية في اتخاذ القرار حسب ما تمليه عليهم الأنظمة والسياسة العامة للمنظمة .

الفصل الرابع :بعنوان(القائد الإداري المسلم):وقد قسمه المؤلف إلى ستة أقسام هي:

القسم الأول: مقدمه:ذكر فيها أن للقائد الإداري المسلم صفة تميّزه عن غيره ، وبيّن أن الإسلام اهتم بالقيادة منذ بزوغ فجره ، فنظر إلى القيادة على أنها جزء هام من الطبيعة البشرية، فهي تشكل النظام الذي ترتكز عليه حياة الإنسان وتفاعله مع غيره من بني البشر.

القسم الثاني :ماهية القيادة في الإسلام : وفي ذلك يقول المؤلف إن القيادة– كمفهوم إسلامي– ترتبط بالعقيدة الإسلامية التي هي عبارة عن مثل عليا يؤمن بها الإنسان المسلم وتؤثر على كل تصرفاته وأعماله، ثم بين المؤلف أن أهمية القيادة في الإسلام تتضح من خلال الآيات القرآنية التي وجه الله سبحانه وتعالى رسوله فيها بالاهتمام بالقيادة ، كما أكد ذلك المصطفى ﷺ (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم).

القسم الثالث : أنماط القيادة في الإسلام :يقول المؤلف أنه عند مراجعة الممارسات القيادية في الإسلام وجد أنها تتراوح بين عدة نماذج منها : القيادة المثالية ، والقيادة الحازمة ، والقيادة اللينة ، والقيادة المستبدة، ثم فصل ذلك على النحو التالي :

١– القيادة النبوية (القيادة المثلى). فهذا النمط يتمثل في ممارسات محمد ﷺ القيادية، وهو نمط مثالي، لأن النبي ﷺ كان لا يتصرف إلا بناء على ما يوحى إليه. قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾(النجم : الآيتان ٣–٥). وذكر المؤلف أن الرسول ﷺ كان يستشير أصحابه في الأمور التي لم ينزل بها وحي مثل استشارته عليه السلام للأنصار في دخول معركة بدر، واستشارته ﷺ للصحابه في قضية أسرى بدر ...

٢- نمط القيادة العمري (القيادة الحازمة) يقول المؤلف كان عمر بن الخطاب- ﷺ- أبرز القادة المسلمين الذين ساهموا في تطوير الفكر الإسلامي في القيادة الإدارية من خلال تبنيه أسلوب القيادة الحازمة؛ فقد كان أسلوبه القيادي يقوم على الشدة في غير عنف، واللين في غير ضعف.

٣- نمط قيادة عثمان بن عفان- ﷺ- (القيادة اللينة) يقول المؤلف كان عثمان بن عفان- ﷺ- في قيادته مرناً في تعامله مع الرعية حتى إن البعض اعتبر ذلك ضعفاً فمن لينه استجابته لأهل الولايات في عزل واليهم إذا طلبوا منه ذلك.

٤- نمط القيادة الحجاجية (المستبدة) وهذا النمط- كما يقول المؤلف- ينسب للحجاج بن يوسف الثقفي الذي تميز بالسلبية ، والتشدد الصريح نتيجة التعصب العرقي والسياسي الذي ساد في العراق آنذاك ، وقد أسفر هذا التشدد عن قسوة وصرامة في التعامل مع الآخرين دون هوادة ، والتنكيل والتنديد بالمعارضين ،إلا أن المؤلف أوضح أن هذا النمط لا يمكن أن ينسب للقيادة الإسلامية كلية ، ولكنه نمط ظهر في فترة الحكم الإسلامي ، وتكرر وشاع استخدامه في الحضارة الإسلامية .

القسم الرابع : أركان القيادة في الإسلام: وهي- كما قال المؤلف- الإسلام والتقوى، والقوة والأمانة، والعلم ، والعدل والإنصاف.

القسم الخامس: أسس القيادة الإدارية في الإسلام وهي- كما ذكرها المؤلف- تكليف ومسئولية، والشورى، والقدوة الحسنة، والفطنة والواقعية، و البر والرحمة، والإخلاص.

القسم السادس:خصائص القائد الإداري المسلم : وفيه ذكر المؤلف أهم خصائص القائد المسلم وهي : الفطرة السوية، و توحيد الجهود والعمل بروح الفريق، و الثقة وعدم الشك، والمحافظة على النظام والانتظام، وحب العمل والانتماء إليه، وتحقيق الهدف، حسن الحكم والتواضع، والرحمة بالمرؤوسين ومحبتهم، والعفو عند المقدرة، الحزم والوسطية في التعامل، الشجاعة والصبر وضبط النفس.

الفصل الخامس :(بعنوان القيادة التحويلية وإدارة منظمات القرن الحادي والعشرين)

وقد قسم المؤلف هذا الفصل إلى تسعة أقسام هي:

القسم الأول: المقدمة، وفيها مهد المؤلف لهذا الفصل، مبيناً أهمية القيادة في إدارة التغيير، كونه يمثل العامل المشترك في المتغيرات العالمية المستقبلية.

القســم الثاني : عالمية القيادة الإدارية ومسئولياتها في المنظمات الحديثة: أوضح المؤلف أنه لكي يصل القائد بمنظمته إلى مصاف المنظمات العالمية فعليه القيام ببعض الإجراءات الضرورية.

القسم الثالث: متغيرات وظروف منظمات القرن الحادي والعشرين: ذكر المؤلف هنا أن أهــم تحديات القيادات العالمية، وأهم ما يميز العصر الجديد هو انفتاح الاقتصاد العالمي ، وسـيطرة التقنــية على الصناعات والمنظمات والأعمال كافة، ونمو السوق التنافسية في مخـتلف القطاعــات، وتشجيع العمل الحر، وتخفيض الرقابة الحكومية على المؤسسات، ولاشك أن توجه القيادات نحو التغيير كان مطلبا من متطلبات العصر الجديد المتفاعل مع الضــغوط المحلية والعالمية ، ومن الضروري معرفة أهم العوامل التي دعت الى التغيير والتحول العالمي كاستجابة للواقع.

القســم الــرابع : التحديات التي أبرزها القرن الحادي والعشرون: أورد المؤلف عدداً من الــتحديات مــثل : تحــدي المنافسة ،وتحدي العولمة ،وتحدي الاستخدام الأمثل للموارد ، وتحدي الجودة الشاملة، والتحديات التكنولوجية ، وتحدي اتخاذ القرار في عالم متغير .

القسم الخامس : القائد التحويلي وموقفه من التحديات المستقبلية : وهنا تحدث المؤلف عن القــائد التحويلــي، فــأورد تعريفاً للهواري (١٩٩٩م) بأنه هو (القائد الذي يرفع مستوى العاملين لتحقيق الإنجاز والتنمية الذاتية ، والذي يروج لعملية تنمية وتطوير المجموعات والمــنظمات ، ويستثير في الأتباع الهمم العالية ، والوعي بالقضايا العالمية الرئيسة، في الوقت الذي يعمل فيه على زيادة ثقتهم بأنفسهم).ثم بيّن أن القائد الإداري في ظل الأحوال المتغيرة وغير المستقرة ، وفي ظل الظروف المتطورة عندما تصبح المنظمة أمام تحديات ومتغــيرات عالمــية ومحلــية كبيرة فإن عليه – أي القائد – أن يعمل على تغيير موقفه وأســلوبه القيادي، واستبداله بأسلوب تطوري أكثر مرونة وإقبالا على التغيير كي لا يفقد السيطرة على مجريات الأمور في المنظمة.

القسم السادس: حاجة القائد التحويلي إلى التغيير: يقول المؤلف في هذا القسم إن على القائد التحويلي العمل على تحويل المنظمة ونقلها إلى مصاف المنظمات العالمية المتطورة.

القسم السابع :- خصائص ومهام القائد التحويلي :- أورد المؤلف بعض الخصائص التي حددها كل من (باس)، و(بينس) وهي : أنه شخص ذو رؤية ورسالة ومعايير عالية وله جاذبية شخصية، وذو شخصية إلهامية يشجع التابعين ويستثير فكرهم ، ويهتم بالأشخاص، ويرى القائد التحويلي أن المبرر لوجوده هو نقل الناس نقلة حضارية ، وللقائد التحويلي حضور واضح ، ونشاط بدني متفاعل، ويتميز القائد التحويلي بأنه مؤثر جداً في الناس عندما يحدثهم، ويستشير هذا القائد أفكار التابعين وعقولهم ، هو دائماً قادر على التعامل مع الغموض والمواقف المعقدة، ويسعى القائد التحويلي للوصول بأتباعه إلى تحقيق إنتاجية عالية، وهو عنصر تغيير ، ومحب للأخطار المحسوبة.

كما أورد المؤلف مهام القائد التحويلي التي حددها (الهواري) كما يلي :

إدراك الحاجة للتغيير، وصياغة الرؤية والرسالة، واختيار نموذج التغيير ومساراته،وتكوين الاستراتيجية الجديدة لتحقيق الرؤية التي رسمها، والرسالة التي أعدها ، وتعبئة الالتزام من خلال ثقافة المنظمة، إدارة الفترة الانتقالية .

القسم الثامن: عناصر عملية القيادة التحويلية : ذكر المؤلف عناصر القيادة التحويلية التي حددها (رينسمث) وهي :- إدارة التنافس ،وإدارة التعقيد، وتكييف المنظمة مع التوجه العالمي ، وإدارة فرق العمل العالمية ، وإدارة المفاجآت وعدم التأكد، وإدارة التعليم والتدريب المستمر .

القسم التاسع: متطلبات ومهارات بناء القيادات التحويلية وهي الوعي الذاتي، والقدرة على إدارة الذات ،والرؤية المستقبلية المتمركزة حول مستقبل المنظمة ، والتعامل مع الآخرين من خلال فهم ديناميكيات الجماعة ، واستيعاب متطلبات العولمة والتأقلم معها بشكل لا يؤثر على المبادئ والقيم، وتطوير أساليب الاتصال ، وتدريب وتطوير وتحفيز

العامليـــن ، وتطوير القدرة على التعلم عند المنظمة ، والتطوير الذاتي عند الموظفين . ثم ذكـــر المؤلــف بعــض المهــارات اللازمة للقائد التحويلي مثل :- القدرة على استيعاب الــتحولات الاقتصـــادية والتحديات المستقبلية ، والقدرة على المبادأة والابتكار والإبداع، والقدرة على مواجهة المواقف المتغيرة وإحداث التغيير والتطوير الإداري.

الفصل السادس : بعنوان (القائد الإداري وفريق العمل) قسم المؤلف هذا الفصل إلى ستة أقسام علي النحو التالي :

القســـم الأول: المقدمـــة : تحـــدث المؤلف في المقدمة عن أهمية تفاعل الموارد البشرية لتحقـــيق أهـــداف التنظيمات المختلفة، وقد أدى ذلك إلى اعتبار أن الإدارة هي أداء العمل عـــن طـــريق الآخريـــن، ومـــع تطـــور أساليب العمل وتقنياته ومتطلباته ثبت من خلال الدراســـات الإداريـــة أن القائد لا يستطيع أن يؤدي العمل من خلال الآخرين إن لم يعمل معهم بشكل مباشر من خلال فريق.

القسم الثاني: مفهوم فريق العمل وأنواعه: بين المؤلف في هذا القسم أن التطور التنظيمي فـــي كثير من منظمات العصر الحاضر أصبح يتخذ شكل التنظيم الأفقي الذي يقوم على أساس التنظيم الشبكي وتنظيم فريق العمل ، وأصبح العمل في منظمات اليوم يتوقف على التفاعل بين أفراد المنظمة بما فيهم القائد الذي يتولى إدارة وتنسيق ذلك التفاعل ، ثم أورد بعـــض أنواع فرق العمل مثل : فريق الإنجاز،وفريق حل المشكلات، وفريق التطوير، و الفريق الرسمي،و الفريق غير الرسمي .

القســـم الثالث: دور القائد التحويلي في فريق العمل: يقول المؤلف. إن نجاح فريق العمل يتوقف على ما يبذله القائد من جهود للقيام بدوره على الوجه المطلوب.

القســـم الـــرابع : مراحل تطوير فريق العمل: ذكر المؤلف أكثر التصنيفات شيوعاً وهو تصـــنيف (موكســـون). فيرى أن الفريق يمر بأربع مراحل هي: مرحلة التكوين، وفيها يشـــعر الأعضـــاء بالحمـــاس والتفاؤل والخوف من الفشل والتطلع الممزوج بالقلق نحو

المستقبل، وهنا تسود بينهم العلاقات الرسمية، ومرحلة العصف، وفيها يغلب على الأعضاء الشعور باختلاف وجهات النظر ، والرفض والمقاومة لبعض الآراء، ومرحلة وضع المعايير يبدأ الأعضاء الإنضمام الى الفريق لتحقيق الهدف المشترك براحة نفسية ، ويسود سلوك الصراحة وتسوية الخلافات، وبناء علاقات شخصية متميزة، ومرحلة الأداء، وفيها يبدأ الفريق ممارسة عمله فعلياً، منطلقاً من شعور عال بالرضا والثقة بالنفس وبالآخرين ويقوم سلوك الأعضاء هنا على التعاون.

القسم الخامس : المهارات اللازمة لفريق العمل: ذكر المؤلف المهارات التالية: الإتصال الفعال، والإستطلاع الإيجابي، والتغذية الراجعة، وإدارة الخلاف بين أعضاء الفريق.

القسم السادس:خصائص فريق العمل الفعال: أورد المؤلف في هذا القسم أهم خصائص فريق العمل الفعال وهي: القيادة المشاركة ، والاتصال المفتوح ، والبيئة الودية ، وإدراك أهداف الفريق المشتركة ، وفهم وتوضيح المهام والأدوار ، والمشاركة في جميع أعمال الفريق ، والتحضر في التعامل مع الخلاف ، والإتفاق الجماعي في اتخاذ القرارات ، والتقييم الذاتي وتنويع الأساليب.

الفصل السابع : بعنوان: (القائد الإداري والأساليب الإدارية الحديثة) قسم المؤلف هذا الفصل إلى خمسة أقسام نعرضها كما يلي :

القسم الأول: المقدمة : وضح المؤلف في المقدمة أهمية أن يعرف القائد بالأساليب الإدارية الحديثة ،وكيفية تعامله معها ،والعمل على الإستفادة منها في تحويل المنظمة.

القسم الثاني : القائد الإداري والإدارة بالأهداف : تحدث المؤلف في هذا القسم عن الإدارة بالأهداف وتطورها التاريخي ومقومات نجاح هذا الأسلوب؛ فأشار إلى أن ظهور الإدارة بالأهداف كان على يد المفكر الأمريكي (بيتر دركر) في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وبيّن المؤلف أن هذا الأسلوب يقوم على أن يرسم الموظف أهداف وظيفة القائد كما يراها، وأهداف وظيفته ، ثم يناقش تلك الأهداف مع القائد ووضعها في اتفاق نهائي.

القســم الثالــث : القائد الإداري وإدارة الجودة الكلية: ذكر المؤلف في هذا القسم أن إدارة الجــودة هي أسلوب حديث أثبت فاعليته في تطوير المنظمات، ونشأ هذا الأسلوب على يد الأمريكــي (إدوارد ديمــنج) : وتقــوم فكرة هذا الأسلوب على بناء ثقافة تنظيمية عميقة الجودة ترتكز على فلسفة خدمة العميل وأداء العمل بشكل صحيح من أول مرة.

القســم الــرابع : القــائد الإداري وإعادة هندسة نظم العمليات الإدارية (ا لهندرة): يقول المؤلــف إن هــذا الأســلوب الحديث جاء كحل شامل للعديد من المشاكل المتكررة التي تواجهها بعض المنظمات ، وهي تعني البدء من الصفر، وليس الإصلاح والترميم للوضع القائم.

القســم الخــامس : القائد الإداري وإعادة اختراع الحكومة: يقول المؤلف في هذا الصدد ظهــر هــذا الأســلوب في العصر الحديث، ويقوم على عملية إدخال تغييرات جذرية في أعمال الحكومة وأساليب إدارتها لأنشطتها.

الفصــل الثامــن : بعنوان (مهارات القيادة الإدارية الحديثة): قسم المؤلف هذا الفصل إلى ثمانية أقسام هي :

القسم الأول : مقدمة؛ وفيها أكد المؤلف على أهمية المهارات والخصائص التي حددتها نظرية السمات رغم ظهور العديد من النظريات.

القســم الثانــي : القائد الإداري وإدارة الذات : وهنا يؤكد المؤلف أن القائد لا يمكن أن ينجح في التعامل مع الآخرين وقيادتهم ما لم يكن ناجحاً في تعامله مع نفسه ، وحدد مفهوم إدارة الذات بأنها (قدرة القائد الشخصية على التعامل مع نفسه بما يتعامل به مع الآخرين، ومعرفته بقدراته ومهاراته، واستغلالها بفعالية) .

القسم الثالث : القائد الإداري وإدارة الوقت: وهنا وضح المؤلف مفهوم إدارة الوقت– كما حــددهــا (البرعــي وعابدين ١٤٠٨هــ) بأنها (توفير واستغلال وقت العمل الرسمي للتركــيز علــى النشــاطات التــي تجعل من المدير قائداً فعالاً، ومن المسؤولين الآخرين

كالموظفين والعمال أشخاصًا يسعون إلى الإنجاز بكفاءة وإنتاجية عالية وإخلاص وأمانة).
بعـــد ذلـــك ذكر المؤلف أهم سبل إدارة الوقت بفاعلية مثل تخطيط الوقت والمهام بدقة ، وإدارة المكتـــب بفاعلـــية ، وحسن استخدام التفويض، وإدارة الإتصال الفعالة ، واستثمار الوقت كمورد ناضب.

القسم الرابع: القائد الإداري وإدارة التغيير : في هذا القسم بدا المؤلف بتحديد معنى إدارة التغيـــير بأنها : التدخل المنظم الذي يقوم به القائد أو يشرف عليه لإحداث تغيير مدروس ومخطـــط في عناصر العمل التنظيمي ، بحيث يكون موجهاً نحو غايات معينة ،ثم التحكم في مساره وأهدافه وطريقة تنفيذه . بعد ذلك تحدث المؤلف عن أهم أبعاد التغيير مثل أن يقـــرر القائد هل يكون التغيير سريعاً أم بطيئا؟ ومدى الحاجة للتغيير ، وهل التغيير يكون شـــاملاً أم جزئيا؟ ، وما هو التغيير المطلوب هل هو سلوكي أو معنوي؟ . ثم بيّن المؤلف مـــراحل التغيـــير التي تبدأ بالتشخيص، ثم وضع خطة للتغيير تشمل التهيئة لقبول التغيير وتنفيذ عملية التغيير، وتنتهي المراحل بالمتابعة التصحيحية .

القســـم الخامس: القائد الإداري وإدارة ضغوط العمل : حيث حدد المؤلف مفهوم ضغوط العمـــل بأنهـــا تلـــك المثيرات النفسية والفسيولوجية التي تضغط على الفرد ، وتجعل من الصعب عليه أن يتكيف مع المواقف ، وتحول دون أدائه عمله بفعالية .

ثـــم ذكـــر بعض أسباب ضغوط العمل مثل صراع الدور وغموضه ، والعبء الوظيفي، والحوافـــز والأجور، وبيئة العمل وطبيعته، وضعف المشاركة في اتخاذ القرار. بعد ذلك أوضح المؤلف أهم أساليب إدارة الضغوط على مستوى الفرد، مثل الفزع الى الله سبحانه وتعالى ، وتعديل بناء الشخصية لدى الفرد ، وإدارة الوقت بفعالية ، ومواجهه الصراع في بيـــئة العمـــل بإدراك وجود المشكلة ، والقيام ببعض التمارين البدنية مثل تمارين التنفس والاسترخاء العضلي ، وطلب المساعدة من المختصين في معالجة الضغوط .

أمـــا على مستوى المنظمة فيقول المؤلف على القائد تبني عدد من الأساليب مثل: اســـتخدام أســـاليب الإدارة الحديثة، وإدارة ثقافة المنظمة بما يضمن تعزيز رضا الأفراد،

وإقرار مبدأ المشاركة في وضع الخطط والسياسات الإدارية ، وفي الاجتماعات واللجان، وإعادة تصميم الوظائف لتكون ذات معنى وذات استقلالية، والإشراف الفعَّال الذي يضمن تحقيق أهداف المنظمة ورضا الموظفين.

القسم السادس : القائد الإداري وإدارة الصراع: يقول المؤلف هنا يقصد بالصراع ذلك السلوك الفردي أو الجماعي الذي يحدث في المنظمة، ويؤدي إلى منع أو إعاقة فرد أو جماعه في التنظيم من تحقيق أهداف معينة ،ثم ذكر المؤلف بعض أسباب الصراع وهي: أسباب سلوكية مثل تفاوت الصفات الشخصية كالقيم والمعتقدات والاتجاهات، والمستوى الثقافي والعمر ، واختلاف الإدراك والاتجاهات ، والاختلافات الفردية الشخصية ، وتعدد التنظيمات غير الرسمية والعلاقات الاعتمادية ، وصراع الدور، . وأسباب تنظيمية مثل : التداخل بين أنشطة المنظمة، وعدم تحديد الصلاحيات، والمسؤوليات المناطة بالعاملين في المنظمة ، ومعوقات الإتصالات ، والتنافس على الموارد، وتباين المصالح والأهداف ، واختلاف ثقافات العاملين ، وتسلط الإدارة .بعد ذلك أورد المؤلف أهم أساليب إدارة الصراع مثل توفير إمكانية المشاركة في صنع القرار، وتجزئة الصراع، وتقليص أهميته لتسهل معالجته ، وإيضاح الأهداف ووسائل تحقيقها عن طريق توزيع خطوات التنفيذ ، وتحديد الأدوار بشكل واضح ودقيق ، وبناء وتعزيز الثقة بين العاملين ، والإستعانة بالجهات الاستشارية لإجراء الدراسات وتدريب العاملين ، وموضوعية وعدالة القوانين التي تحكم العلاقة بين الموظفين والإدارة .

القسم السابع : القائد الإداري وإدارة الإخفاق : وهنا أكد المؤلف أن على القائد الإداري– للنجاح في إدارة الإخفاق– اتخاذ عدد من الإجراءات لمواجهة مواقف الإخفاق والفشل مثل: توقع حدوث الأخطاء والإخفاقات، والمبادرة إلى تحليل الخطأ أو الفشل لمعرفة أسبابه وكيفية علاجه ، ووضع خطة علاجية مفصلة لمواجهة الإخفاق، وأن يشرك القائد مرؤوسيه في تحليل مواطن الخلل ، والاستفادة من الأخطاء، ومن مواضع الإخفاق كدروس تدريبية ، وعدم اليأس وبث الروح المعنوية العالية عند المرؤوسين .

القســم الثامن : القائد الإداري وإدارة الاجتماعات : يقول المؤلف تعتبر الاجتماعات أهم الأنشـطة التـي يمارسها القادة الإداريون. وللتعرف على أفضل سبل إدارة الاجتماعات، فعلـى القـائد أن يعـرف أولا ما هي أهم أسباب عدم فعّالية الاجتماعات ،ثم أكد المؤلف أهمـية امـتلاك القائد لبعض المهارات الشخصية مثل : تشجيع المشاركة التدريجية في نقـاش موضـوعات الاجـتماع ، وإفساح المجال للجميع، وإعطاء الفرصة لذوي الخبرة والمعرفة للإجابة على تساؤلات الإجتماع ، واستخدام صيغة الأسئلة المفتوحة ، والإبتعاد عن المجادلة ، والبعد عن التضخيم وتوقع المستحيل .

الفصــل التاســع : بعنوان (مشكلات وتنمية وتحديات القيادة الإدارية) قسم المؤلف هذا الفصل إلى أربعة أقسام هي :

القســم الأول: المقدمــة: وتحــدث فيها عن أهمية تحول المنظمات نحو النموذج العالمي لمواجهــة المشــاكل الذاتــية عند القادة الإداريين من خلال تنمية القدرة التحويلية لديهم، وتطوير قدراتهم على إحداث التغيير اللازم في منظماتهم .

القســم الثاني : مشكلات القيادة الإدارية: تحدث المؤلف فيه عن أهم مشكلات القيادة في الوطــن العربــي مــثل البيروقراطية المترهلة ، وجمود الأنظمة واللوائح ، وعدم قدرة القــيادات الإداريــة على نقل واستخدام التكنولوجيا ، والبيئة المادية والتنمية الخرسانية ، والقــيم والانــتماءات الإجتماعية ، والضغوط الداخلية والخارجية ، وعدم كفاءة القيادات الإدارية، والإنغلاق الثقافي ، والإنحراف الإداري الأخلاقي .

القسم الثالث : تنمية وتطوير القيادة الإدارية : وفي هذا القسم أشار المؤلف الى أهم سبل تطويــر القيادات الإدارية مثل تأهيل القيادات الإدارية وتطوير وتدريب القيادات الإدارية، وحسن اختيار وتعيين القيادات الإدارية .

القســم الــرابع : التحديات المعاصرة والمستقبلية : تحدث المؤلف في هذا القسم عن أهم الــتحديات التــي تواجــه القــيادات الإدارية في العصر الحاضر مثل : ظاهره العولمة ،

والمهـارات الشخصـية الفكـرية والإنسانية والفنية، والتطور التقني ، والتحدي الريادي، والتحدي الأيديولوجي .

فـي الخـتام يسـرني أن أخلـص إلى أهم الإيجابيات الكبيرة التي حواها الكتاب وبعض الملاحظات الصغيرة على النحو التالي :

أهم الإيجابيات

١- شمول الكتاب وإحاطته بالقيادة الإدارية .

٢- العمق في طرح الموضوع والغوص ببراعة في مختلف تفصيلاته .

٣- سلامة لغة الكتاب ووضوحها .

٤- اسـتطاع المؤلف أن يبتعد عن الطرح التقليدي لموضوع القيادة الإدارية وقدم رؤية مستقلة .

٥- استطاع المؤلف أن يحدد من هو القائد الفعّال في عصر التحولات .

بعض الملاحظات

١- كنـت أتشوق إلى أن يطرح المؤلف أهم الفروق بين القيادة والإدارة، ثم يوضح من هو القائد؟ ومن هو المدير؟ .

٢- لا أرى فرقًا بين أساليب القيادة وأشكال القيادة التي أوردها المؤلف.

وهذه الملاحظات ما هي إلا وجهات نظر لا تقلل من الإيجابيات الكبيرة التي احتواها هذا الكتاب الجدير بالاقتناء والقراءة لكل ممارس وطالب ومعلم في هذا الحقل .

عرض رسالة ماجستير بعنوان

الجريمة المنظمة وسياسة المكافحة في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي

(دراسة مقارنة بين أساليب الوقاية والمكافحة في التشريع الجنائي الإسلامي والأنظمة الجنائية المعاصرة لجريمة تهريب المخدرات)

للباحث

محمد بن مسفر بن عبدالخالق الشمراني

٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ

إعداد :

الرائد/ عبدالحفيظ بن عبدالله المالكي

مدير تحرير مجلة البحوث الأمنية

مقدمة

العـــرض الذي نقدمه في الصفحات التالية لرسالة ماجستير بعنوان: "**الجريمة المنظمة وسياســـة المكافحة في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي: دراسة مقارنة بين أساليب الوقايـــة والمكافحـــة في التشريع الجنائي الإسلامي والأنظمة الجنائية المعاصرة لجريمة تهريب المخدرات**" قدمت لإكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير من قسم العلوم الشـــرطية بأكاديمـــية نايف العربية للعلوم الأمنية عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، قام بها الباحث محمـــد بـــن مسفر بن عبدالخالق الشمراني عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد الأمنية، وحصل بموجبها على درجة الماجستير في العلوم الشرطية. وقد أشرف على هذه الدراسة العمـــيد الدكتور/ على بن فايز الجحني، ونوقشت من قبل اللواء الدكتور/ صالح بن فارس الزهراني، واللواء د/ محمد بن فتحي عيد.

تقـــع هـــذه الدراســـة في (٤٨٦) صفحة، بدأها الباحث بفصل تمهيدي بيّن فيه مشكلة الدراســـة وأهميتها وأهدافها وتساؤلاتها، وأهم الدراسات السابقة في مجا لها، وصولاً إلى توضـــيح مـــنهج الدراســـة، انـــتقل بعد ذلك للإطار النظري الذي قسمه إلى ستة فصول، بالإضافة إلى النتائج والتوصيات.

وفيما يلي سنلقي الضوء على أبرز ما ورد في هذه الدراسة.

الفصل التمهيدي

فـــي هـــذا الفصـــل بيّن الباحث مشكلة الدراسة التي لخّصها في محاولة التعرّف على خصائص وسمات التشريع الجنائي الإسلامي، وكيف يمكن الاستفادة منه في علاج قصور الأنظمـــة الجنائـــية المعاصرة عند إعداد وتنفيذ سياسات مكافحة الجريمة المنظمة لتهريب المخـــدرات، مـــبرزا أهمية الدراسة في كونها من الدراسات القليلة في موضوعها التي لم يســـبق- حســـب الباحـــث- أن عولـــج بدراسات مماثلة، وكذلك في الوقوف على ماهية عصـــابات الجريمة المنظمة، مؤملاً أنها ستساعد في وضع تصّور حقيقي لأنماط الجريمة

المــنظمة يمكــن على ضوئه اتخاذ التدابير الوقائية الفاعلة، وأن تساعد الدراسة على دعم العمل الأمني، ورسم السياسات والخطط الأمنية الناجحة للوقاية والمكافحة لجريمة تهريب المخدرات، انطلاقاً من مبادئ التشريع الإسلامي. أما أهداف الدراسة فهي:

١- التعرّف على طبيعة وماهية عصابات الجريمة المنظمة.
٢- التعرف على خصائص التشريع الإسلامي وسياسته في مكافحة الجريمة المنظمة لتهريب المخدرات.
٣- الإطــلاع علــى اجتهادات خبراء القانون الجنائي، ومستوى الاستفادة من أحكام التشريع الجنائي الإسلامي في الحد من الجريمة المنظمة لتهريب-المخدرات.
٤- المقارنــة بيــن سياسة التشريع الجنائي الإسلامي، والقانون الجنائي في مكافحة الجريمة المنظمة لتهريب المخدرات.

وقد صاغ الباحث تساؤلات الدراسة على النحو التالي:

١- ما الخصائص والسمات والتقاليد الخاصة بعصابات الجريمة المنظمة؟
٢- مــا خصائص التشريع الإسلامي وسياسته في مكافحة الجريمة المنظمة لتهريب المخدرات؟
٣- لمــاذا لــم تــنجح اجتهادات خبراء القانون الجنائي في وضع حد لتطور وانتشار الجريمة المنظمة لتهريب المخدرات؟
٤- هل يعتبر التشريع الجنائي الإسلامي علاجاً لثغرات القانون الجنائي وقصوره في مواجهة الجريمة المنظمة لتهريب المخدرات؟

وقــد اســتخدم الباحث المنهج المقارن لدراسة جميع الوسائل والإجراءات في التشريع الجنائــي الإســلامي والقانون الجنائي المعنية بسياسة الوقاية والمكافحة للجريمة المنظمة. وقــد اخــتار الباحــث المملكــة العربية السعودية كعينة ممثلة للدول التي تطبق الشريعة الإســلامية فــي هــذا المجال، واختار في المقابل الوسائل والإجراءات المعنية بسياسات

الوقايـة والمكافحـة فـي القـانون الجنائي المصري لتكون ممثلة للقوانين الجنائية. ومن مجمـوع أنشـطة الجريمة المنظمة اختار الباحث جريمة تهريب المخدرات، وبذلك تكون الشـريعة الإسـلامية، والقـانون الجنائي المصري، وجريمة تهريب المخدرات محددات لدراسـته من الناحية الموضوعية، حيث إن الشريعة الإسلامية واحدة لا تختلف باختلاف الدول التي تطبقها. أما القوانين الجنائية فلا يمكن تطبيق الدراسة عليها جميعا لتشابهها في الغالب، لأنها مستمدة من القوانين الغربية؛ ولذلك وقع الاختيار على القانون المصري. أما الجـرائم المـنظمة، فكثـيرة ومـتعددة الأنواع. وقد وقع الاختيار على جرائم المخدرات لأهميـتها وكـثرة حدوثهـا، لأنهـا تمثل - حسب الباحث- ٧٠% من مجموع الأنشطة الإجرامـية المـنظمة، وأن عوائد المخدرات تستعمل لتمويل الأنشطة الإجرامية الأخرى، والأهم من ذلك كونها الأكثر وضوحا وحدوثا في العالم العربي.

الفصل الأول

الفصـل الأول مـن الدراسـة خصصه الباحث للحديث عن ماهية الجريمة في ثلاثة مباحث، وذلك على النحو التالي:

المبحـث الأول: لمحـة تاريخية عن الجريمة المنظمة، حيث بيّن الباحث أن القرصنة البحرية هي أقدم صور الجريمة المنظمة التي عرفت منذ العصور الوسطى، وحتى القرن الثامـن عشر وبداية القرن التاسع عشر. فقد كانت أهداف القراصنة تنحصر في الحصول علـى المال الذي ترتكب في سبيل الحصول عليه جرائم أخرى كالقتل والخطف، مما دفع دول العـالم إلى وضع اتفاقيات ومعاهدات لمواجهة العنف في أعالي البحار، موضحاً أن القرصنة في العصور الحديثة تسعى لتحقيق أهداف منها السلب والنهب والانتقام، ولتحقيق أهداف سياسية.

ثم في فترة لاحقة برزت على الساحة عصابات المافيا في إيطاليا التي ظهرت بعد ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، وانتشرت فيها وفي غيرها من الدول، وظهرت في اليابان

عصـــابات الياكوزا التي قدّر أفرادها عام ١٩٩٤م بحوالي (٩١٠٠٠) عضو، كما برزت في كولومبيا كارتلات تجارة المخدرات التي تمثل أبرز من يتعامل في الجريمة المنظمة.

المبحـــث الثاني: تعريف الجريمة المنظمة. أكد الباحث أنه لم يتم التوصل إلى تعريف محـــدد للجـــريمة المنظمة. وقد أورد في هذا السياق سبعة تعريفات، أهمها وأشملها- كما يـــرى الباحث- تعريف أحمد جلال عز الدين الذي جاء فيه: "الجريمة المنظمة تقوم على تنظيم مؤسسي ثابت، وهذا التنظيم له بناء هرمي ومستويات للقيادة وقاعدة للتنفيذ، وأدوار ومهـــام ثابـــتة، وفرص للترقي في إطار التنظيم الوظيفي، ودستور داخلي صارم يضمن الـــولاء، والـــنظام داخـــل التنظـــيم، والأهـــم من ذلك كله الاستمرارية وعدم التوقف أو العرضـــية، وإنمـــا تظـــل المنظمة قائمة ما دامت تحقق نجاحاً، ولم تفلح أجهزة الأمن أو مـــنظمة منافســـة في القضاء عليها " وبذلك تنحصر عناصر الجريمة المنظمة في جماعة مستمرة من الأشخاص، والإرادة المتعمدة للإفساد، واستخدام الإجرام والعنف، والحصول على المكاسب المالية والسطوة".

المبحـــث الثالـــث: خصـــائص وتقالـــيد الجريمة المنظمة. يرى الباحث أن أبرز هذه الخصـــائص هـــو التنظيم، التخطيط، الاحتراف، التعقيد، القدرة على التوظيف والابتزاز، تعـــايش المجتمع مع ظاهرة الجريمة المنظمة، التكامل، المردود ا لهائل في زمن قياسي، وأخـــيراً الدولـــية. أمـــا التقاليد الإجرامية لعصابات الجريمة المنظمة فهي: البناء الهرمي للتشـــكيل العصـــابي، اجتـــياز الأعضاء الجدد لاختبارات القبول، الطاعة العمياء والولاء المطلـــق للرؤساء، تغليب مصلحة العصابة على مصلحة أفرادها، صرامة النظام الداخلي، الالـــتزام بقواعـــد السلوك، التكفل بأعضاء العصابة، تقسيم مناطق النفوذ، التحكيم الذاتي، الثأر من الخصوم، والسعي إلى استمالة الرأي العام.

الفصل الثاني

الفصـــل الثانـــي من الدراسة خصصه الباحث لتفسير ظاهرة الإجرام المنظم وأسبابها ودوافعها من خلال عدة مباحث، يمكن تلخيصها فيما يلي:

المبحث الأول: التفسير العلمي لظاهرة الجريمة المنظمة، وفيه وضّح الباحث النظريات النفسية والاجتماعية في تفسير الظاهرة الإجرامية، مؤكداً على ثلاثة اتجاهات رئيسة هي: المذهب الفردي، والمذهب الاجتماعي، والمذهب التوفيقي، مؤكداً أن الإجرام المنظم إجرام متبصّر حكيم، يقوم على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة، والحذر والحيطة، خلافاً للإجرام العــادي الــذي يأتي بالصدفة أو العشوائية، أو نتيجة ظروف طارئة لم يسبقها تخطيط أو تفكير. ولذلك يرى الباحث أن المذهب التوفيقي أقرب التفسيرات العلمية للجريمة المنظمة.

المبحث الثاني: أسباب نشوء ظاهرة الجريمة المنظمة التي يلخصها الباحث في انحدار القـيم الأخلاقية، عدم توافر التربية السليمة، انتهاك حقوق الإنسان، التحولات الاجتماعية، عــدم ملاءمة التشريعات الجنائية للمجتمع. بالإضافة إلى المتغيرات الراهنة التي تضيف أسباباً جديدة لنشوء الجريمة المنظمة، ومنها سهولة الاتصال وسرعة الانتقال، واستحداث أنشــطة إجرامــية جديــدة، والنجاح في غسل الأموال غير المشروعة، وضعف السلطة والصراع في العديد من الدول، وانهيار الكتلة الشرقية، وتوحيد أوروبا، وانحدار أخلاقيات العمل السياسي.

المبحــث الثالــث: العوامــل المساعدة على انتشار الجريمة المنظمة في العالم العربي وعوامــل انحسارها. بيّن الباحث أن أهم العوامل المساعدة على انتشار الجريمة المنظمة الموقــع الجغرافــي المتمــيز المتوسط بين القوى الاقتصادية الكبرى، الانفتاح على العالم الخارجــي، القصــور التشريعي والثغرات القانونية، ارتفاع نسبة العمالة الوافدة في الدول الخليجــية، انخفــاض الضــرائب والرســوم في الدول الخليجية، وضعف الخبرة العربية بالجريمة المنظمة.

أمـــا عوامل انحسار الجريمة المنظمة في العالم العربي فيرى الباحث أنها تتلخص في رفـض المجـتمعات العربية لظاهرة الجريمة، والتجانس العرقي بين المجتمعات العربية، وخصوصية العادات والتقاليد العربية، وعدم توافر التقنيات الحديثة المستخدمة في الجريمة المنظمة كما هو الحال في الدول الغربية.

المبحـث الـرابع: الفرق بين الجريمة المنظمة والإرهابية والمخططة والتقليدية، وفي ذلـك عرّف الباحث كل نوع منها، وأورد جدولاً للمقارنة بينها يشتمل على "٢٦" عنصراً للمقارنة، أعقب ذلك بتوضيح الفرق بين الجريمة المنظمة والجريمة الإرهابية، مبيناً أوجه التشـابه والاخـتلاف، وصـولاً إلى حقيقتين الأولى تؤكد وجود تشابه كبير بين الجريمة المـنظمة والجـريمة الإرهابية، وهذا التشابه جعل الكثيرين يعتقدون أن الإرهابية جريمة مـنظمة، والثانـية أن هـناك اختلافا بين الجريمة المنظمة والجريمة الإرهابية، والتشابه بينهما لا يبرر لنا اعتبارهما جريمة واحدة لحقيقة الاختلاف بينهما، وقد خلص الباحث إلى أن الاخـتلاف بيـنهما يكمـن في الهدف والاستمرارية، فالجريمة المنظمة هدفها مادي، والإرهـاب هدفـه سياسي، بينما الجريمة المنظمة مستمرة، والإرهاب يتوقف عند تحقيق أهدافه.

الفصل الثالث

الفصـل الثالـث من الدراسة خصصه الباحث للحديث عن الجريمة المنظمة في مجال المخدرات من خلال ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالمخدرات ومناطق الزراعة والإنتاج في قارة آسيا، موضحاً أن نشـاط المخـدرات يمثل ٧٠% من نشاطات الجريمة المنظمة، وأن عوائد المخدرات تمثل الدعم الرئيس لبقية الأنشطة.

المبحـث الثاني: التطورات الدولية الحديثة في مجال المخدرات، وفي هذا المبحث بين الباحـث الـتطورات التـي حدثت في الأنشطة المتعلقة بالمخدرات في عدد من القارات، استناداً إلى أحدث تقارير الأمم المتحدة في هذا المجال.

المبحـــث الثالـــث: آثار الجريمة المنظمة، استعرض الباحث- بكفاءة- هذه الآثار من الناحـية السياســية، والاجتماعــية، والاقتصـــادية، والصحية، والآثار التنموية، وأخيراً المشكلات الدولية والقانونية.

الفصل الرابع

الفصل الرابع من الدراسة خصصه الباحث لجانب مهم من دراسته وهو سياسة الوقاية والمكافحة من خلال أربعة مباحث، يمكن إيجازها على النحو التالي:

المبحـــث الأول: الإجــراءات الوطنية لمكافحة الجريمة المنظمة، وفي هذا السياق حدد الباحـــث أهـــم الملامـــح والخصوصـــية التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية، ثم قدم استراتيجية أمنية مقترحة للتصدي للجريمة المنظمة في المملكة العربية السعودية.

المبحـــث الثاني: الجهود العربية لمكافحة الجريمة المنظمة، وقد استعرض الباحث في هـــذا المجـــال إنجـــازات الـــدول العربية من خلال جامعة الدول العربية وأجهزتها، بدءاً بالمكتـــب الدائـــم لشـــئون المخدرات الذي أنشئ عام ١٩٥٠م، وصولاً إلى جهود مجلس وزراء الداخلـــية العـــرب وما تمخض عن ذلك من خطط واستراتيجيات واتفاقيات، وختم ذلك بتقديم استراتيجية مقترحة لمكافحة الإجرام المنظم في العالم العربي.

المبحث الثالث: معايير الأمم المتحدة لمنع الجريمة والعدالة الجنائية. وضّح فيه التطور التاريخـــي للتعاون الدولي، بالإضافة إلى الاتفاقيات والمعاهدات و المؤتمرات الدولية في هذا الخصوص.

المبحـــث الرابع: المؤتمرات والمنظمات الدولية ودورها في مكافحة الجريمة، وقد بين الباحـــث الجهـــود الدولـــية المتمثلة في المؤتمرات واللقاءات التي تأخذ صفة العالمية أو الإقليمية فيما يتعلق بالجريمة المنظمة بصفة عامة، وذلك على النحو التالي:

١- القواعد التوجيهية للمجلس الأوربي في مجال الحاسب الآلي.
٢- خطة عمل ميلانو.
٣- المؤتمر الوزاري العالمي المعني بالجريمة المنظمة عبر الوطنية.
٤- اتفاقية غسيل الأموال.
٥- إعلان بازل.
٦- الشرطة الجنائية الدولية.
٧- الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات.
٨- مؤتمرات الأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين.

الفصل الخامس

الفصـل الخـامس من الدراسة خصصه الباحث للحديث عن موقف الشريعة الإسلامية من الإجرام المنظم، وذلك في أربعة مباحث كما يتضح مما يلي:

المبحـث الأول: التصور الإسلامي لتفسير ظاهرة السلوك الإجرامي. يتفق الباحث مع غـيره ممـن عرفوا الإسلام أن السبب وراء قصور الأعمال عن بلوغ الآمال والأهداف يكمن في البعد عن الشريعة الإسلامية، وعدم الأخذ بالمنهج الرباني الذي أمرنا الله بتطبيقه علـى جمـيع شئون حياتنا، والجريمة المنظمة في نظر الشريعة الإسلامية لا تختلف عن الجـريمة العاديـة مـن حيـث تطبيقها، والعقوبات المقررة لها، فهي تدخل ضمن جرائم الحدود، أو القصاص، أو جرائم التعزير.

وقـد لخـص الباحث أسباب ظاهرة السلوك الإجرامي من منظور إسلامي في انعدام الـوازع الدينـي أو ضعفه، الغرائز، وسوسة الشيطان، الوراثة، الإدمان على المسكرات والمخدرات، قرناء السوء، الأسرة، الحالة الاقتصادية، الحالة السياسية، والأمراض النفسية والعقلية.

المبحـــث الثانـــي: تنمية الوازع الديني وأثره في الوقاية من الجريمة، وهنا استعرض الباحث سياسة الوقاية في التشريع الإسلامي، وبيّن أن الوازع الديني من أهم التدابير التي يســتخدمها القــرآن لحمايـــة الأفراد من الانحراف أو الجريمة، وقد وضّح ذلك من خلال الحديــث عــن غــرس العقــائد الإيمانية في النفوس، والعبادات ودورها في الوقاية من الجريمة، وفتح باب التوبة والعودة إلى الفضيلة.

المبحــث الثالــث: امــتدادا لسياسة الوقاية أشار الباحث هنا إلى المعاملات الإسلامية ودورهـــا في الوقاية من الجريمة، وذلك من خلال الحديث عن المعاملات الإسلامية التي تــنظم علاقـــة الناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات بهدف صيانة المجتمع من الفوضى والإضـــطرابات، بـــدءاً بالحديـــث عن النظام الاجتماعي، ثم النظام الاقتصادي، والنظام السياسي، وأخيراً نظام الحسبة في الإسلام.

المبحث الرابع: العقوبات في الإسلام ودورها في الوقاية من الجريمة ومكافحتها، وقد وضّــح الباحـــث ذلك من خلال الحديث عن مبدأ العقوبة في الفقه الإسلامي، والحكمة من مشـــروعيتها حيـــث أنها رحمة وعدل، وتحقق الردع ومنع الجريمة، موضحاً الغاية من العقوبـــات، وأهـــم المصالح التي يحميها الدين بالعقاب وهي الكليات الخمس (حفظ الدين والـــنفس والعقـــل والنســـل والمال) ، ثم تحدث عن تقسيم العقوبات إلى عقوبات مقررة لجـــرائم الحدود، وعقوبات لجرائم القصاص والدية، وعقوبات مقررة كفارات، وعقوبات الـــتعازير، واختتم ذلك بإيضاح أثر العقوبات الشرعية في السلوك، ودورها في الوقاية من الجريمة ومكافحتها.

الفصل السادس

الفصـــل السادس خُصص للموضوع الرئيس في الدراسة وهو سياسة الوقاية والمكافحة لتهريب المخدرات بين التشريع الإسلامي والقانون الجنائي، قسمه إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: حكم المخدرات في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي، وفي ذلك قارن الباحث بين حكم المخدرات في التشريع الجنائي الإسلامي والقانون الجنائي المصري من خلال المحاور التالية:

١- بيان الحكم وأدلته.
٢- تعاطي المخدرات.
٣- إنتاج المخدرات وزراعتها وتهريبها والاتجار بها والتعامل بها على أي وجه.
٤- أداء الصلاة تحت تأثير المخدر.
٥- الربح الناتج عن التعامل في المواد المخدرة.
٦- التصدق بالأموال الناتجة عن التعامل في المواد المخدرة.
٧- تعاطي المخدرات للعلاج.
٨- التواجد في مكان معد للتعاطي أو كان يجري فيه تعاطي المخدرات.

وخلص الباحث بعد ذلك إلى أن حكم جميع الأنشطة المتصلة بالمخدرات في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي محرمة شرعاً ومجرمة قانوناً. إلا أن الشريعة الإسلامية تتفوق في ثبات حكم التحريم وعدم خضوعه لكمية المادة المخدرة مهما تواضعت وظروف القضية والجاني مهما اختلفت، بينما يتأرجح ثبات درجة التجريم في القانون، فيضعف تبعاً لظروف الجريمة، وكذلك الظروف الخاصة بالجاني.

المبحث الثاني: برنامج الوقاية والعقوبة في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي، قارن الباحث برنامج الوقاية في التشريع الإسلامي بما جاء في القانون الجنائي، مؤكدا أن الشريعة الإسلامية تتميز بالكمال والشمولية في الوقاية، وتتجه لإصلاح وتهذيب النفس البشرية وزرع بذور الخير والإصلاح فيها، وقد أورد الباحث بعض الإجراءات التي تنتهجها المملكة العربية السعودية وهي ضمن مناهج الوقاية الإسلامية لإصلاح المجتمع والحد من فرص انحرافه، كما قارن ذلك مع القانون الجنائي من خلال المحاور التالية:

١- الإعلام ودوره في الوقاية من الجريمة.
٢- السياحة الجانحة خارج البلاد.
٣- المرأة وممارسة دورها الاجتماعي.
٤- تحريم ومنع التجارة بالخمر والمشروبات الروحية.

كما قارن الباحث أيضاً بين برنامجي العقوبة في الشريعة الإسلامية وفي القانون الجنائي.

المبحث الثالث: في هذا المبحث أورد عددا من الحقائق التي أثبتتها المقارنة، وبعض الشهادات التي تؤكد سمو الشريعة الإسلامية وقدرتها على حفظ الأمن، وقد جاءت هذه الشهادات من منظمات دولية ومن علماء متخصصين من مختلف الأجناس والأديان، لتؤكد أن المملكة العربية السعودية حققت أفضل المستويات من الناحية الأمنية ومرد ذلك هو تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي الذي يحقق الوقاية والعقوبة والردع اللازم للحد من الجريمة.

نتائج الدراسة

قام الباحث بعرض نتائج دراسته بصورة مفصلة من خلال التقسيم التالي:

أولاً: خلاصة المقارنة

بعد المقارنة بين التشريع الإسلامي والقانون الجنائي في مجال مكافحة المخدرات توصل الباحث إلى النتائج التالية:

(١) النتائج المتعلقة بحكم المخدرات

أ) جميع الأنشطة المتصلة بالمخدرات- ومنها التهريب- محرمة شرعاً ومجرمة قانوناً.

ب) في التشريع الإسلامي تميز الحكم بالثبات، وعدم خضوعه لكمية المادة المخدرة مهما تواضعت، كذلك ظروف القضية والجاني مهما اختلفت.

ج) فـــي القانون الجنائي يتأرجح ثبات درجة التجريم، فيضعف تبعاً لظروف الجريمة وكذلك الظروف الخاصة بالجاني.

(٢) النتائج المتعلقة ببرنامج الوقاية

بعـــد المقارنـــة بين الإجراءات التي تعنى بمعالجة الأسباب التي تؤدي إلى التعاطي ثم التهريب لتأمين الطلب على المخدرات اتضح ما يلي:

أ- فـــي مجـــال الإعـــلام ودوره في الوقاية من الجريمة تم قياس هذا الدور من خلال معالجة أسباب الجريمة والترويج لها، وبالتالي اختفاء السبب والمسبب، وقد تبين أن دور الإعلام في المملكة العربية السعودية (إيجابي وليس على الإطلاق) ، بينما دور الإعلام في جمهورية مصر العربية (سلبي وليس على الإطلاق).

ب- فـــيما يـــتعلق بالسياحة الجانحة خارج البلاد لاحظ الباحث الآثار المترتبة على السفر لـــدول غـــير إسلامية، والتأثر بثقافاتهم، وما ينتج عنها من انحرافات، ووقوع بعض الشـــباب فـــي جـــريمة المخدرات بسبب السياحة الخارجية الجانحة، وقد اتضح دور التشـــريع الإســـلامي والقـــانون في هذا الجانب. فوجد أن التشريع الإسلامي وضع ضـــوابط معيـــنة لهذا السفر راعى فيها الحاجة، وتوافر مستوى من العلم والوازع الديـــني لدفع الشبهات والشهوات، وقد وضعت المملكة العربية السعودية ضوابط من هذا النوع لتنظيم السفر والسياحة لهذه البلاد، أما في القانون فلا توجد ضوابط لحماية المجـــتمع مـــن هذه الأخطار، ولم يجد الباحث أن جمهورية مصر العربية قد اتخذت ترتيبات من هذا النوع.

ج- فـــيما يخـــص المرأة وممارسة دورها الاجتماعي راعت المقارنة موضوع الافتتان بالمـــرأة وخطـــرها على الرجل، ثم عليها لاحقاً، وما تسببه هذه الفتنة من انحرافات وأمـــراض نتيجة الكبت والآلام والعقد النفسية، ثم الميل إلى المخدرات للهروب من الواقع أو تخدير الضمير لما يسببه من آلام الصحوة بعد الوقوع في المحرم، واتضح أن التشـــريع الاســـلامي راعى هذا الجانب، ووضع ضوابط تمنع الوقوع في الفتنة،

ووجـه المرأة المسلمة بمراعاة ذلك. وقد تبين من المقارنة التزام المرأة في المملكة العربـية السـعودية هذا التشريع الوقائي خلال ممارسة أدوارها الاجتماعية، والدولة تـرعى هـذا الالتزام بهدي من الشريعة الاسلامية. أمّا القانون في جمهورية مصر العربـية فلـم يلزم المرأة بمثل هذا المستوى من الضوابط الشرعية، ومن وفقها الله وهداها فهو امتثال للتشريع الإسلامي دون إلزام من القانون.

د- في مجال تحريم ومنع التجارة بالخمور والمشروبات الروحية اتضح أن الخمور وجميع المشـروبات الروحـية حـرام شرعا، والتجارة فيها حرام، ومقتضى التحريم الشرعي مطـبق علـى أرض الواقع في المملكة العربية السعودية، وفي جمهورية مصر العربية وجد أن الخمور والمشروبات الروحية مباح شربها وتجارتها، وهذا السلوك يمارس وفق ضوابط معينة .

(٣) النتائج المتعلقة ببرنامج العقوبة

من خلال المقارنة تبين ما يلي:

أ- العقوبـة في التشريع الاسلامي: مصدر التشريع هو الله سبحانه وتعالى، والقاضي في المحاكم الشرعية يمارس القضاء، ويوقع العقوبة حداً أو تعزيراً بهدي الشريعة الاسـلامية، ووفـق القواعد التي تضبط ذلك، وهو في كل الأحوال يراقب الخالق ويجـتهد فـي إحقاق الحق تحسباً لعدم الخطأ، لأن عقوبة المخدرات وتهريبها في الشـريعة الاسـلامية من جرائم الحدود، فتعاطيها يقاس على جريمة شرب الخمر وتهريبها حرابة، لأنها إفساد في الأرض، ومحاربة لله ورسوله، والعقوبة هنا ثابتة ومحـددة، لا يمكن الإعفاء منها، أو تشديدها بتجاوز عقوبتها الأصلية، أو تخفيضها تبعاً للظروف الخاصة بالجاني.

ب- العقوبـة فـي القـانون الجنائي: العقوبة مصدرها البشر، وحتماً لن يكون تشريع المخلـوق بمسـتوى تشريع خالقه، والقاضي في المحاكم القانونية يمارس القضاء، ويوقـع العقوبـة المقدرة أو العقوبة المخول بتقديرها، وهو خلال الممارسة يلتمس

إرضـــاء البشر أصحاب العلاقة، سواء كان المشرع أو أحد أطراف القضية، وهو فـــي حـــرج دائـــم، تدفعه العواطف والضغوط، ومؤثرات الاسترحام والتوسل إلى تخفـــيف العقوبـــة والتمادي في ذلك حتى لا تحقق أهدافها، وهو في كل الأحوال لا يخشـــى المسئولية من المشرع، لأنه يمارس صلاحيته التي خوله إياها القانون، مما يـــؤدي إلـــى تعطيل العقوبات الأصلية. فالقاضي لا يلجأ للتشديد إلا إذا أقفل أمامه بـــاب التخفـــيف، ويـــندر أن يغلـــق دونه هذا الباب. وقد اتضح أن عقوبة تهريب المخـــدرات غـــير ثابتة في القانون (١٢٢) لسنة ١٩٨٩م، وتحكمها بعض الأحوال كالإعفـــاء من العقوبة بموجب المادة (٤٨) أو الظروف القضائية المشددة بموجب المـــادة (٥/٣٤). ويلاحظ هنا أن التشديد لم يتجاوز العقوبة الأصلية للفعل المجرم، أو الظروف القضائية المخففة للعقوبة بموجب المادة (٣٦). ويلاحظ هنا أن تقديرها تـــرك للقاضـــي دون ضـــوابط، وحريته المطلقة في هذا الجانب تعرضه لضغوط المطالبة بالتخفيف.

ج- الشـــريعة الإسلامية سبقت القانون إلى حماية وصيانة الحقوق الشخصية في الحياة الخاصـــة، ولكـــن الســـلطة تـــتجاوز بعض هذه الشروط سهواً أو عمداً في بعض الحـــالات، مـــتى رأت ذلك ضرورياً، وأنه لولا التدخل لوقعت جريمة، أو ضاعت مصـــلحة عامـــة، أو كان ضرر الامتناع عن التفتيش مثلاً أكثر من المبادرة إليه، وهنا تراعي الشريعة ذلك وتضع له قاعدة (الضرورة تقدّر بقدرها) ، بينما القانون فرّط في ذلك، وجعل الحق بيد المتهم للطعن ببطلان إجراءات التفتيش، وتبعاً لذلك بطـــلان الدلـــيل، ليصل في النهاية إلى البراءة، رغم ضبطه متلبساً وقناعة السلطة والقضاء بإدانته، وهذه ثغرة قانونية يتم استغلا لها من قبل المجرمين.

د- هـــناك ضـــمانات تمـــنح للمـــتهم أثـــناء محاكمته والحكم بإدانته أو براءته، وهذه الضـــمانات محاطـــة في الشريعة الاسلامية بالاهتمام والرعاية، ولكن القانون فرّط حين منح المتهم حقوقاً غير مقبولة تتعارض مع أهداف العقوبة ومصلحة المجتمع،

وذلــك حين ألزم القاضي عند إصدار الحكم بأن يراعي شخصية الجاني وظروفه، وهــذا الإلزام كان سبباً قوياً في ضعف القضاء وبالتالي العقوبة، لكون الجمع بين متناقضين غير ممكن. فأمام القاضي مصلحة المجني عليه والجماعة، وفي الطرف الآخــر مصــلحة الجاني، فإذا تمت مراعاة مصلحة الجاني وظروفه فإن هذا حتماً سينال من مصلحة وحق المجني عليه، وبالتالي مصلحة الجماعة دون حق.

ثانياً: النتائج العامة للدراسة

١- الجريمة المنظمة دولية، ومكافحتها بفاعلية لا بد أن تكون في إطار دولي.

٢- الجــريمة المــنظمة (ســوق للإجــرام) ، فــلا حدود لإجرامها، ولا تخصص لأنشطتها، ولن تتوقف ما دامت تحقق الربح.

٣- الجريمة المنظمة ضد معايير الأخلاق والمبادئ والقيم الإنسانية.

٤- الجــريمة المــنظمة عدو لدود وقوي، ومواجهتها دون استعداد تدمير لمؤسسات الدولة ومقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

٥- تــتعارض الجريمة المنظمة بخصائصها ومبادئها مع الشريعة الإسلامية؛ فجميع أنشطتها غير مشروعة.

٦- الجــريمة المــنظمة لا تخــتار المواجهة متى ما أمكنها تحقيق أهدافها بالاحتيال والرشوة، والابتزاز والتهديد.

٧- الانتظار في مواجهة الجريمة المنظمة حتى دخولها الوطن خيار غير استراتيجي.

٨- إذا وصــلت الجريمة المنظمة داخل الدولة فإن خروجها صعب المنال، ومحاولة إخراجها غير مضمونة النتائج، وغير مأمونة العواقب.

٩- الإجرام المنظم لا يتعايش مع المجتمع الفاضل.

١٠- الشريعة الإسلامية عدو الجريمة المنظمة واجتماعهما بسلام في بلد واحد احتمال غير وارد.

١١- تطبيق مبدأ (الوقاية خير من العلاج) خيار استراتيجي لمواجهة الإجرام المنظم.

١٢- المواطـــن هو المستهلك لأنشطة الجريمة المنظمة، وأحد عناصر السوق، ومتى تم إصلاحه واحتواؤه فلن تجد الجريمة المنظمة فرصة للانتشار والتفاعل.

١٣-التشـــريعات القاصـــرة والأنظمـــة الضـــعيفة تعتبر ثغرات قانونية تهيئ الطريق لاحتراف الإجرام المنظم، واستمرار أنشطته.

١٤- الشـــريعة الإســـلامية ليســت فقط خيارا استراتيجيا لمواجهة الجريمة المنظمة، ولكنها الحل الوحيد بشرط التطبيق الكامل وليس الجزئي.

ثالثا: النتائج الخاصة بالمقارنة

١- الشـــريعة الإســـلامية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية. فالمصدر الأول وحي من عند الله باللفظ والمعنى، والمصدر الثاني وحي من عند الله بالمعنى، ولفظـــاً عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن ا لهوى، فيما جاء المجتهدون وعلماء الإسلام فالتزموا بمنهج الله تعالى، واستنبطوا الأحكام للوقائع الجديدة من روح الشـــريعة وفـــق قواعد لا تعرف الجور والظلم، بل هي أسمى أنواع العدالة، كونها تنبثق من تشريع إ لهي شامل لكل مطالب الحياة. بينما القانون الوضعي مـــن صـــنع البشر، يخضع لأهوائهم، وينبثق من النقص البشري، فمهما بلغ فقهـــاء القـــانون من المعرفة فإن علمهم يظل قاصراً عن بلوغ وإدراك حقائق الأمـــور، فلا يستطيعون أن يحيطوا بما يحقق لهم الفلاح مثل رب العالمين، ولله المـــثل الأعلـــى. كمـــا أن القوانين نشأت كطفل وليد يتطور ويتأثر بنشأة الإنسان وبيئته، فلكل مجتمع قوانينه التي تتطور معه.

٢- قوة الاحترام والالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، لأن لها هيبة واحتراما في نفـــوس المؤمنيـــن بها لأنها صادرة من الله، ومن ثم يمتثل لها العباد طائعين راضين مقتنعين بعدالتها دون مناقشة. أما أحكام القانون الوضعي فلا تكتسب ا لهيـــبة والاحترام لذاتها أو احتراماً لواضعها، بل تكتسب بعض الاحترام بقدر

ما اقترن بها من عقوبه، فإن أمن الناس العقوبة انتهكت معظم القوانين.

٣- الشــريعة الإسلامية كاملة ودائمة. فهي تعنى بكل شئون الحياة، وتصلح لكل زمـــان ومكان، إلا أن القوانين الوضعية تتغير وتتبدل إذا ظهر فيها نقص أو خلل، أو بتبدل الأخلاق، فما كان محرماً بالأمس يصير مباحاً اليوم والعكس.

٤- الجــزاء فــي الشريعة الإسلامية دنيوي وأخروي. ففي أحكامها وعد ووعيد بنعــيم مقــيم، أو عــذاب شديد. وتتميز الشريعة بصفة خاصة بجزاء دنيوي، فضـــلاً عن الجزاء الأخروي، فإن أمكن للناس أن يتهربوا من الجزاء الدنيوي نتــيجة عــدم الاعتراف بالذنب أو التحايل على أدلة الإثبات، فإن الجزاء في الآخـــرة يبقى نصب أعينهم ولا مفر منه، ولذلك فإن المؤمنين يخشون مراقبة الله وعقابـــه أكـــثر مـــن خشية ولي الأمر ومن يقوم على السلطة في الدنيا. والـــناس فـــي ظـــل القوانين الوضعية يجتهدون في التهرب من عقابها، وهم يعلمون أن واضع القانون بشر مثلهم لا يعرف أسرارهم ولا يعلم الغيب، ولن يمـــتد عقابـــه إلـــيهم بعد موتهم، وهم والحالة هذه يتجهون إلى التمتع بالحلال والحرام والجرائم والآثام ما داموا في مأمن من العقاب.

٥- الشـــريعة الإســـلامية تفرض الرقابة الذاتية. فالمؤمن يعلم أن الله تعالى مطلع علـــى كل صغيرة وكبيرة، بل يعلم السر والنجوى، وهو حاكم عظيم لا ينبغي مخالفـــته، وهـــو المشرّع سبحانه وتعالى يراقب شريعته ومخالفيها في الغيب وفـــي ظل غياب السلطة، ويحاسب على التقصير، ولا يتحقق ذلك في القوانين الوضعية.

٦- التشـــريع الإســـلامي يوافـــق الفطرة؛ فما تستحسنه الفطرة السليمة فهو في الشـــريعة مباح، وما تستهجنه فهو في الشريعة قبيح، إما محرم أو مكروه. أما القوانين الوضعية فيحدث كثيراً ألا تلتقي مع الفطرة السوية إذا تغيرت أحوال المجتمع.

٧- الشـــريعة الإســـلامية شاملة لاهتمامها بجوانب العقيدة، والأخلاق، والعبادات،

والمعاملات، وجميع شئون الحياة، في حين أن القوانين الوضعية تهمل موضوع العقيدة والعبادات، والأخلاق.

٨- الشريعة الإسلامية شريعة التوازن والوسطية. أما في ظل القوانين الوضعية، فكثيراً ما تطغى مصلحة الفرد على الجماعة أو العكس، كما أن اهتمامها بالجانب المادي فقط كان سبباً في كثير من حالات الفراغ الروحي، ثم الحالات النفسية والأمراض التي بلغت حد اختيار الانتحار لدى البعض.

٩- الشريعة الإسلامية تحقق العدل للناس جميعاً، وعد لها امتداد لعدل الله سبحانه وتعالى. أما في القوانين الوضعية فكم من قانون تم تعديله لرفع الظلم عن فريق فوقع الظلم على فريق آخر.

١٠- الشريعة الإسلامية مرنة، فالحكم يجده القاضي ويتخيره حسب ظروف كل حالة من أحكام المذاهب الفقهية التي فيها توسعة في الأمور الاجتهادية، إضافة إلى نصوص القواعد الفقهية، بينما القوانين الوضعية نصوص تكبّل رجال القانون في كثير من الوقائع ، فيحكمون بها ويعلمون أن غيرها أفضل منها، ويستمرون على ذلك لحين تغييرها.

توصيات الدراسة

أولا: توصيات عامة

١- الاهتمام بالتعاون الدولي والمشاركة في فعالياته على المستوى العالمي، أو الإقليمي، أو الثنائي.

٢- وضع ضوابط محكمة في وجه أي محاولة لاستغلال برنامج الاستثمار الأجنبي لتصدير الجريمة المنظمة وأنشطتها.

٣- الاهتمام ببرنامج التوعية، خاصة في المؤسسات الأمنية ضمن برنامج الوقاية واستعداداً للمواجهة.

٤- استمرار الحكم بالشريعة الإسلامية كونها الخيار الاستراتيجي الوحيد لمواجهة الجريمة المنظمة وقائياً.

٥- التركيز على تنمية الوازع الديني لدى أفراد المجتمع.

٦- الاهتمام بتحصين المؤسسات الرسمية ذات العلاقة بنشاط الإجرام المنظم، خاصة في مجال الأمن والاقتصاد.

٧- استمرار العمل على تطوير برامج التنمية، لدعم الاقتصاد الوطني، والوفاء باحتياجات المواطن وأسباب رفاهيته، فالفقر والبطالة أرض خصبة للجريمة المنظمة.

٨- الاهتمام بموضوع الفساد ومراقبة التغيرات الطارئة، والعلاقات المشبوهة بين القيادات وكبار الموظفين. فشراء الذمم والولاء بقوة الابتزاز والتهديد خيار استراتيجي في قانون الإجرام المنظم.

٩- الاهتمام ببرامج الوقاية لمنع المنظمات الإجرامية من الوصول إلى البلاد، كون مكافحتها بعد وصو لها تكون محاولات غير مضمونة، بل غير مأمونة.

١٠- استمرار العمل على مراجعة الأنظمة المعنية بأنشطة الإجرام المنظم، وإعادة تعديلها وفق ما يحقق المصلحة، ويكفي لردع عناصر الجريمة المنظمة وتجريم الأفعال المتصلة بالجريمة المنظمة كافة.

١١- زيادة الاهتمام بدعم المؤسسات الأمنية والأجهزة ذات العلاقة بشرياً ومادياً وفنياً.

١٢- المبادرة إلى رفع كفاءة رجل الأمن وتأهيله علمياً وعمليا من خلال دعم الكليات والمعاهد الأمنية، وتبادل الخبرات مع الدول الأخرى.

١٣- إنشاء جهاز متخصص لمكافحة الجريمة المنظمة والإرهاب.

ثانيا: توصيات خاصة بموضوع المقارنة

انطلاقـــا من نتائج المقارنة بين التشريع الإسلامي والقانون الجنائي التي أظهرت تفـــوق الشـــريعة الإسلامية في منهجها الوقائي، وكذلك العقابي يضيف الباحث عددا من التوصيات منها:

١- ضـــرورة المبادرة إلى الاستفادة من منهج التشريع الإسلامي في علاج الثغرات القانونـــية وقصور الأنظمة الجنائية المعاصرة عند إعداد وتنفيذ سياسات مكافحة الجريمة المنظمة بصفة عامة، وجريمة "تهريب المخدرات" بصفة خاصة.

٢- التشـــريع الإسلامي منهج سماوي يتنزه عن القصور والخطأ، وقد كشفت المقارنة ذلـــك بجـــلاء، مما يؤكد ضرورة استمرار تطبيق هذا المنهج في المملكة العربية السعودية.

٣- الاهتمام بموضوع التعاون الدولي والإقليمي في مجال البحث والتحري، ومتابعة المهربين قبل وصو لهم إلى حدود المملكة ليمكن ضبطهم في الوقت المناسب.

٤- التركيز على استمرار برامج التوعية للتحذير من أخطار المخدرات.

٥- الاهـــتمام بتربـــية وإعداد النشء المسلم ورعايته، وترسيخ المثل العليا ابتداء من المنزل ومناهج التعليم، وذلك لتلافي وقوعهم في مستنقع المخدرات.

٦- تشـــجيع مـــبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، وهذا المبدأ من أبرز صفات وخصائص الأمة الإسلامية.

٧- الاســـتمرار فـــي دعـــم جهاز مكافحة المخدرات بشرياً ومادياً وفنياً، ليكون أكثر كفاءة في مواجهة المنظمات الإجرامية ونشاط التهريب.

خاتمة

لقــد وفق الباحث في اختيار موضوع دراسته لأهميته وحيويته، وردّه على المشككين في صلاحية التشريع الجنائي الإسلامي لكل زمان ومكان، من خلال الدراسة العلمية المؤصلة والموثقة وفق مناهج البحث العلمي المتعارف عليها. فقد عمد الباحث إلى استخدام المنهج المقــارن مذكراً ومؤكداً أن إجراء هذه المقارنة لا يهبط بسمو التشريع الإسلامي، كما أنه لا يضع القانون البشري بمنزلة التشريع الإلهي إطلاقاً، ولولا حاجة البعض للاقتناع بسمو التشــريع الإسلامي وجهلهم بحقائق ذلك لما كانت هذه المقارنة. كما يؤكد أن النتائج التي توصل إليها فيما يخص التشريع الإسلامي ليست جديدة. فهي حقائق ومسلمات يعرفها من مــلأ الله قلــبه بــنور الإيمان. وقد أوردها لأن المقارنة أكدتها دون حاجة إلى تأكيد. وقد توصل في النهاية إلى نتائج وتوصيات مفيدة، وقدم استراتيجيتين لمكافحة الجريمة المنظمة إحداهمــا وطنــية والأخرى عربية، وهي مقترحات جديرة بالاهتمام، وقد كانت شخصية الباحــث واضــحة في الدراسة؛ فقد تميز أسلوبه بالجزالة والرصانة والعرض الشيق بلغة ســليمة، فــي تسلســل منطقي للأفكار، داعماً دراسته بكثير من الوثائق الرسمية والدلائل العلمــية مــن إحصــائيات وغيرها، مما جعل هذه الدراسة إضافة علمية للمكتبة الأمنية العربية التي تفتقر إلى هذا النوع من الدراسات العلمية.

تقرير عن ندوة المجتمع والأمن في دورتها السنوية الثالثة

بعنوان :

"سوق العمل في المملكة : الواقع والتحديات"

المنعقدة في كلية الملك فهد الأمنية بالرياض

خلال الفترة من ٧ ـ ١٠ شعبان ١٤٢٣ هـ

الموافق : ١٣ ـ ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢ م

إعداد

الرائد / محمد بن سليمان المنيع

سكرتير تحرير مجلة البحوث الأمنية

كلية الملك فهد الأمنية

مقدمة

لم تعد تلك النظرة الجزئية- حتى لو كانت متخصصة في القضايا والمشكلات التي تهم المجـتمع- تكفي وحدها لعلاج ورصد الآثار السلبية لأي ظاهرة أو نشاط إجتماعي. ومن هذا المنطلق فإن مشكلة وواقع سوق العمل، والتحديات المحدقة به أصبحت تشكل هاجساً أمنياً واجتماعيا واقتصاديا وسياسياً يتجاوز هموم وزارة أو إدارة متخصصة، لأنها إشكالية تشتمل على منظومة من الأبعاد المترابطة التي تتطلب إعادة النظر في كثير من الأهداف والاسـتراتجيات للتصـدي لهذه القضية والظواهر المصاحبة لها ، مثل البطالة وعلاقتها بالجـريمة ، والعمل الجاد لتوطين الوظائف والإحلال من خلال المفهوم الحقيقي للسعودة وتنمية وتأهيل الموارد البشرية المحلية.

وانطلاقـا مـن مفهوم الأمن الشامل وأهمية التواصل بين الجهات الأمنية والعلمية مع قضـايا المجـتمع ، وإيماناً بالأبعاد الأمنية لواقع سوق العمل في المملكة وما يواجهه من تحديـات ، نظمـت كلية الملك فهد الأمنية ــ باعتبارها قطاعاً أمنياً أكاديمياً ــ ممثلة في مركـز البحوث والدراسات– ندوة المجتمع والأمن في دورتها السنوية الثانية تحت عنوان "سـوق العمـل في المملكة : الواقع والتحديات"، وذلك خلال الفترة من ٧ ــ ١٠ شعبان ١٤٢٣ هـ الموافق ١٣ ــ ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢ م برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمـير نـايف بـن عبد العزيز وزير الداخلية و رئيس مجلس القوى العاملة الذي تفضل مشـكوراً بافتـتاح أعمـال الـندوة ، وإلقاء كلمة بهذه المناسبة أوضح فيها سموه أهمية موضـوع الـندوة، وضرورة توظيف البحث العلمي في التعامل مع المشكلات والظواهر المخـتلفة التي تحد من مسيرة التنمية، وتعيق الإنجازات الوطنية، كما حث سموه الباحثين على رصد الظواهر السلبية التي تؤثر على الأمن الوطني الشامل والتصدي لها من خلال تقديـم الحلـول وفق منهجية علمية سليمة. كما أبدى سموه الكريم أمله في أن تسهم نتائج وتوصيات الندوة ــ بإذن الله ــ في نقل نتائج البحث العلمي إلى حيز التطبيق العملي .

وفـيما يلي نعرض صورة موجزة عن الندوة، ومحاورها المختلفة، والأوراق العلمية التي قدمت بها ، مع عرض للتوصيات الختامية التي أعلنت عند اختتام الندوة .

أولا: أهداف الندوة

١- التعرف على واقع سوق العمل السعودي كمحاولة لطرح الحلول الكفيلة بزيادة مساهمة عنصر العمل السعودي في العملية الإنتاجية والحد من ظاهرة البطالة، وما يترتب عليها من آثار سلبية في المجالات الأمنية والاقتصادية.

٢- إبراز الأبعاد الأخرى لعملية توطين فرص العمل في سوق العمل السعودي، خاصة في ظل التركيز الدائم والمستمر على البعد الاقتصادي ,وإهمال الأبعاد الأخرى ذات الأهمية البالغة، كالبعد الأمني والبعد الاجتماعي.

ثانيا: محاور الندوة

اشتملت الندوة على المحاور التالية :

المحور الأول : "الملامح الرئيسة لسوق العمل السعودي"

- الأوضاع الراهنة لسوق العمل.
- أوضاع القوى العاملة وتطوراتها.
- دور القطاع الخاص في مجال التوظيف.
- دور القطاع العام في مجال التوظيف.
- الأنظمة والقرارات ذات العلاقة بتوطين فرص العمل

المحور الثاني : "الأبعاد الاجتماعية لسوق العمل"

- الأبعاد الاجتماعية والسلوكية للعمالة الوافدة.
- الاتجاهات الاجتماعية نحو بعض المهن.
- الأمن الوظيفي في القطاع الخاص.
- الآثار الاجتماعية للعمالة السائبة.
- الآثار الاجتماعية والفكرية للعمالة المنزلية.
- الآثار الاجتماعية للبطالة.

المحور الثالث : "الأبعاد الاقتصادية لسوق العمل"

- ظاهرة البطالة في المملكة المفهوم والأبعاد.
- الآثار الاقتصادية لظاهرة البطالة.
- التحديات الاقتصادية لظاهرة الاعتماد على العمالة الوافدة.
- معوقات توطين فرص العمل.
- الآثار الاقتصادية لظاهرة توطين فرص العمل.

المحور الرابع : "الأبعاد الأمنية لسوق العمل السعودي"

- الجريمة والبطالة.
- أنماط الجريمة في ظل واقع سوق العمل.
- ظاهرة التستر وأبعادها الأمنية.
- الآثار الأمنية لظاهرة توطين فرص العمل.
- التحديات الأمنية لظاهرة الاعتماد المتزايد على العمالة الوافدة.

المحور الخامس : "سوق العمل السعودي رؤية مستقبلية"

- التدريب وتوطين التوظيف.
- مخرجات التعليم وسوق العمل.
- مستقبل السياسات الخاصة بتوطين الوظائف.
- دور الخطط التنموية في مجال توطين الوظائف.

ثالثاً : الجهات المشاركة

حظيت الندوة باهتمام بالغ ومشاركات فاعلة من قبل الباحثين والجهات الحكومية والخاصة ذات الاهتمام بقضايا سوق العمل مثل: وزارة العمل والشئون الاجتماعية، وزارة التجارة، وزارة المعارف، الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي، مجلس القوى العاملة، الأمن العام، الهيئة العليا للسياحة، حرس الحدود، المعهد الثقافي، مجلس الغرف

التجارية والصناعية، جمعية الكشافة، معهد الإدارة العامة،-الغرفة التجارية والصناعية بالرياض،الغرفة التجارية والصناعية بجدة، جامعة أم القرى، جامعة الملك سعود، جامعة الملك خالد، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، جامعة الملك عبد العزيز، الجامعة الإسلامية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، وكلية الملك فهد الأمنية.

رابعاً : أعمال الندوة

بدأت فعاليات الندوة في الساعة الرابعة من عصر يوم الأحد الموافق : ٧ / ٨ / ١٤٢٣ هـ واستهلت بتلاوة آيات من كتاب الله الكريم ، ثم كلمة مدير عام الكلية اللواء / عبد الرحمن بن عبد العزيز الفدا تلاها كلمة مدير مركز البحوث والدراسات ورئيس اللجنة العلمية للندوة الدكتور مفرّج بن سعد الحقباني ، وكلمة لمدير قسم المعارض والندوات ورئيس اللجنة التنظيمية الرائد الدكتور / فايز بن عبد الله الشهري ، ثم كلمة راعي حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ورئيس مجلس القوى العاملة الذي أعلن افتتاح الندوة .

وقد تواصلت جلسات الندوة وفق برنامج زمني موزع على حسب المحاور حتى يومها الأخير الأربعاء الموافق ١٠ / ٨ / ١٤٢٣ هـ حيث كانت الجلسة الختامية وإعلان التوصيات ، وفيما يلي عرض موجز لأوراق العمل المقدّمة للندوة من خلال محاورها الأساسية:

الجلسة الأولى : "الملامح الرئيسة لسوق العمل"

ترأس الجلسة معالي الدكتور / علي بن ابراهيم النملة وزير العمل والشئون الاجتماعية، وقد اشتملت على أربع أوراق عمل علمية على النحو التالي :

الورقة الأولى : "الملامح الرئيسة لسوق العمل" مقدمة من الأستاذ / أحمد بن عبد الرحمن الزامل ــ وكيل وزارة العمل والشئون الاجتماعية .

تناولت هذه الورقة الدور الذي تقوم به مكاتب العمل في مجال توظيف المواطنين على

اعتبار أنه دور شامل لا يقتصر على تسجيل وترشيح طالبي العمل، وإنما يتعدى ذلك إلى تطبيق الأنظمة الخاصة بالتوظيف على جميع المنشآت المعنية وإلزامها بتحمّل مسئولياتها فـيما يتعلق بتوظيف المواطنين سواء تم هذا التوظيف من خلال مكاتب العمل أو من أي مصـدر آخر ، وأن تطبيق مثل هذه الأنظمة هي مهمة تتعاون في القيام بها جميع إدارات وأقسام مكاتب العمل، وعلى رأسها التوظيف والاستقدام والتفتيش.

كذلـك تناولت الوضع الراهن والمستقبلي لسوق العمل في المملكة، والسياسات المؤثرة علـى زيادة الطلب من القوى العاملة الوطنية، والتوظيف في نظام العمل، والعقبات التي تواجهه.

الورقـة الثانـية : "توطيـن فرص العمل : الأبعاد والسياسات " مقدمة من الدكتور / عبدالواحد بن خالد الحميد ــ أمين عام مجلس القوى العاملة .

تناولـت الورقـة قضية توطين فرص العمل في المملكة بأبعادها وسياساتها المختلفة، وأشارت إلى أهمية هذه القضية والإشكاليات المتعلقة بها ، ورؤية بعض المدارس الفكرية حولهـا مـن خـلال مدرستين إحداهما تنادي بإطلاق قوى السوق وعدم تدخل الدولة في عملـية التوطين باعتبار أن ذلك يضعف كفاءة الاقتصاد الوطني ، والأخرى ترى أن قوى السوق لا تقدم حلولاً مثالية ولا بد من تدخل الدولة ، وقد رأت الورقة أن أوضاع المملكة وتوجهات العولمة تدعو إلى خيار التدخل لتوطين العمالة في المملكة ، إلا أن ذلك لا يعني إلغـاء آلـيات السوق بالكامل ، ولا يعني هيمنة الدولة على الاقتصاد، لأن قضية التوطين تتسم بأبعاد استراتجية شديدة الأهمية نابعة من الظروف التنموية للمملكة .

الورقة الثالثة : "البطالة في اقتصاديات المملكة العربية السعودية" مقدمة من الدكتور / صالح بن محمد الشعيبي ــ وكيل وزارة التجارة المساعد للتجارة الداخلية .

تناولـت هـذه الورقة الأهداف الاستراتيجية التي تبنّتها الحكومة السعودية في صياغة سياسـاتها الاقتصـادية حـول مفهوم التخطيط المركزي الذي يقوم على إستشراف آفاق المسـتقبل والتغيرات الاقتصادية المتوقعة، وذلك من خلال خططها الخمسية ، وقد هدفت

هـذه الورقة إلى دراسة التطور التاريخي والوضع الراهن لمؤشرات سوق العمل، وكذلك تطبيق المعايير المتفق عليها دولياً مع مراعاة خصوصية المملكة – لتحديد نسب البطالة ، واقتراح السياسات والإجراءات الكفيلة بمعالجة مشكلة البطالة والتحكم فيها.

وقـد اختـتم الباحث هذه الورقة ببعض التوصيات من بينها : أهمية التدريب المستمر وإعـادة التأهـيل ، وإعادة النظر في الأطر القانونية والإدارية التي تحكم استقدام العمالة الوافـدة وتكـيفها مـع الاحتياجات المستقبلية للاقتصاد الوطني بشكل فعال ، كذلك إيجاد العلاقـات المناسبة بين أجهزة التعليم والتدريب وأصحاب الأعمال في القطاعين الحكومي والخـاص ، وإعادة صياغة سياسات القوى العاملة بعيداً عن خدمة القطاع الحكومي نحو مقابلة احتياجات القطاع من العمالة .

الورقة الرابعة : "توظيف السعوديين : المعوقات والحلول" مقدمة من الدكتور / محمد بن ناصر البيشي ، والأستاذ / إبراهيم بن عمر بن طالب ـــ معهد الإدارة العامة .

قامـت فكـرة هـذه الورقـة على دراسة واقع توظيف السعوديين في المملكة العربية السـعودية مـن خلال محاولة التعرف على الخصائص الديموغرافية لطالبي العمل والتي يمكـن أن تشـكل مصـدراً لمعوقات التوظيف في القطاع الخاص ، وكذلك التعرف على الخصـائص الديموغرافـية لشـاغلي الوظائف في القطاع الخاص والمسجلين في مركز المعلومـات بـوزارة العمل والشئون الاجتماعية والتي يمكن أن تشكل مصدراً لمعوقات التوظـيف فـي القطاع الخاص، والتعرف أيضاً على الخصائص الرئيسية للوظائف التي تشغلها المرأة في القطاع الخاص ، والتي يمكن أن تشكل مصدراً لمعوقات توظيف المرأة في هذا القطاع، وفيما يلي أهم التوصيات التي خلص إليها الباحث في هذه الورقة وهي : معالجـة قضـية الانقطـاع عـن التعليم أو التدريب ، وحث رجال القطاع الخاص على المشـاركة فـي دعم توظيف السعوديين ، وكذلك دعم صندوق تنمية الموارد البشرية ، وأهمـية التركيز على سعودة الوظائف المهمة ، كما أوصت بتحسين الإجراءات الإدارية والأنظمة المتعلقة بتوظيف السعوديين

الجلسة الثانية : "الأبعاد الاجتماعية لسوق العمل في المملكة"

ترأس الجلسة معالي الدكتور / أحمد بن محمد السالم وكيل وزارة الداخلية، وقد اشتملت على خمس أوراق عمل علمية على النحو التالي :

الورقة الأولى : "العولمة والسعودة" مقدمة من الدكتور / خالد بن عبد العزيز الشريدة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

تناولت هذه الورقة إشكالية العلاقة بين العالمي والمحلي من خلال طرح ظاهرة العولمة بين التبشير والتنفير. ومفهوم هذه الظاهرة وسمات العصر العولمي، وكذلك إيجابيات وسلبيات العولمة ، كما تناولت ملامح المسيرة التنموية وسوق العمل السعودي وذلك باستعراض تاريخ مسيرة التنمية السعودية وسمات سوق العمل ومشكلات العمالة بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والثقافية والصحية والسياسية ، ومن ثم عرضت المفهوم الضيق والمفهوم الواسع والنموذج الأمثل للسعودة والذي يقضي بأنها يجب أن تتشكل من منظومة الأبعاد القيمة مع الوقوف على الأثر المتبادل بين المشكلات الاجتماعية والآثار الاقتصادية وأخيراً العمالة في ظل العولمة

الورقة الثانية : "واقع الفرص الوظيفية لخريجي أقسام الخدمة الاجتماعية" مقدمة من الدكتور / عبد العزيز بن محمد بن حسين ـ جامعة الملك سعود .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على اتجاهات مسئولي التوظيف في المستشفيات الخاصة نحو قبول الخريجين من أقسام الخدمة الاجتماعية للعمل لديهم بوظيفة أخصائي اجتماعي . وبعد استعراض التراث النظري المتصل بأهمية ميدان الخدمة الاجتماعية الطبية، وبعد مناقشة تطور أعداد الخريجين وواقع الفرص الوظيفية المتاحة للخريجين الجدد، قام الباحث باستقصاء الاتجاهات النفسية لدى عينة من مسئولي التوظيف في المستشفيات الخاصة بمدينتي الرياض وجدة وذلك فيما يتعلق بمدى قبول أو رفض هذه الفئة من الخريجين .

وقـد كشـفت نـتائج هذه الدراسة عن وجود اتجاهات إيجابية لمسئولي التوظيف في المستشـفيات الخاصـة نحو خريجي أقسام الخدمة الاجتماعية، وذلك فيما يتصل بمستوى التأهـيل الأكاديمي، ومستوى التقيد بأنظمة العمل ، ومستوى الكفاية الإنتاجية ، ولكن من ناحـية أخرى كشفت نتائج الدراسة عن اتجاهات سلبية تتمثل في : اشتراط الخبرة المهنية للخريجيـن الجـدد قبل إمكانية قبولهم للعمل ، إلى جانب تفضيل توظيف غير السعوديين بسـبب الفـارق فـي الأجر ، وفي ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة قدمت بعض التوصيات والمقترحات ذات العلاقة بتحسين واقع الفرص الوظيفية لخريجي أقسام الخدمة الاجتماعـية فـي القطـاع الصحي الخاص. كما أوصت بضرورة تطوير مستوى كفاية تأهيل الخريج أكاديمياً ومهنيا .

الورقـة الثالثة : "التحول من المدرسة إلى العمل المستقبلي" مقدمة من الدكتور نايف بن هشال الرومي ـ وزارة المعارف .

تناولت هذه الورقة عملية الانتقال من المدرسة إلى العمل والأزمة التي تواجه خريجي المـدارس الـثانوية فـي المملكـة العربية السعودية على اعتبار أن منهج التعليم في هذه المـرحلة ونظام التعليم لا يفيان باحتياجات الأفراد وأصحاب الأعمال في حين أن ضمان انـتظام دفـع الأجـور والحالة الاجتماعية المرتبطة بالتوظيف في القطاع العام بالمملكة العربـية السـعودية تجـذب المواطنين السعوديين بصفة دائمة أكثر من القطاع الخاص ، وذلـك من خلال تحليل عملية برنامج "من المدرسة إلى العمل" في المملكة ، واستكشاف توقعـات مديري التوظيف بالقطاع الخاص بخصوص منهج المدرسة الثانوية وخريجيها، وكذلك وصف وتحليل المنهج الحالي في التعليم الثانوي وإعداد المهارات للخريجيين. وقد عرضـت هـذه الورقة إلى أهمية ظهور برامج التحول من المدرسة إلى العمل إلى حيز الوجـود مـن خلال عناصر النظام التعليمي الثانوي ، وذلك بمشاركة أصحاب العمل في القطاع الخاص لجان تطوير المناهج .

الورقة الرابعة : "سيكولوجية البطالة وعلاقتها بالسلوك الإجرامي" مقدمة من الدكتور/ تركي بن محمد العطيّان ـ كلية الملك فهد الأمنية .

تناولت هذه الورقة جانب البطالة كعامل من عوامل ارتكاب الجريمة والاتجاه لسعودة الوظائف في ظل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها المملكة ، وقد هدفت هذه الورقة إلى توضيح وتحليل ظاهرة البطالة من وجهة نظر نفسية كما أوضحت الأبعاد النفسية للبطالة ودورها في تغذية السلوك المنحرف والإجرامي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ضمن إطار اقتصادي واجتماعي

الورقة الخامسة : "تطلعات الشباب الجامعي وعلاقتها بالمتغيرات الشخصية والديموغرافية" مقدمة من الرائد / محمد بن ناصر الحبيب ـ وزارة الداخلية .

تتناول هذه الورقة العلاقة بين التطلعات والطموحات وبين المتغيرات الشخصية والبيئيه لدى الشباب الجامعي من خلال استعراض العلاقة بين المتغيرات الشخصية وبين تطلعات وطموحات الشباب الجامعي ، والعلاقة بين المتغيرات الأسرية وبين تطلعات وطموحات الشباب الجامعي ، وكذلك العلاقة بين متغيرات درجات ارتباط الشباب الجامعي بعناصر البيئة الاجتماعية والثقافية وبين تطلعاتهم وطموحاتهم ، والعلاقة بين متغيرات وقت الفراغ وبين تطلعات وطموحات الشباب الجامعي ، وكذلك تحديد أي من المتغيرات الشخصية والبيئية أكثر تأثيراً من سواه في تطلعات وطموحات الشباب الجامعي

الجلسة الثالثة : "الأبعاد الأمنية لسوق العمل في المملكة"

ترأس الجلسة اللواء م / كمال سراج الدين المرغلاني ـ عضو مجلس الشورى سابقاء وقد اشتملت على أربع أوراق عمل علمية على النحو التالي :

الورقة الأولى : "التحديات الأمنية لظاهرة الاعتماد على العمالة الوافدة" مقدمة من العميد دكتور / علي بن فايز الجحني ـ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .

تناولت هذه الورقة التحديات الأمنية المصاحبة لظاهرة الاعتماد المتزايد على العمالة الوافدة ، والمتمثلة في التحديات الدينية والسياسية والجنائية والاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية وكذلك التحديات الاستراتيجية.

وتناولت أيضاً آثار ظاهرة الاعتماد المتزايد على العمالة الوافدة ودور المواطن نحوها، وكيفية التغلب على هذه الإشكالية من خلال بعض التوصيات أهمها : الحد من الاستقدام والصرامة في الرقابة وتطبيق الأنظمة على العمالة الوافدة ، ومتابعة الإشتراطات الصحية والأمنية .

الورقة الثانية : "الآثار الأمنية لثقافة المؤسسات الاقتصادية والتنظيمات الحكومية" مقدمة من العقيد دكتور / محمد بن ابراهيم السيف ــ كلية الملك فهد الأمنية .

تناولت هذه الورقة العلاقة بين الجريمة والانحراف وبين ثقافة المؤسسات التنظيمية الحكومية والأهلية وذلك من خلال محاولة الكشف عن المعايير والقيم السائدة في البيئة الوظيفية في سوق العمل عند منح الامتيازات والمكافآت للعاملين والموظفين ، ومعرفة أهم المعوقات الثقافية التي تحد من تحقيق العاملين والموظفين لأهدافهم الوظيفية المادية والمعنوية سواء بالقطاع الحكومي (العسكري والمدني) أوفي القطاع الخاص ، وكذلك الكشف عن الآثار الأمنية التي أحدثتها الثقافة السائدة للتنظيمات والمؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية وفي القطاع الخاص ، والتعرف أيضاً على حجم البطالة في سوق العمل في المجتمع السعودي، وتحديد عواملها وآثارها الأمنية ، وقد اشتملت الورقة على بعض التوصيات أهمها : وضع ضوابط رسمية ذات فاعلية في تحديد الأجور ومنح الامتيازات ، وكذلك ترشيد وتوجيه برامج التدريب

الورقة الثالثة : "الجريمة والبطالة" مقدمة من العقيد دكتور / هاشم بن محمد الزهراني ــ وزارة الداخلية .

تناولت هذه الورقة العلاقة التفصيلية التي تربط الجريمة بالبطالة وأسلوب المواجهة لها حيث عرضت المفاهيم المختلفة للجريمة من وجهة النظر الاجتماعية ومن الوجهة القانونية ومن الوجهة الفردية وكذلك التفسير العلمي لظاهرة الجريمة من خلال المذهب الفردي الاجتماعي والمذهب التوفيقي وعرضت أيضاً إلى الأسباب الاجتماعية للجريمة والأسباب الاقتصادية وما تمثله الجريمة بآثارها المباشرة وغير المباشرة من خطر على

المجتمع وتناولت البطالة كإحدى الظواهر المؤديه للجريمة وانعكاساتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقيمية على المجتمعات.

ومن ثم طرحت أسلوب المواجهة لمشكلة البطالة والاستراتيجية الأمنية لهذه المواجهة من خلال دور الإعلام ومؤسسات الدولة في مواجهة الجريمة وظاهرة البطالة ، وكذلك استراتيجية مواجهة الجريمة الناتجة عن البطالة وتطوير المؤسسات الأمنية لتكون قادرة على ذلك من خلال : إنشاء نظام وطني بشأن سوق العمل , ووضع خطة استراتيجية جديدة بخصوص تنمية القوى العاملة والتركيز على الجانب الأكاديمي والإعلامي في التعامل مع ظاهرة البطالة ، وكذلك غرس وتنمية الوازع الديني والحد من استقدام العمالة.

الورقة الرابعة : "الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للعاطلين عن العمل من مرتكبي الجرائم" مقدمة من المقدم / محمد بن حميد الثقفي ــ وزارة الداخلية

تناولت هذه الورقة الخصائص الاجتماعية للعاطلين عن العمل من مرتكبي الجريمة والخصائص الاقتصادية لهم، وكذلك تحديد نوعية الجرائم التي يقترفها العاطلون عن العمل، وعلاقة أسباب ارتكاب الجريمة بالبطالة وتحديد نسبة العود للجريمة لدى العاطلين عن العمل ، وقد أوصت هذه الورقة بإجراء دراسات معمقة لظاهرة العود للجريمة وعلاقته بالبطالة وتفعيل هذه الدراسات ، وكذلك توجيه التدريب والتركيز في هذا الجانب على السجناء ، وتفعيل مفهوم السعودة .

الجلسة الرابعة : "مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل"

ترأس الجلسة سعادة الأستاذ / عبد الرحمن بن علي الجريسي رئيس مجلس الغرف التجارية والصناعية السعودية ، وقد اشتملت على خمس أوراق عمل علمية على النحو التالي :

الورقة الأولى : "السعودة بين مخرجات التعليم وفرص العمل المتاحة" مقدمة من الدكتور / محمد بن عبد العزيز الصالح ــ أمين عام مجلس التعليم العالي

تناولت هذه الورقة تطور سوق العمل والتركيز على السعودة كهدف إستراتيجي ضمن أهـداف خطط التنمية الخمسية ومن ثم استعراض معوقات السعودة وواقع العمالة الوطنية والوافـدة وعرضت أيضاً تجربة السعودة في القطاع الخاص ودور المواطن السعودي في فرض نفسه بمواقع العمل.

كما تناولت مخرجات التعليم في ظل واقع العمالة الوافدة في القطاع الخاص ، والجهود المبذولة لتحقيق السعودة وأهمها التنظيم الوطني للتدريب المشترك وصندوق تنمية الموارد البشرية ومن ثم تطرقت لإسهامات مجلس التعليم العالي في الموائمة بين مخرجات التعليم واحتـياجات سـوق العمل والصعوبات التي تواجه التعليم العالي للوفاء باحتياجات سوق العمـل وأخيراً تطرقت للمتغيرات المتوقعة في سوق العمل والحاجة إلى الإعداد لها ، وقد عرضت لبعض التوصيات ، أهمها : تكثيف الجهود لتغيير النظرة السلبية من قبل المجتمع للعمـل المهنـي ، وتطبيق نظام التوظيف الجزئي ، وكذلك ضرورة التنسيق بين الجهات المسئولة عن تنمية القوى البشرية ، والقطاع الخاص ، ومؤسسات التعليم

الورقة الثانية : "دور القطاع الخاص في توظيف العمالة الوطنية : الواقع والمتطلبات" مقدمة من الدكتور / عبد الله بن محمد الشدادي ـــ مساعد الأمين العام للعمليات والتدريب بالغرفة التجارية والصناعية بالرياض .

تناولـت هـذه الورقـة واقـع القطاع الخاص ودوره في التنمية ، والمنظور الحالي والمستقبلي لمسئوليته من خلال تحديد نسبة معدلات النمو السنوي له في خطط التنمية وقد عرضـت هـذه الورقة مجهودات الغرفة التجارية الصناعية بالرياض في مجال التدريب والتوظيف ، وكذلك مرئيات رجال الأعمال حول المعوقات التي تواجه القطاع الخاص في توظـيف العمالة وبعد ذلك تناولت الآليات المقترحة لدعم قدرة القطاع الخاص في توظيف العمالـة المحلـية ، وقـد أوصت الورقة بالتنسيق بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمـل وتوعـية الطلبة من خلال نتائج هذا التنسيق ، وكذلك توعيتهم بقيمة العمل وتغيير المفاهيم السالبة عن بعض الوظائف .

الورقة الثالثة: "تجربة السعودة في القطاع الخاص" مقدمة من الدكتور / فهد بن صالح السلطان ــ أمين عام مجلس الغرف التجارية والصناعية السعودية .

تناولت هذه الورقة تجربة السعودة في القطاع الخاص مع تفصيل واقع وتطلعات هذه التجربة من خلال بعض المحاور وهي تجربة السعودة في القطاع الخاص ومعوقاتها واهتمام الغرف التجارية الصناعية بقضية السعودة والتوظيف في القطاع الخاص ، وكذلك التطلعات المستقبلية لتطبيق السعودة بالقطاع الخاص في مجال التأهيل والتدريب وفي مجال التوظيف .

الورقة الرابعة : "توطين القوى العاملة بالمنطقة الشرقية" مقدمة من الدكتور / عيسى بن حسن الأنصاري ــ عميد الكلية التقنية بالدمام .

و هي عبارة عن عرض تجربة ساهمت إلى حد ما في إيجاد حلول لمشكلة توطين القوى العاملة في محيط المنطقة الشرقية حيث هدفت هذه الورقة إلى توضيح حجم وطبيعة المشكلة ، وعرض تجربة برنامج الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز لتأهيل وتوظيف الشباب السعودي ، واستعراض أهم إنجازات برنامج الأمير ، والكشف عن التحديات التي تواجه برنامج الأمير ، وكذلك عرض المبادرات التي اتخذها البرنامج لإذابة هذه التحديات ومضاعفة الإنجازات. ولقد أظهرت هذه التجربة نجاحاً متميزاً إذ تم توظيف (٦٩٥٠) ستة آلاف وتسعمائة وخمسين مواطناً ومواطنة من خلال التدريب بالمفهوم الذي يتبناه البرنامج . ومن تطبيقات هذه الدراسة نشر المفاهيم والتطبيقات بدءاً من معايير اختيار المرشحين ومروراً بعمليات تصميم وتقويم البرامج التدريبية وانتهاء بعمليات التوظيف .

الورقة الخامسة : "مخرجات التعليم الثانوي العام والمهني وسوق العمل السعودي" مقدمة من الأستاذين / عبد العزيز السالم ، وعبد الرحمن العريني ــ وزارة المعارف

تناولت هذه الورقة تطور التعليم في المملكة وعن دوره في عملية التنمية وأهمية ذلك ومن ثم استعرضت سوق العمل السعودي ومشكلة البطالة وأسبابها ، وعن دور الخطط التنموية في تنمية المواد البشرية وتوطين الوظائف.

كذلك تناولت التعليم الثانوي والتعليم الفني والتدريب المهني في المملكة وأهداف كل منها ومراحل تطورهما ومشكلة التوفيق بين هذين النظامين. وبعد ذلك استعرضت الحلول وتوجهات ربط التعليم الثانوي العام والمهني والفني باحتياجات سوق العمل والاتجاهات السائدة في تطوير التعليم القانوني عربياً وعالمياً، وزيادة الطاقة الاستيعابية للجامعات ومؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني .

الجلسة الخامسة : "سوق العمل في المملكة ــ رؤى مستقبلية"

ترأس الجلسة معالي الدكتور / علي بن ناصر الغفيص محافظ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني ، وقد اشتملت على خمس أوراق عمل علمية على النحو التالي :

الورقة الأولى : "حتى لاتكون السعودة مجرد شعار" مقدمة من الدكتور / حسين ابن عمر الحازمي ــ الأمين العام لمجلس القوى العاملة (سابقاً)

تناولت هذه الورقة قدرة العمالة الوطنية على الإنتاج والإنجاز والإبداع في مواقع العمل، وانعكاسات النقلة التنموية السريعة في المملكة على توظيف هذه العمالة ، وإمكانية التعامل مع هذه الانعكاسات من خلال التخطيط وتحديد الأهداف القصيرة والطويلة المدى، وبعد ذلك أوضحت الحاجة الملحة لتطوير التعليم لجميع مراحله من حيث الكيف والنوع ليواكب أوضاع سوق العمل ويلبي احتياجاته .

وقد أجملت هذه الورقة قضايا القوى العاملة في بعض الأمور الأساسية ، وكذلك بعض الاقتراحات الهامة لتوظيف العمالة ودفع عجلة التنمية على أسس علمية سليمة.

الورقة الثانية : "الأثر المتوقع لتأمين البطالة على عرض العمل" مقدمة من الأستاذ الدكتور / محمد بن سعدو الجرف ــ جامعة أم القرى .

تقدم هذه الورقة إطاراً نظرياً لبحث بعض العلاقات الاتجاهية التي يتوقع أن تسوء في ظل افتراضات معينة ثم وضعها مسبقاً بين الإنتاج الكلي كمتغير هدفي ، ومعوقات البطالة كمتغير تفسيري وكأداة للسياسة الاقتصادية ، وقد تناولت هذه الورقة أسباب البطالة

والآثـــار الاقتصـــادية لعدم وجود تأمين البطالة ، وقد تم التحليل باستخدام التحليل الساكن لتحليل سلوك العامل المشروع أولاً حيث تم استبعاد عنصر الزمن من التحليل ثم باستخدام التحلـيل الحركـــي وذلك بإدخال عنصر الزمن في تحديد المسار الزمني للمتغيرات التي ينطوي عليها النموذج.

الورقـــة الثالثة : "نحو نمذجة أكثر فاعلية لآليات السعودة" مقدمة من الدكتور / فوزان بن عبد العزيز الفوزان ـــ كلية الملك فهد الأمنية .

تهـــدف هذه الورقة إلى نمذجة أساليب سعودة فرص العمل لتتم وفق آليات محددة من خـــلال نموذجين أولهما : (مباشر) اقترح أن تكون السعودة انتقائية تدريجية حيث تصنف مختلف الأنشطة والقطاعات الاقتصادية تبعاً لمعايير محددة هي حاجة المجتمع لذلك النوع مـــن النشـــاط الاقتصـــادي ، وســـعودة النشاطات ذات الأرباح المجزية ، وحجم الخبرة المطلوبة في مجال ما ، وأسبقية المجالات التجارية للقطاعات الأخرى.

والآخـــر: (غير مباشر) ولا بد فيه من إيجاد أرضية وبيئة مناسبة من شأنها أن تسمح للســـعودة أن تنمو وتترعرع وتؤتي ثمارها ويحتوي هذا النموذج على الأدوات التي توجد هـــذه البيـــئة ويـــتكون من العناصر التالية : العمل على تحجيم أعداد المؤسسات التجارية والإنتاجـــية ، وتحديـــد ساعات العمل في المجالات التجارية ، والمواءمة بين الأجور في القطاعيـــن العـــام والخاص ، ودفع التكاليف الحقيقية لاستخدام العمالة الأجنبية ، وتسهيل وتشـــجيع الداخلين إلى سوق الحرف والمواءمة بين خطط التعليم والتدريب المهني وخطط الســـعودة وكذلـــك الســـيطرة على مصادر الدخل في المنشآت الاقتصادية وفرض أساليب إنتاجية أكثر مواءمة للظروف الاقتصادية في المملكة.

الورقة الرابعة : "العلاقة بين تقنيات المعلومات وظاهرة البطالة في المملكة" مقدمة من الدكتور / محمد بن عبد الله القاسم ـــ كلية الملك فهد الأمنية .

تناولـــت هـــذه الورقة العلاقة بين تقنية المعلومات والبطالة في المملكة وسبل تخفيف الآثـــار السلبية لاستخدام التقنية على زيادة البطالة ، وقد تطرقت لمفهوم البطالة وأنواعها

وأسـبابها وآثارها وكذلك ماهية تقنية المعلومات والوضع الحالي لحجم العمالة في مجال تقنية المعلومات في المملكة وإيجابيات وسلبيات العمل عن بعد باستخدام تقنيات المعلومات وأثـرها علـى العاملين ، كما تناولت كيفية الحد من الآثار السلبية لتقنية المعلومات ، وقد تضـمنت بعض التوصيات من أهمها : تطوير مواد الحاسب الآلي في مناهج التعليم العام وإعـادة تأهـيل الموظفيـن للحد من التسرب من الكليات ذات العلاقة بتقنية المعلومات، وزيادة أعداد المقبولين بها، وكذلك تخفيض ساعات وأيام العمل.

الورقـة الخامسة : "التنظيم الوطني للتدريب المشترك" مقدمة من الأستاذ / محمد ابن علي الحافظ ـ المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني .

يقدم هذا البحث الأساس النظري لتنظيم جديد للتدريب تشرف عليه المؤسسة، وتشارك فـيه الغـرف التجارية والصناعية وكل القطاعات الأهلية حيث يعد أحد الحلول الجذرية لتغيـير اسـتراتيجية التدريب والتأهيل للقوى العاملة الوطنية ، وينطلق هذا المشروع من حقـيقة أن معظـم البرامج التي تنفذها المؤسسة حالياً تركز على تقديم المهارات الأساسية والمعـارف الـنظرية للطالـب والتي قد تصلح لجميع قطاعات العمل دون التركيز على احتـياج قطاع محدد ، ومع تزايد الاهتمام بمسألة تحقيق مزيد من المواءمة بين احتياجات سوق العمل ومخرجات مؤسسات التعليم ، تبرز الحاجة إلى هذا التنظيم الذي يوجه لخدمة قطاعـات محـددة وسـد احتياجاتها بأكبر قدر ممكن من التأهيل المتخصص ، وفي نفس الوقـت تفتح آفاقاً واسعة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الشباب السعودي لتأهيله وإعداده لمواجهـة متطلـبات الحياة المعاصرة. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذا التنظيم لن يحـل محـل البرامج الحالية، في الكليات التقنية والمعاهد الفنية والمراكز المهنية أو تلك الـبرامج التدريبية في القطاعات الأهلية وفي الغرف التجارية الصناعية في المملكة ، بل هو نظام مساند ومكمل للبرامج الحالية ويمثل مساراً جديداً للتعليم والتدريب الفني .

خامساً : التوصيات

وقد اختتمت فعاليات الندوة بإعلان التوصيات التالية:

١- السعودة مشروع وطني ليس فقط لتوظيف العاطلين، بل هو مشروع لحفظ الهوية وتنميتها إضافة إلى التعامل الأمثل وفق ثوابت المجتمع الإسلامية التي تأخذ في الاعتبار المتغيرات العالمية وتطوراتها. ولهذا يجب اتخاذ إجراءات عاجلة وفورية تتمثل فيما يلي :

أ- تنفيذ إستراتيجية تنمية القوى العاملة في المملكة والتي تغطي فترة ٢٥ عاماً تبدأ من عام ١٤٢٠هـ وتتضمن أهدافاً عامة وفرعية لتنمية الموارد البشرية الوطنية وتوظيفها وموجهات عمل لتحقيق تلك الأهداف والتي أقرها مجلس القوى العاملة ووجه بالعمل بها للجهات المعنية.

ب- دعم المنشآت الصغيرة التي ثبت أنها تشكل نسبة عالية من سوق العمل في القطاع الخاص .

ج- دعم صندوق تنمية الموارد البشرية حتى يستطيع القيام بمهامه في مجال توطين فرص العمل مع أهمية وضع ومراقبة الضوابط الإدارية والمالية التي تحكم عملية تنفيذ البرامج التدريبية التي تنفذها الجهات المستفيدة لضمان الجودة النوعية والكمية للبرامج التدريبية المقدمة.

د- التدرج في إحلال العمالة السعودية محل العمالة الوافدة بدءاً بالوظائف التي تتعلق بالأمور الكمالية ثم الانتقال بعد ذلك إلى الوظائف المتعلقة بالأمور الضرورية لما يمثله هذا الإجراء من خدمة للبعد الاستراتيجي للتنمية الشاملة.

هـ- وضع حد أدنى للأجور والمرتبات في القطاع الأهلي حماية للعمالة الوطنية من المنافسة الغير متوازنة التي يفرضها التواجد المكثف للعمالة الأجنبية على أن يكون ذلك في فرص العمل التي يتم قصرها على العمالة المحلية

أو فـــي القطاعات والمجالات التي تسهل مراقبة سجلاتها تلافياً للتجاوزات التي قد تلجأ إليها بعض العناصر المستفيدة.

٢- إصـــدار وتنفـيذ خطـــة متكاملة للتوعية الإعلامية وذلك بهدف توعية المواطنين بقضـــايا السعودة والتوظيف، وبأهمية العمل وسلوكياته بصورة عامة وفي القطاع الخـــاص بصورة خاصة وربط ذلك بالمفاهيم الشرعية ، وأبرز ملامح هذه الخطة ما يلي :

أ- توضـــيح مفهوم السعودة باعتباره نظـــام قيمي لا يخـــدم البعد الاقتصادي فقـــط، بـــل يجـــب أن يُخـــدم ويخدم الأبعاد السياسية والأمنية والاجتماعية والثقافية والتأكيد على ربط العمل بالإيمان والعبادة، وأهمية الكسب بالطرق المشـــروعة بغض النظر عن نوعها وما يعود به ذلك على الفرد والمجتمع مـــن نفع في الدنيا والآخرة. وهذا الجانب يتحقق من خلال الندوات وخطب الجمعة في المساجد ومن خلال المؤسسات التعليمية والثقافية .

ب- تنمـــية الشعور بالواجب الوطني لدى رجال القطاع الخاص من خلال إبراز الأبعاد الإيجابية لعملية توطين العمالة في الأجل الطويل وما يحققه ذلك من اســـتقرار اقتصـــادي واجتماعي وأمني ينعكس إيجاباً على العملية الإنتاجية والنشاط الاستثماري للقطاع الخاص.

ج- التأكـــيد علـــى أن بـــناء وتوظيف وتأهيل الإنسان السعودي ليس مسؤولية أصـــحاب رؤوس الأمـــوال فقـــط بل مسؤولية الجميع بدءا بالأسرة وانتهاء بالدولة.

د- أهمـــية الإسراع في البت في نظام العمل الجديد الذي تم إنجازه منذ حوالي ثـــلاث سنوات لكونه أكثر قرباً من واقع سوق العمل ولاشتماله على الكثير من الضوابط التي تنظم العلاقة بين صاحب العمل وطالبه مع ضرورة التأكد

من قدرة الجهات الحكومية المعنية على تطبيقه ومتابعة تنفيذه على أرض الواقع حتى لا يكون مجرد إضافة قانونية ليس لها بعد تطبيقي.

٣- تكليف الجهات المختصة بوضع آلية ملائمة لتوطين فرص العمل الموسمية، إضافة إلى التوسع في التوظيف الجزئي والعمل بالساعات في القطاع الخاص تلافياً لعملية الاستقدام المكثف التي تتنافى مع مصلحة القطاعين العام والخاص.

٤- ضرورة وجود برامج إرشادية لطلاب المرحلة الثانوية لتوجيههم الوجهة السليمة لاختيار التخصصات المناسبة لسوق العمل، ليس في الجامعات فقط، وإنما في كافة مجالات التعليم والتدريب المتخصصة الأخرى، مع مراعاة أهمية تغيير القناعات السائدة حول مفهوم الشهادة الجامعية وأنها الأساس في بناء المستقبل.

٥- تهيئة البيئة المناسبة لزيادة مساهمة العامل السعودي في العملية الإنتاجية من خلال:

أ- تحديد ساعات العمل في القطاع الخاص والمجالات التجارية المختلفة حتى يتمكن العامل السعودي من الوفاء بالتزاماته العملية مع عدم الإخلال بوظائفه الاجتماعية ورغباته الشخصية.

ب- تهيئة المناخ المناسب لاستقرار العامل السعودي من خلال تفعيل دور عقود العمل عند الرغبة في إتمام عملية التعاقد بين صاحب العمل وطالبه ويمكن في هذا الخصوص قيام وزارة العمل والشئون الاجتماعية بصياغة عقد عمل موحد يعطي للطرفين حق إضافة شروط إضافية ويشتمل على غرامة تحددها الوزارة لمن يخالف بنود العقد دون اتفاق من الطرفين.

ج- تقليص الفجوة بين تكلفة توظيف السعوديين وغير السعوديين من خلال رفع تكاليف استقدام الموظفين غير السعوديين في المجالات المهنية والحرفية التي يمكن إشغالها بقوى بشرية وطنية مؤهلة وفي المجالات التجارية التي لا تحتاج إلى تدريب متخصص.

د- تشجيع وتسهيل دخول العامل السعودي إلى سوق الحرف من خلال تقديم القروض الميسرة والأراضي المناسبة أسوة بما يقدم لأصحاب المشاريع الصناعية ويمكن في هذا الخصوص تفعيل دور صندوق تنمية الموارد البشرية في مجال تقديم القروض الميسرة للعمالة السعودية الراغبة في إنشاء مشاريع استثمارية تعتمد بشكل مباشر على ذات العامل السعودي في إتمام العملية الإنتاجية.

هـ- أهمية التأكد من ربط التسهيلات الحكومية للمشاريع الاستثمارية بحجم إسهاماتها في توطين الوظائف.

٦ - تدريب العمالة الوطنية والعمل على رفع كفاءتها في التعامل مع التقنيات الحديثة. وهذا يتحقق بعدة أمور منها:

أ- الأخذ بنظام التدريب التعاوني لجدواه في تحقيق فعالية التدريب وعنايته بالجانب التطبيقي وتأثيره الملموس في تهيئة المتدربين للتكيف بعد تخرجهم مع بيئة العمل في القطاع الخاص.

ب- عقد الدورات التدريبية القصيرة بهدف تطوير معارف ومهارات العمالة الوطنية الفنية التي هي على رأس العمل، والتأكيد من أن يكون التدريب عملية مستمرة.

ج- تفعيل دور المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني في مجال مراقبة مراكز ومعاهد التدريب الخاصة للتأكد من مستوى الخدمة المقدمة ومدى ملاءمتها لمتطلبات سوق العمل السعودي.

٧- ردم الهوة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل السعودي وذلك عن طريق:

أ- منح أصحاب العمل في القطاع الخاص فرصة للاشتراك والتنسيق في وضع البرامج والخطط الدراسية والمراجعة المستمرة للمناهج والبرامج للتأكد من ملاءمتها لمتطلبات لسوق العمل.

ب- زيادة الطاقة الاستيعابية للجامعات ومؤسسات التعليم الفني والتدريب المهني.

ج-الاهتمام بحاجات الشباب المختلفة وقدراتهم الفعلية والجسمية والتركيز في توجيههم الدراسي والمهني على ميولهم الشخصية وامكاناتهم المعرفية ابتداء من السنوات الدراسية الأولية والثانوية وحتى الدراسة الجامعية . وعدم توجيههم قسراً إلى تخصصات لا تتفق مع ميولهم ورغباتهم.

د-تبني المؤسسات الصناعية والتجارية إنشاء كليات ومعاهد ومراكز تدريب متخصصة.

٨ – اتخاذ إجراءات عملية لتنظيم سوق العمل السعودي، وهذا يتحقق عن طريق:

أ- وضع ضوابط رسمية ذات فاعلية في تحديد الأجور ومنح الامتيازات بما يتلاءم مع طبيعة العمل والمؤهلات العلمية والفنية للمواطنين، وبما يتناسب مع المستوى المعيشي في المجتمع السعودي . وإحداث إدارة متابعة لهذا الشأن في كل منطقة ترتبط بالأمارة للنظر في شكاوى المواطنين المتعلقة بهذا الجانب.

ب- دراسة مدى إمكانية تطبيق نظام تأمين البطالة مع مراعاة أثر ذلك على حوافز العمل.

ج- إنشاء مركز معلومات وطني يخضع لإشراف وزارة العمل من مهامه توصيف الوظائف القائمة والمرتقب استحداثها وتنسيق عملية التوظيف بما يخدم سوق العمل السعودي ويحقق تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية.

١٠- نظراً لاختلاف تأهيل الخريجين أو المتسربين من إحدى مراحل التعليم عن

المهارات التي يحتاجها سوق العمل في القطاع الخاص فإنه يوصي بإلزام مؤسسات القطاع الخاص بالتدريب ثم التأهيل المستمر على رأس العمل لاختلاف حاجات كل مؤسسة عن الأخرى مع وضع ضوابط محددة لضمان حقوق العامل ورب العمل.

١١- توصي الندوة بضرورة العمل على تهيئة الطلبة والطالبات للعمل من خلال إقرار برامج تدريبية لا منهجية لإكساب الطلبة والطالبات مهارات محددة تساعدهم على الانخراط في سوق العمل في حالة التوقف عن الدراسة بعد أو خلال المرحلة الدراسية. ويمكن في هذا الخصوص إنشاء إدارة خاصة بوزارة المعارف تتولى عملية صياغة مكونات البرامج التدريبية غير المنهجية وتحديد الأنشطة اللاصفية التي تساهم في بناء الثقافة المهنية والفنية لدى المتعلم وتساعد على إكسابه المهارة المطلوبة.

١٢- التركيز على تأهيل وتدريب السجين أثناء وجوده في السجن وتعميم تجارب التدريب التي ينفذها القطاع الخاص في السجون مع العمل على تفعيل دور اللجنة الوطنية برعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم للمساهمة في وضع برامج للحد من العودة للجريمة خاصة في ظل النتائج التي تشير إلى ارتفاع نسبة العائدين إلى السجن من العاطلين عن العمل.

١٣- أهمية الفصل بين السجل الوظيفي والمحكوميات للمواطن السعودي حتى لا تتفاقم المشاكل الاجتماعية والأمنية المترتبة على فصل من يثبت ارتكابهم لبعض الجرائم.

١٤- حث مكاتب العمل السعودية على تبني تجربة مشروع الأمير محمد بن فهد لتأهيل وتوظيف الشباب السعودي لما تمتلكه من الفاعلية المنشودة في مجال التوظيف والتدريب وفي مجال بناء قاعدة المعلومات حول متغيرات سوق العمل الرئيسة.

Abstract

Subcultural Theories and Interpretation of Delinquent Behavior.

Dr. Mohammed Abdel Maboud Morsy

This paper dealt with the theories that discuss the delinquent behavior from a sub-cultural point of view. In this study, cultural variables such as patterns, traits and norms represent the main standard means for evaluating delinquent behavior. The delinquent subcultures are proposed or designed to rationalize the deviant acts. Such subcultures cosist of values, ideals, ideas, beliefs, traditions, actions and symbols that rationalize criminal, aggressive and rebellious patterns of behaviour.

The researcher discussed different theories of delinquent subcultures from theoretical and empirical points of view. Every scientist has his own restricted opinion, but all of them accepted the subcultural background of a delinquent male in determiing delinquent behavior.

Abstract

The Relatioship Between Safety Awareness and the Mass Media

A Field Study on Riyadh, Jeddah and Dammam

Dr. Abdulrahman Muhammad Bin Sa'ad Al-Twaim

The present paper studies the three areas of public awareness of safety (i.e., the epistemic, affective and practical). The study also tackles the impact of mass media on public awareness.

The researcher adopts the descriptive methodology that depends on field surveys, whereby he distributed (750) questionnaires onto the sample of the study in Riyadh, Jeddah and Dammam.

The questionnaire encompassed nineteen items that tackle safety issues and attitudes towards safety regulations and procedures. The sample's awareness of safety is estimated at around (76.2%).This percentage is a little above the minimum percentage assumed by the researcher for accepting awareness level.

The results revealed a direct proportionate relationship between level of safety awareness and exposure to mass media. In other words, those exposed to mass media learn important information about safety. Such knowledge of information is manifested in their conduct later on.

In spite of the meager exposure to mass media and publications of civil defense, the subjects' safety awareness was positively influenced. This stresses the need for communicative messages that are aimed at raising safety awareness. It also stresses the necessity for publishing attractive and creative formats of message layouts.

Abstract

The Effect of Adultery on Marriage

Dr. Abdulrahman Bin Suleiman Al-Rubaish

Allah (*be He exalted*) created men and women, and since then set in them an everlasting intimate attraction. Islamic law did not leave this attraction without restrictions. It devised rules to control it and then encouraged marriage. In Islam, adultery is considered a crime that deserves punishment. Nevertheless, a Muslim may commit this crime. Thus, types of penalty and social discipline were brought about for the purpose of disciplining the one who commits this sin. Accordingly, what are the limits of social restraints imposed on adulterers? In more plain terms, are the two adulterers allowed to marry each other? Is the adulteress absolutely prohibited from getting married? Furthermore, is her penitence necessary in order to be allowed to marry the one whom she committed this sin with? What is the effect of committing adultery by a married woman on the marriage bond? All of these questions need answers since they tackle the issue of *marriage* that is of sheer importance in Islamic law.

Abstract

Heroin and Its Detection Methods in the Body of an Addict

Khalid Abu Baker Mohammed

Heroin is considered the most serious drug causing addiction. The addiction of heroin and morphine is responsible for the outbreak of numerous infectious diseases which propagate through blood or by means of contaminated syringes. Most of heroin abusers prefer injection because of its rapid impact on them. Heroin samples are different in their physical and chemical properties; in terms of color and homogeneity. This difference may be due to different methods of preparation, or production from highly variable natural sources, and subsequently their subjection to adulteration and transformation for trafficking purposes. To detect heroin in biological samples, urine samples are preferable because of being readily accessible by non-invasive procedures, practically all drug metabolites are excreted in urine and the metabolites can be detected for a longer period than in blood. Because of its rapid metabolism, it is not practical for heroin to be determined directly in human biological fluids, this is usually done by the assay of morphine: its major metabolite in urine. These analyses must be carried out by highly trained and qualified specialists. Because of punitive action may be the consequence of positive analytical results, procedures and methods used must follow strict standards based on the principles of forensic toxicology. The generally recommended strategy is that an initial screening test be performed to establish potential positive samples and this followed by a confirmation analysis using a method based on a different chemical or physical principle like gas chromatography (GC), high performance liquid chromatography (HPLC), or gas chromatography-mass spectrometry (GC/MS).

Abstract

Money Laundering : Bankers' Perspectives

Dr. Abdul-Razzag H. Al-Zahrani

Money laundering crimes started to appear after world war II because of the dramatic changes that took place in societies during the war aftermath. Drugs and narcotics were the main source of dirty money. During later decades, relations, interests, and interactions among societies and nations increased. Because of that, and other factors, money laundering increased as well. This research tries to study the phenomenon of money laundering form the perspectives of Saudi Banks officials, explain its concept, its dimensions and its impacts on economy and society. It also tries to present the best ways to confront money laundering from the point of view of Bankers who face these problems almost daily. Usually these bankers stress the necessity for establishing a special agency to fight money laundering crimes. They also suggest more cooperation among agencies, and call for more studies to be conducted on this kind of crime.

IN THIS ISSUE

- Money Laundering: Bankers' Perspectives

  Dr. Abdul-Razzag H. Al-Zahrani

- Heroin and Its Detection Methods in the Body of an Addict

  Khalid Abu Baker Mohammed

- The Effect of Adultery on Marriage

  Dr. Abdulrahman Bin Suleiman Al-Rubaish

- The Relatioship Between Safety Awareness and the Mass Media:
  A Field Study on Riyadh, Jeddah and Dammam

  Dr. Abdulrahman Muhammad Bin Sa'ad Al-Twaim

- Subcultural Theories and Interpretation of Delinquent Behavior.

  Dr. Mohammed Abdel Maboud Morsy

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Interior
King Fahd Security College
Research & Studies Centre



Security Research Journal

Published by:
Research & Studies Centre at King Fahd Security College
Devoted to research & studies in security issues

Vol. 11 Issue 23 FEB, 2003

For correspondence:
Send to the Editor
Security Research Journal
P.O. Box: 46461 Riyadh 11532 Saudi Arabia



دعوة للكتابة

ترحّب مجلة البحوث الأمنية بنشر الأبحاث والدراسات في أحد مجالات الأمن بمفهومه الشامل (الجنائي، الصناعي، الغذائي، المائي، الفكري، الثقافي،الاجتماعي، الاقتصادي، البيئي، أمن المعلومات والوثائق، إدارة الأزمات، إدارة الكوارث ...الخ)، وتدعو الباحثين إلى تقديم إنتاجهم العلمي لإدارة تحرير المجلة ليتم نشره في أحد الأعداد القادمة بإذن الله.

مع مراعاة ما يلي:

١) عدم تعارض العمل العلمي مع العقيدة الإسلامية.
٢) أن يكون العمل العلمي متفقا مع أهداف المجلة.
٣) أن يتسم بالجدّة والأصالة والموضوعية، ويكتب باللغة العربية.
٤) ألا يكون قد سبق نشره أو تقديمه للنشر في دورية أخرى.
٥) مراعاة ما ورد في قواعد النشر الخاصة بالمجلة.
٦) تخضع المواد العلمية المقدمة للنشر للتحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها.

علما بأن المجلة تمنح مكافآت مالية لكتّاب الأعمال العلمية التي يتم نشرها حسب ما ورد في اللائحة التنظيمية للمجلة.

ترسل الأعمال العلمية إلى العنوان التالي:
مجلة البحوث الأمنية. ص. ب ٤٦٤٦١ الرياض ١١٥٣٢
المملكة العربية السعودية

Security Research Journal



Published By The Research & Studies Center
King Fahd Security College

IN THIS ISSUE

- Money Laundering: Bankers' Perspectives
- Heroin and its Detection Methods in the Body of an Addict
- The Effect of Adultery on Marriage
- The Relationship Between Safety Awareness and the Mass Media
- Subcultural Theories and Interpretation of Delinquent Behavior

Vol . 11 No 23 Feb 2003